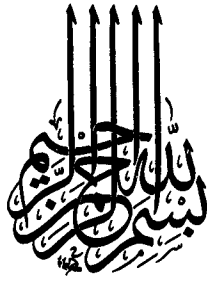


السين
فِي مَقَامِ تِلْكَ الدُّيَانِ
حَقَائِقُ وَوَسَائِقُ



الربيع

فِي مَقَارِنِ كَلَامِ الْحَيَاتِ

حَقَائِقُ وَوَشَائِقُ

تَأَلَّفَتْ

الْمُسْتَشَارِ مُحَمَّدِ عَزَّتِ الظُّهُرُ طَاوِي

الدار السَّامِيَّة
بيروت

دار الفقه
دمشق

الطبعة الأولى
١٤١٣هـ ~ ١٩٩٣م

حقوق الطبع محفوظة

دار القلم

للطباعة والنشر والتوزيع - دمشق - حلبوني - ص.ب : ٤٥٢٣ - هاتف : ٢٢٩١٧٧

دار السامية

للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - ص.ب : ١١٣/٦٥٠١ - هاتف : ٣١٦٠٩٣

١٢١٩١٣٦

173

T128

1493

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

الحمد لله رب العالمين الواحد الأحد، فلا شريك معه في الألوهية، ولا مثيل له في الربوبية، المعبود الذي ليس فوقه أحد، الكامل في جميع صفاته وأفعاله، يحكم ما يريد، ويفعل ما يشاء، لا معقّب لأمره ولا راد لقضائه، ومشيتته ولا نقض لحكمه.

والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين وإمام المرسلين، الذي أرسله الله رحمة للعالمين، وهدى للناس أجمعين، الداعي إلى الحق، المبعوث لسائر الخلق، وبعد:

فهذه بحوث ومقالات حررتها في مناسبات مختلفة، ونشرت في كبريات المجالات الإسلامية في مصر والبلاد العربية، وهي مجلة الأزهر، ومجلة منار الإسلام، ومجلة الوعي الإسلامي، مع أبحاث أخرى رأيت أن أجمعها في هذا الكتاب، وهي تدور جميعها حول الإسلام ومفاهيمه، وبيان جوهر عقيدته، وسامي أهدافه وتعاليمه. وفي سبيل توضيح هذه الغاية واستجلاء هذه المهمة، كان لا بد من الكشف عما يشتمل عليه غيره من العقائد خصوصاً الكتابية منها، وهي اليهودية والنصرانية، تلك التي ناصبت الإسلام العداء منذ إشراق نوره وانبلاج عقيدته وشريعته على العالمين، ذلك أن الإسلام (وهو رسالة الله الخاتمة) كشف ما عبث به أحبارها وكهنتها بمعالمها وأصولها، وما كتمته من علامات وشواهد عن عامة طوائفها تشير إلى بعثة خاتم الأنبياء وصفته وبلده والإقليم الذي تظهر فيه دعوته.

فكان ﷺ أشبه بالمصباح المنير الذي أضاء دياجير الظلام، ومحا غياهب الشرك والفساد والظلم والطغيان، وبذلك استنارت الدنيا بهذا المصباح السماوي المبارك، فجاء

X2721308

مصدقاً من الله ومؤيداً بقوة منه، فوضح معالم العبودية لذي الجلال والإكرام، راسماً الطريق إلى رضوان الله ومحبه، فملأ الدنيا نوراً وخيراً وعدلاً في أسمى صورها ومحاسنها، ورحمة شاملة في كل ناحية من نواحي الحياة، يقول جلّت كلماته:

﴿قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين، يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام، ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم﴾ [سورة المائدة: الآيتان ١٥، ١٦].

والله الموفق والهادي إلى أقوم سبيل.

المستشار محمد عزت الطرطاوي

الباب الأول

- (١) علم مقارنة الأديان ونصيبه بين علومنا المعاصرة.
- (٢) التوراة كتاب اليهود المقدس.
- (٣) اليهود وميلهم بطبيعتهم إلى الوثنية.
- (٤) عصمة الأنبياء بين أهل الكتاب والإسلام.
- (٥) التحريف طبيعة في نفوس أهل الكتاب.

(١)

علم مقارنة الأديان ونصيبه بين علومنا المعاصرة

من العجيب بل من المؤسف أن التبشير النصراني يعم كل أرجاء المعمورة، ولم يكتف بذلك، بل اقتحم من البلاد الإسلامية ما كان يُعدُّ من معقل الإسلام وقلاعه، كأندونيسيا التي يحاول أن يجتذبها للمسيحية، بما تحويه من ملايين البشر، وكذلك الدول الأفريقية والتي غالبية سكانها تدين بالوثنية، ودخول تلك الملايين إلى المسيحية، ليس خطراً ضدنا من الناحية الدينية فحسب، ولكنه خطر سياسي واقتصادي أيضاً، فإن المسيحية التي ينشرها هؤلاء المبشرون ليست المسيحية السمحة التي جاء بها المسيح عيسى عليه السلام، بل هي ما يسمى (بالمسيحية السياسية) التي ترمي أولاً: إلى ربط دول آسية وأفريقية بعجلة الغرب عن طريق نشر الدين المسيحي. وترمي ثانياً: إلى خلق جملة من الأفكار المسيحية يدفع بها أولئك المبشرون إلى أن تقف ليس أمام المسلمين فحسب، ولكن أمام الفكر الإسلامي في جميع الميادين السياسية والاقتصادية والدولية.

ولئن كان الاستعمار السياسي قد انتهى في تلك البلاد، إلا أنه يحاول أن يستعيد نفوذه بطريق المبشرين، ومن الأهم في اعتناق تلك المسيحية السياسية من السكان الأصليين، والمبشرون وقد علموا أن الإسلام يناقش العقائد عموماً، وقد ناقش عقيدتهم وعارضها في القرآن الكريم وكشف ما بها من باطل، وأن معتقها من الكافرين. قال تعالى:

﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم﴾ [سورة المائدة: الآية ٧٢].

﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة﴾ [سورة المائدة: الآية ٧٣].

﴿قل هو الله أحد. الله الصمد. لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد﴾ [سورة

الإخلاص].

لذلك فإن المبشرين يحقدون على الإسلام، ويؤلفون الكتب والرسائل التي تتعرض كثيراً بالغمز على الديانة الإسلامية ويهاجمون القرآن الكريم، كما يهاجمون رسول الإسلام محمداً ﷺ.

ودراسة علم مقارنة الأديان يكشف للباحثين مدى التناقض والزيف في العقائد غير الإسلامية، ومدى ما يتجلى في القرآن الكريم من حق واضح في مجال العقيدة والشريعة وبناء الحياة على أقوم الأصول وأرسخ الدعائم، وما يتضمنه من منهج كامل لكل جانب من جوانب الحياة الروحية والعقلية والاجتماعية والسياسية.

يقول الله تعالى في كتابه العزيز:

﴿إِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ. لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونِ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ [سورة يونس: الآية ٩٤].

هذه الآية الكريمة تشير بوضوح إلى أنه بمقارنة الإسلام بغيره من الأديان خصوصاً الكتابية منها، فإن الباحث سيجد في الإسلام الحق الذي يميزه ويفضله على أي دين سبقه.

ونستخلص من ذلك أن علم مقارنة الأديان من العلوم الإسلامية التي يجب على علماء الإسلام عدم إغفالها في دراساتهم، ومؤلفاتهم وكتاباتهم حتى يتبين الحق للدارس وللقارئ، لما يمتاز به الإسلام من قوة الحجة وسلامة القصد أمام أعداء الإسلام، وكثير ما هم.

ومما تجدر الإشارة إليه أن هذا العلم يعتبر ثغراً من ثغور الإسلام، يجب على المسلمين عامة وأولي الأمر منهم خاصة – سواء في الدين والدنيا – النهوض به، وجعله مادة أساسية في معاهدهم وجامعاتهم، فما اعتنق الإسلام واحد ممن يعتد به إلا بعد أن سلك هذا الطريق، ودرس ذلك العلم، ولنضرب على ذلك المثالين الآتين أحدهما من الشرق والآخر من الغرب.

١ – فالذي من الشرق فهو من دعا نفسه بعد إسلامه محمد فؤاد الهاشمي، وقد كان واحداً من رجال الدين المسيحي، ويقول عن نفسه: إنه بعد أن أكمل دراسته اللاهوتية تحول إلى البحث في الدين الإسلامي، ولم يكن قصده من ذلك البحث في الإسلام بل استخراج العيوب، وتلمس الأخطاء والوقوف على المتناقضات التي أوحى بها

إليه أهله من النصارى وأساتذته من الكهنة، ولكن ما كاد يطرق الباب، ويمسك بأول الخيط حتى دخل باب المقارنة بين الإسلام وماسبقه من الأديان، وخرج من تلك المقارنة وقد استولى عليه سحر الحقيقة الناصعة والمبادئ الوضاعة والتعاليم الصريحة للإسلام، لا اعوجاج فيها ولا التواء، ولا سلطان لكاهن ولا طغيان لأخبار، بل وجد لكل سؤال جواباً شافياً، ووجد فصل الخطاب بينما لم يستطع أي دين سابق أن يعطي في ذلك الجواب وجد أن ما زعموه في الإسلام عيوباً كانت مزايا له، وما ظنوه متناقضات كان حكماً وأحكاماً فصلت لأولي الأبواب، وأن ما عابوه على الإسلام كان علاجاً للبشرية التي طالما تردت في بيداء الظلمات، حتى أخرجها الإسلام من الظلمات إلى النور، وهدى للناس بإذن ربهم إلى صراط مستقيم، صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً! غير المغضوب عليهم، ولا الضالين الذين ضلوا وأضلوا، ودخلوا بالناس أبواباً من الكفر والشرك والإلحاد^(١).

٢ - والمثال الثاني من الغرب وهو (فيدور إيفان جفرنور). فنزولي الجنسية، من مواليد مدينة كلاكاس بأمريكا الجنوبية؛ يقول عن نفسه إنه كان مسيحياً كاثوليكياً درس في المدارس الكاثوليكية بمدينة نيويورك، ولكنها تركت انطباعات سيئة في نفسه، ثم درس البوذية والهندوكية وبعض الديانات الوثنية، لكنه لم يجد فيها راحته، ولما أراد الاطلاع على الإسلام لم يسهل عليه ذلك في بادئ الأمر، لأن المؤسسات اليهودية بأمريكا، والتي كانت تتحكم في وسائل الإعلام من صحافة وسينما ومسرح وكل شيء أبعدت عن مجالها كل ما يشير إلى الإسلام من قريب أو بعيد، خصوصاً بعد أن تحول إلى الإسلام قسم دراسي بأكمله، ولما اطلع على بعض ما كتبه المنصفون عن الإسلام، وقرأ ترجمة أمينة لمعاني القرآن الكريم، فوجد تعبيراً دقيقاً عن أعماق نفسه، بصورة مطابقة لفطرته التي تذكرها، وهو يتدبر في معانيه، ووجد فيه تلبية لكل حاجاته الروحية، لذلك فقد قرر أن يعتنق الإسلام وتسمى باسم فارض رحمة الله^(٢).

ومن العجب حالياً في بلادنا الإسلامية أنه إذا ألف أحد المتخصصين بحثاً أو كتاباً

(١) كتاب الأديان في كفة الميزان تأليف محمد فؤاد الهاشمي، وقد كان من رجال الكهنوت المسيحي في مصر قبل إسلامه.

(٢) كتاب «في الدعوة إلى الإسلام بين غير المسلمين» للمؤلف.

في علم مقارنة الأديان نجد المسؤولين في وزارات الإعلام يقفون أمام نشره بمقولة الخشية من تفتيت الوحدة الوطنية، وأن منع نشر مثل هذه الأبحاث والكتب داعية من دواعي الأمن، ولكن هذه حجة واهية، وتبرير مدحوض طبقاً لما ذكره الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم:

﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض، كما استخلف الذين من قبلهم، وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً، يعبدونني لا يشركون بي شيئاً، ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون﴾ [سورة النور: الآية ٥٥].

وليس التمكين بغير جهد مبذول، ولا بغير دعوة مستمرة إلى الله وإلى نشر دينه الإسلام، سواء باللسان أو بالقلم، ومنه البحث والكتابة في ذلك العلم؛ علم مقارنة الأديان، فإن ذلك فوق أنه أداء واجب ديني، هو السبيل لسيادة الأمن والسلام في بلاد الإسلام.

*
**

(٢)

التوراة كتاب اليهود المقدس

من المسلّم به لدى معتنقي الأديان السماوية أن الله سبحانه وتعالى أنزل على نبيه موسى بن عمران عليه السلام كتاب «التوراة»، فيه هدى ونور، يتضمن العقيدة والشرعية، وألزم قومه اليهود اتباع ما جاء في هذا الكتاب، وكذا الالتزام بأحكامه. قال تعالى في القرآن الكريم مذكراً بني إسرائيل بتلك المنة الكبرى والنعمة العظمى:

﴿وإذ واعدنا موسى أربعين ليلة ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون، ثم عفونا عنكم من بعد ذلك لعلكم تشكرون، وإذ آتينا موسى الكتاب والفرقان لعلكم تهتدون﴾ [سورة البقرة: الآيات ٥١، ٥٢، ٥٣].

وقال سبحانه: ﴿إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء﴾ [سورة المائدة: الآية ٤٤].

وإلى هذا يشير العهد القديم في الكتاب المقدس في قوله:

(هذا هو الكلام الذي كلّم به موسى جميع إسرائيل في عبّر الأردن في البرية. . . ففي السنة الأربعين في الشهر الحادي عشر في الأول من الشهر كلّم موسى بني إسرائيل حسب كل ما أوصاه الرب إلههم) [الإصحاح الأول من سفر التثنية، عدد ١، ٢، ٣ من العهد القديم].

كما يشير إلى ذلك هذا السفر في قوله: (وهذه هي الشريعة التي وضعها موسى أمام بني إسرائيل، هذه هي الشهادات والفرائض والأحكام التي كلّم بها موسى بني إسرائيل

عند خروجهم من مصر) [الإصحاح الرابع من سفر التثنية، عدد ٤٤، ٤٥].

والتوراة في مفهومها المجرد عند أهل الكتاب المعاصرين، وهم اليهود والنصارى، لا تعني إلا أسفار موسى الخمسة، وهي: (التكوين، والخروج، واللاويين، والعدد، والتثنية). أما باقي الأسفار وتدعى أسفار الأنبياء بعد موسى فقد ألحقت بعد ذلك بالأسفار الخمسة المشار إليها. ويذكر المؤرخون من أهل الكتاب أن موسى عليه السلام حرّر كتاب التوراة (وهي الأسفار الخمسة المذكورة) ثلاث عشرة نسخة؛ أعطى لكل سبط من الاثني عشر سبطاً من اليهود نسخة، والنسخة الباقية وضعها في تابوت العهد المقدس^(١)...

كما خصّص موسى عليه السلام أخاه هارون عليه السلام ونسله من بعده من سبط (لاوي) ليكون منهم الكهنة والأخبار وجميع الرئاسات الدينية على بني إسرائيل، وما يستتبع ذلك من الحكم بشريعة التوراة، واستنباط ما تحتاج إليه الشريعة من أحكام من نصوص التوراة في القضايا والمشاكل التي تعرض عليهم^(٢).

ولكن هل بقي نص التوراة على ما هو عليه نصاً واحداً؟

يقرر المؤرخون أن التوراة ظلت صحيحة في أيدي اليهود لم يغيروا منها حرفاً واحداً إلى زمن الأسر البابلي عندما حاربهم نبوخذ نصر ملك بابل، وهزمهم وأسر كثيراً منهم، ولكن بعد ذلك حدث أن اتفق اليهود في مدينة بابل بعد سنة ٨٦ قبل الميلاد على إحداث تغيير في النص المقدس، لأنهم وهم في الأسر لما تأكدوا من إدبار الدنيا عنهم، وإقبال الخير على بني إسماعيل بعد سنوات غير طويلة، رأوا أن يحتفظوا بكيان مستقل لهم إلى الأبد، ومن أجل ذلك كتب لهم أحد الكهنة كتاب التوراة على المبادئ الآتية - خصوصاً وأن النص الأصلي أبيد خلال هزيمتهم - :

١ - إن الله تعالى إله واحد؛ ولكن ليس للعالمين، بل لبني إسرائيل - وهم اليهود كما غلب على تسميتهم - من دون الناس.

(١) كتاب نصوص التوراة السامرية باللغة العربية - تعريب المحقق الدكتور أحمد حجازي السقا، نشر مكتبة دار الأنصار.

(٢) المرجع السابق.

٢ - شريعة التوراة أنزلها الله تعالى ، ولكن ليست للعالمين ، بل لبني إسرائيل من دون الناس .

٣ - إن النبي الذي تنتظره الأمم ، والذي أخبر عن مجيئه النبي موسى عليه السلام سوف يأتي ، ولكن ربما يكون من بني إسرائيل لا من بني إسماعيل .

ولما انتهى الكاهن المذكور من تحريراته على المبادئ السابقة عرضها عليهم ، فسروا بها ، وتمسكوا بنصوصها المبتدعة ، العبرانيون منهم والسامريون^(١) .

كيف اختلفت التوراة العبرانية عن التوراة السامرية بعد ذلك؟

لما رجع بنو إسرائيل بعد سبيهم من بابل بالتوراة المستحدثة ، وسكن العبرانيون في مدنها بأرض فلسطين ، وسكن السامريون في مدنها ، ظهر عداً شديداً بين العبرانيين وبين السامريين ، بسببه اختلفت التوراة العبرانية عن التوراة السامرية .

ورغم أن اليهود السامريين واليهود العبرانيين متفقون في :

١ - وحدانية الله وعظمته .

٢ - وأنه يصطفي من الملائكة رسلاً ومن الناس .

٣ - وأنه سوف يرسل نبياً مثل موسى عليه السلام .

٤ - وأنه سيجازي الناس على أعمالهم^(٢) .

إلا أنهم يختلفون في أمور أهمها :

١ - أسفار الأنبياء : فإن العبرانيين يعترفون بها والسامريين يرفضونها .

٢ - النص على يوم القيامة : فإن العبرانيين لم يصرحوا به في أسفار موسى الخمسة ، وإنما صرحوا به في أسفار الأنبياء ، وصرح به السامريون في أسفار موسى الخمسة ، ومع تصريح العبرانيين به في أسفار الأنبياء اختلفوا فيما بينهم في البحث :

(أ) فقال البعض : إنه يكون يوم القيامة بالجسد والروح .

(ب) وقال آخرون : إنه بالروح دون الجسد .

(١) كتاب نصوص التوراة السامرية .

(٢) المرجع السابق ص ٦ .

٣ - جبل جرزيم في فلسطين يقدسه اليهود السامريون، ويتجهون إليه في الصلاة والحج، أما العبرانيون فيقدسون جبل صهيون.

٤ - يزعم السامريون أن النبي الذي سيرسل آخر الزمان من آل يوسف، والعبرانيون يعتقدون أنه من نسل داوود، وقد تغيرت نظرة اليهود العبرانيين اليوم إلى السامريين، فينظرون إليهم الآن على أنهم إخوة، وإن اختلفوا معهم في بعض الآراء والمفاهيم، وفي ذلك يقول اليهودي العبراني (عزرا حداد) عن السامريين:

(إن حدة الجفاء المستحكم بين السامريين واليهود العبرانيين قد خفّت بتأثير موجة الاضطهاد التي غمرت الفريقين، فقتربت المصائب بينهما، بل صاروا يمتشجون ببعض الشعائر الموسوية وحرصهم الشديد على تطبيقها).

والسامريون عندهم اعتقاد راسخ أنهم من بني إسرائيل من آل يوسف الصديق، يتبعون النصوص الحرفية لأسفار موسى الخمسة، ومنطوقها الحرفي الشديد، والحرص على حرمة السبت، لا يرى عندهم فيه نار ولا نور، يصومون يوم الكفارة مثل سائر اليهود العبرانيين، لكنهم يشددون فيه، فلا يستثنون منه حتى الأطفال المرتضعين، وفي عيد الفصح يحجون إلى جبل الجرزيم فينحرون الذبائح هناك، مثل ما كان يفعل الإسرائيليون قديماً على جبل القدس، ويسمون الحجر الذي ينحرون عليه أضحيتهم بالصخرة تشبيهاً بالصخرة المقدسة المعروفة في مدينة القدس^(١).

وجه الخلاف بين الكتابة السامرية والكتابة العبرانية:

الكتابة السامرية تنقصها ثلاثة أحرف على الخط العبراني، ذلك أن السامريين قد احتفظوا بالخط العبراني القديم، في حين اقتبس اليهود العبرانيون الخط الآشوري المربع بعد عودتهم من سبي بابل، ومن يقرأ كتاب التوراة سواء السامرية أو العبرانية، وكذا ترجمتها اليونانية، لا يعتقد أن موسى عليه السلام هو كاتبها، بل يجزم أن الكاتب شخص غيره. ومثال ذلك:

١ - ففي سفر الخروج يقول الكاتب:

(١) كتاب نصوص التوراة السامرية.

(وأكل بنو إسرائيل المنّ أربعين سنة حتى جاءوا إلى أرض عامرة) [سفر الخروج: إصحاح ١٦، عدد ٣٥].

٢ - وفي سفر العدد يقول الكاتب:
(وأما الرجل موسى فكان حليماً جداً أكثر من جميع الناس على وجه الأرض) [سفر العدد: إصحاح ١٢، عدد ٣].

٣ - وفي سفر التثنية يقول الكاتب:
(فمات هناك موسى عبد الرب في أرض موآب حسب قول الرب ودُفن في الجواء في أرض موآب مقابل بيت فغور، ولم يعرف إنسان قبره إلى هذا اليوم) [سفر التثنية: إصحاح ٣٤، عدده ٥ - ٦].

إذاً مَنْ هو الكاتب لتوراة موسى بعد سبي بابل؟

١ - لا يوجد في التوراة ما يدل على اسم هذا الكاتب، لكن يشتهر في أن الكاهن (عزرا) هو ذلك الكاتب وهذا من عبارات وردت في سفر عزرا وسفر نحميا.

٢ - ومما يؤيد هذا النظر ما قرره الفيلسوف اليهودي العبراني سبينوزا في كتابه (رسالة اللاهوت والسياسة) من أن موسى لم يكتب هذه التوراة، ولا يمكن أن يشتهر إلا في أن (عزرا) كتبها في بابل أثناء سبي نبوخذ نصر لهم، واستشهد بعبارات للحبر اليهودي إبراهيم بن عزرا^(١).

واليهود السامريون يقولون: إن التوراة كتبها عزرا، وساعده بقوته زربابل بن شالثيل، وهؤلاء السامريون أقل عدداً نسبياً في الأفراد والأموال عن غيرهم من الفئات التي تعتمد في عقيدتها على العهد القديم^(٢).

ولكن هل بقي نص التوراة العبراني على ما هو عليه نصاً واحداً؟

يقرر العلامة والطبيب الفرنسي (موريس بوكاي) في كتابه (دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة)^(٣): أن عالم الأديان (أدموند جاكوب) في دراساته للعهد

(١) رسالة في اللاهوت والسياسة، تأليف اسبينوزا، ترجمة حسن حنفي، ص ٢٧٧.

(٢) المرجع السابق.

(٣) تنشره حالياً مكتبة دار المعارف بالقاهرة.

القديس يذكر أنه حتى القرن الثالث قبل الميلاد تقريباً لم يكن هناك نص واحد للتوراة، بل كان هناك على الأقل ثلاث مدونات للنص العبري، وهي:

- ١ - النص المحقق (الباسوري).
- ٢ - والنص الذي استخدم جزئياً على الأقل في الترجمة اليونانية.
- ٣ - والنص المعروف بالساموري.

ثم بين موريس بوكاي أن كلمة (توراة) اسم سامي، أما التعبير اليوناني الذي أعطى كلمة Pentateuque الفرنسية فهي تعني مؤلفاً يتكون من خمسة أجزاء، وهي التي أشرنا إليها آنفاً وهي أسفار التكوين والخروج واللاويين والعدد والثنية.

وشبهه بذلك التفصيل لنسخ التوراة ما قرره حجة الإسلام أبو المعالي عبد الملك بن يوسف الجويني إمام الحرمين في رسالته (شفاء الغليل)، فقد ذكر أن نسخ التوراة المنسوبة إلى موسى عليه السلام ثلاث نسخ وهي^(١):

- ١ - النسخة العبرانية وهي التي بأيدي اليهود الآن.
- ٢ - ونسخة التوراة اليونانية أو السبعينية وهي التي بأيدي النصارى الآن، ويدعون بالمسيحيين.

٣ - ثم التوراة السامرية.

ويذكر المؤرخون أنه لما حارب (نبوخذ نصر) ملك بابل بني إسرائيل، وانتصر عليهم قسمهم إلى مجموعات ثلاثة، فقد استبقى في الأرض المغلوبة قسماً وأخذ معه قسماً آخر سباه في بلاده، أما القسم الثالث فقد أعمل فيه القتل والذبح^(٢).

ولم يسلم كتاب التوراة من تلك المحنة، فقد قيل إنه أبيد، وانتهى أمره بمعرفة الغزاة البابليين في ذلك الزمان، ولما أقام (قورش) ملك الفرس دولته حارب البابليين، وهزمهم وقضى على دولتهم، ثم رد أسرى بني إسرائيل إلى بلادهم وعندئذ قام هؤلاء العائدون (كما قدمنا) بتكليف واحد منهم يدعى (عزرا) بتنظيم شؤونهم، وإعادة كتابة

(١) كتاب شفاء الغليل لأبي المعالي عبد الله بن يوسف الجويني.

(٢) كتاب على التوراة تأليف الشيخ علي بن محمد بن عبد الرحمن بن خطاب علاء الدين الباجي الشافعي، تحقيق الدكتور أحمد حجازي السقا صفحة ١٠.

توراتهم من جديد، فحررها وكان ذلك قبل بعثة المسيح عليه السلام بنحو من (٥٤٥) سنة لكنها لم تلقَ قبولاً كافياً من الإسرائيليين السامريين.

التوراة اليونانية:

هي ترجمة للتوراة العبرانية، ولقد قام بها سبعون كاهناً من أحبار اليهود، وذلك في مدينة الإسكندرية في عهد الملك بطليموس فيلادلف خلال الفترة من ٢٨٥ إلى ٢٤٧ قبل الميلاد، واقتصرت تلك الترجمة على أسفار موسى الخمسة، وبها فروق في ألفاظ ومعاني كثيرة بينها وبين التوراة العبرانية، وكذا التوراة السامرية، ثم ترجم المترجمون أسفار الأنبياء الموجودة بالتوراة العبرانية، وعددها ٣٤ سفرًا إلى اللغة اليونانية، وضموها إلى ترجمة الأسفار الخمسة الأولى، وقد عرف تلك الترجمة بالترجمة السبعينية.

ويبدو أن المترجمين للتوراة تعمدوا إحداث تغيير في بعض نصوصها المترجمة، لتصير تلك الترجمة غير معتبرة التقديس حتى يرجع الناس هناك إلى الأصل، وهي التوراة العبرانية، إلا أنه لما اعتنق حكام الدولة الرومانية ملة النصرانية اعترفوا بسلامة التوراة اليونانية، وفضلوها على غيرها، ولذلك فهي معتبرة التقديس عند جميع طوائف النصرانية، سواء كانوا من الكاثوليك أو من الأرثوذكس.

وبقي الحال على ذلك حتى ظهور مذهب البروتستنت بزعامه (مارتن لوثر) وانشقاقه هو وأتباعه على الكنيسة الكاثوليكية، فرفضوا التوراة اليونانية، واعتبروها غير مقدسة لديهم، ورجعوا إلى نصوص التوراة العبرانية، التي حررها عزرا، واعتبروها هي الواجبة التقديس، وما يزالون يقدسونها إلى يومنا هذا.

القرآن الكريم ينعي على اليهود التغيير والتبديل في التوراة:

يقول الله سبحانه وتعالى عنهم: ﴿فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً، فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون﴾ [سورة البقرة: الآية ٧٩].

ويقول جلّت كلماته:

﴿ولقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيباً، وقال الله إنّي معكم لئن أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وآمنتم برسلي وعزّرتُمهم وأقرضتم الله قرضاً حسناً لأكفرنّ عنكم سيئاتكم ولأدخلنكم جنات تجري من تحتها الأنهار، فمن كفر بعد ذلك

منكم فقد ضلَّ سواء السبيل. فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وجعلنا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ، وَلَا تَزَالُ تَطَّلُعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ، إِنَّ اللَّهَ يَحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿[سورة المائدة: الآيتان ١٢، ١٣].

ففي الآية الأولى يتوعد الله سبحانه وتعالى بالهلاك هؤلاء الذين يحررون التوراة بالتحريف في كتابتها كما يدسّون فيها أكاذيبهم، موهمين الناس أنها من عند الله، ليحملوهم على اعتقادها، يبتغون بهذا الفعل ثمناً قليلاً، هو الاحتفاظ بالرياسة، وأكل أموال الناس بالباطل، وهم بهذا يرتكبون أكبر جريمة، وهي افتراء الكذب على الله، ويختارون الباطل، وينبذون الحق فيكونون بذلك كمن يبيع شيئاً نفيساً ذا قيمة بثمان تافه.

وفي الآية الثانية: أخذ الله العهد على بني إسرائيل أن يعملوا بما في التوراة من فرائض وأحكام، وأمر سبحانه أن يختار موسى عليه السلام منهم اثني عشر رئيساً دينياً، يتولون أمور الأسباط، ويقومون على رعايتهم، وقال الله:

إني معكم بالنصر والتأييد على أعدائكم، إذا قمتم بأداء الصلاة، وإيتاء الزكاة، وأمتم بجمع رسلي، ونصرتهم وجاهدتم الأعداء معهم، وأنفقتم المال في سبيل الله عن طيب نفس، فيغفر ذنوبكم ويدخلكم في الآخرة الجنة، تتمتعون بما فيها من نعيم خالد، أما من كفر بهذا الوعد، فقد حاد عن صراط الله السوي، ولكن بني إسرائيل لم يوفوا بعهدهم، ونقضوا الميثاق الإلهي، فعاقبهم الله بطردهم من رحمته، وأورث قلوبهم الغلظة والقسوة، فهي لا تلين ولا تنفذ إليها الموعظة، ولا تؤثر فيها الحجة، لذلك فهم يغيرون كلام الله في التوراة بالمحو والإثبات والزيادة والنقصان وسوء التأويل، بل أعرضوا عن بعض ما أمروا به في التوراة، من اتباع النبي الأمي وهو رسول الله محمد ﷺ والإيمان به.

ثم إن الغدر والخيانة عادة مستمرة في هؤلاء اليهود، ومتنقلة فيهم من الأصول إلى الفروع فلا تزال - أيها الرسول - تطلع من هؤلاء اليهود المعاصرين على خيانة إثر خيانة، فهم قوم لا عهد لهم ولا وفاء عندهم.

لقد دمغتهم الكتب السماوية بالغدر والخيانة والقسوة، ونعت عليهم كثيراً من الصفات الذميمة:

(أ) فهذا نبهم إرميا يرميهم بالكذب والسرقة والزنى والشرك، وأنهم حولوا

بيت الله إلى مغارة لصوص [سفر أرميا: إصحاح ٧، عدد ٨ - ١١] .

(ب) كما رماهم المسيح عليه السلام بأنهم مثل القبور المبيضة من الخارج، المليئة بالجيف من الداخل، ووصفهم بأنهم الحيات - أولاد الأفاعي - وأنهم قتلوا الأنبياء والحكماء، وجعلوا بيت الله مغارة لصوص [إنجيل متى: إصحاح ٢٣، عدد ١٣، ١٤، ١٧، ٢٣ - ٣٥] .

هل شهد للإسلام أحد من اليهود حديثاً:

نعم شهد للإسلام من اليهود العبرانيين، شموئيل بن يهوذا بن أيوب، كان يقيم في مدينة فاس بأقصى المغرب، اشتغل بعلوم التوراة، ثم اطلع على سائر العلوم المتعارفة في وقته، وقد توفي سنة ٥٧٠هـ بعد أن حرر رسالة وافية عن الإسلام، سمّاها (بذل المجهود في إفحام اليهود). والمطلع عليها يتبين له اعتناقه للإسلام وإقراره بنبوة الرسول محمد ﷺ^(١).

ومن اليهود السامريين الذين اعترفوا بالإسلام، ولم يسلموا (أبو الفتح ابن أبي الحسن السامري الدنقي) مؤلف كتاب (التاريخ مما تقدم عن الآباء)، فقد كتب عن النبي محمد ﷺ ومنها قوله: (ومحمد ما أساء إلى أحد من أصحاب الشرائع...).

وقوله: (وجاء في نقل السلف عن محمد...)^(٢).

وفي مصر أسلم من اليهود المصريين الأستاذ زكي عريني المحامي، ويبدو أنه كان من اليهود العبرانيين وقصة إسلامه مشهورة، نشرتها جريدة الأهرام القاهرية سنة ١٩٥٩، وفيها يقول عن نفسه قبل إسلامه: (لماذا اقتصرت عبادتي لله على صورة واحدة؟ ولماذا لا أعبد على دين الحنيفية؟ على الدين الإسلامي؟ وخاصة أن الإسلام وجدان بالقلب وعقيدة بالفعل).

ثم يتكلم عن الشريعة الإسلامية فيقول: (نشأت ونهضت بعد رسول الله ﷺ مباشرة إذ ما جاوز العصر الإسلامي الأول حتى وضع أصولها، وقواعدها الأئمة الأربعة بحيث

(١) كتاب بذل المجهود في إفحام اليهود، تأليف الحبر شموئيل بن يهوذا، تحقيق الدكتور محمد عبد الله الشرقاوي.

(٢) كتاب التوراة السامرية، المرجع السابق ص ١٩.

انتهى كل منهم في دراسته للشريعة بقانون متكامل وشريعة وصلت حد الكمال).

وعن الإسلام يقول:

(تسألت ما هو مبدأ هذا الدين الأصيل؟ ثم يجيب نفسه: وجدته حقيقة أزلية عرفها إبراهيم عليه السلام، وكذلك عرفها جميع الأنبياء قبله وبعده، ولم تستوقفني تلك الحقيقة بالرغم من أزليتها، ولكن الذي استوقفني فعلاً حقيقة أخرى خالدة وهي الرسالة المحمدية، حقيقة محمد نفسه، هذا الرجل الذي أرسله ربه في صحراء قاحلة جرداء جدياء، حيث لا ثقافة لأهلها ولا معرفة، اللهم إلا القليل من الثقافة ومن المعرفة، هذا الرجل من جاء إليه بالقرآن؟... أيقنت حينئذ أن القرآن لا بد أن يكون من وراء الحجب وأن يكون من عند الله^(١)).

ومن أصدق من الله قيلاً، ومن أصدق من الله شهادة، يقول جلّت كلماته:

﴿لكن الله يشهد بما أنزل إليك، أنزله بعلمه، والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيداً﴾ [سورة النساء: الآية ١٦٦].

**

(١) كتاب نظرات على طريق الإسلام، في الدعوة إلى الإسلام بين غير المسلمين، تأليف المستشار محمد عزت الطهطاوي.

(٣)

اليهود

وميلهم الفطري إلى الوثنية

كان الإسرائيليون أو اليهود – كما غلب على تسميتهم – في ابتداء أمرهم أمة توحيد تدين بعقيدة الإله الواحد، وقد جاء في التوراة ما يشير إلى ذلك عند إبلاغ موسى عليه السلام قومه من اليهود وهو في الجبل بالوصايا التي يجب أن يسيروا عليها في حياتهم ليكونوا مؤمنين، وأهم هذه الوصايا الاعتقاد بالله الواحد، مثال ذلك القول المنسوب إلى الله في سفر الخروج:

(أنا الرب إلهك الذي أخرجك من أرض مصر من بيت العبودية، لا يكن لك آلهة أمامي، لا تصنع لك تمثالاً منحوتاً، ولا صورة مما في السماء من فوق، وما في الأرض من تحت، وما في الماء من تحت الأرض، لا تسجد لهم ولا تعبدن، لأنني أنا الرب إلهك إله غيور).

[انظر سفر الخروج: الإصحاح ٢٠، من عدد ٢ إلى عدد ٥ من العهد القديم في الكتاب المقدس].

إلا أنه مع مرور الزمن اضمحلت عقيدة اليهود في التوحيد، ومالوا بطبعهم إلى الوثنية، فاستبدلوا بجلال الوحدانية وسمو تكريمها لله الواحد الأحد الخالق القديم، عبادة الحجر الذي لا يسمع ولا يبصر، وعبادة البشر الذي لا يغني لهم شيئاً، فخرجوا بذلك على التعاليم الإلهية، حتى سمّوا في أسفار العهد القديم من الكتاب المقدس بالبيت المتمرّد.

فقد ورد عنهم في سفر حزقيال قوله:

(قد جعلت جبهتك كالماس، أصلب من الصوان، فلا تخفهم، ولا ترتعب من وجوههم، لأنهم بيت متمرّد).

[سفر حزقيال: إصحاح ٣، عدد ٩].

وهذه الروح الوثنية التي كانت متسلطة على اليهود، جعلتهم لا يراعون لنبي الله موسى، ولا لأخيه هارون عليهما السلام حرمة، إذ انحرفوا إلى عبادة الأصنام في حياة هذين النبيين الكريمين، من دون أيّ حياء، وقد ورد ما يشير إلى ذلك في سفر الخروج في الإصحاح ٣٢ من عدد ٧ إلى ٩، القول المنسوب إلى الله لموسى عليه السلام خلال صعوده الجبل لمناجاته:

(فقال الرب لموسى: اذهب انزل لأنه قد فسد شعبك الذي أصعدته من أرض مصر، زاغوا سريعاً عن الطريق الذي أوصيتهم به، صنعوا لهم عجلاً مسبوكاً، وسجدوا له، وذبحوا له، وقالوا: هذه آلهتك يا إسرائيل التي أصعدتك من أرض مصر، وقال الرب لموسى رأيت هذا الشعب وإذا هو شعب صلب الرقبة).

وعبادة اليهود للعجل المسبوك على شكل الحيوانات تمثل ديانة التوتمية في تقدس الحيوانات.

ولما توفي موسى وهارون عليهما السلام تمادى اليهود في عصيان أوامر الله، والانسياق إلى عبادة الأصنام فجلبوا من الأمم المحيطة بهم، وأقاموها في أنحاء شتى بمدنهم في المرتفعات وعلى الطرق، بل أقاموا لبعضها سدنة وكهنة، يقدمون لها النذور ويحرقون لها البخور، ولم يستمعوا لنصح أنبيائهم لهم، حتى لقد هددهم الله بالقتل في قوله لهم: (وأضع جثث بني إسرائيل قدام أصنامهم وأذري عظامكم حول مذابحكم) [انظر سفر حزقيال: في الإصحاح ٦، عدد ٥].

شغف اليهود بعبادة العجل:

— ثم إن شغفهم بالعجل وتقديسهم له أدى بهم إلى أنه كان لا يخلو عند اليهود معبد ملكي من وجوده فيه، أو وجود صورته فيه، وقد أشار إلى ذلك سفر الملوك الأول في الإصحاح الثاني عشر، عدد ٢٥ — ٣١، في قوله:

(وبني بريعام شكيم في جبل أفرام وسكن بها... فاستشار الملك وعمل عجلاً ذهب، وقال لهم: كثير عليكم أن تصعدوا إلى أورشليم، هوذا آلهتك يا إسرائيل الذين أصعدوك من أرض مصر، ووضع واحداً في بيت إيل وجعل الآخر في دان، وكان هذا الأمر خطية، وكان الشعب يذهبون إلى أمام أحدهما حتى إلى دان).

— ومعبد أورشليم كان حتى عصر الملك حزقيا ملك يهوذا (القرن الثامن ق. م) يشتمل على حية معدنية تعرف باسم (نحشتان) وهي تمثل الإله وترمز إليه وكان خادم المعبد ييخرها، ويزعمون أنها ترجع إلى عهد موسى عليه السلام، فقد ورد في الإصحاح الثامن عشر من سفر الملوك الثاني، عدد ١ - ٤، قوله:

(وفي السنة الثالثة لهوشع بن أيلة ملك إسرائيل ملك حزقيا بن آحاز ملك يهوذا... وعمل المستقيم في عيني الرب حسب كل ما عمل داود أبوه، هو أزال المرتفعات وكسر التماثيل وقطع السواري وسحق حية النحاس التي عملها موسى، لأن بني إسرائيل كانوا تلك الأيام يوقدون لها ودعوها: نحشتان).

— كما كانوا يقدسون صوراً ترمز إلى الإله وتعرف باسم (ترافيم) يزعمون أن بيت النبي داود عليه السلام كان عامراً بها. فقد ورد في سفر صموئيل الأول: الإصحاح ١٩، عدد ٩ - ١٣، قوله:

(وكان الروح الردي من قبل الرب على شاول وهو جالس في بيته ورمحه بيده، وكان داود يضرب باليد فالتمس شاول أن يطعن داود بالرمح... فهرب داود ونجا تلك الليلة... فأخذت ميكال الترافيم ووضعتها في الفراش، ووضعت لبدة المعزى تحت رأسه وغطته بثوب).

— بل إنهم عبدوا النار، وبنوا المرتفعات التي في وادي ابن هتوم، ليجيزوا أبناءهم وبناتهم في النار (لمولك) الذي كان وثناً من أوثنان الفينيقيين، وإلى هذا أشار سفر أرميا في الإصحاح ٣٢، عدد ٣٤، ٣٥، فيقول:

(بل وضعوا مكرهاتهم في البيت الذي دعي باسمي، لينجسوه، وبنوا المرتفعات للبعل التي في وادي ابن هتوم، ليجيزوا بنينهم وبناتهم في النار لمولك، الأمر الذي لم أوصهم به، ولا صعد على قلبي ليعملوا هذا الرجس، ليجعلوا يهوذا يخطيء).

فكانوا يضعون الأطفال فوق ذراعي الصنم مولك الممدودتين فتبهطان بهم بعد إيقاد النيران تحته، وبذلك قتل اليهود كثيراً من أطفالهم بهذه العبادة الحقيرة.

وهم بذلك تشبَّهوا بالمجوسية في تقديسهم للنار.

ثم نقل اليهود عبادة الأصنام إلى البيت المقدس في أورشليم (مدينة القدس)،

فملاؤا بها مقاصير العبادة، وحجراتها، وإلى هذا يشير سفر حزقيال في الإصحاح ٨، عدد ١٠، ١١ فيقول:

(فدخلت ونظرت وإذا كل شكل دبابات وحيوان نجس وكل أصنام بيت إسرائيل مرسومة على الحائط، على دائرة، وواقف قدامها سبعون رجلاً من شيوخ بيت إسرائيل . . . وكل واحد مجمرته في يده وعطر عنان البخور صاعد).

ثم تطرق الحال ببعضهم إلى أن عبدوا الشمس وسجدوا لها، وقد نص على ذلك سفر حزقيال في الإصحاح ٨، عدد ١٦، فيقول عن أحد أماكن الصلاة:

(عند باب هيكل الرب بين الرواق والمذبح نحو خمسة وعشرين رجلاً ظهورهم نحو هيكل الرب ووجوههم نحو الشرق، وهم ساجدون للشمس نحو الشرق).

وهذه العبادة تمثل عقيدة الصابئة في عبادتهم للكواكب والنجوم، ثم عبدوا البعلیم والبلع وعشتاروت، وإلى هذا يشير سفر القضاة في الإصحاح الثاني، عدد ١١، ١٢، ١٣، فيقول:

(وفعل بنو إسرائيل الشر في عيني الرب، وعبدوا البعلیم، وتركوا الرب إله آبائهم الذي أخرجهم من أرض مصر وساروا وراء آلهة أخرى من آلهة الشعوب الذين حولهم، وسجدوا لها وأغاظوا الرب، تركوا الرب وعبدوا البعل وعشتاروت).

ولم يكتفوا بذلك بل إنهم عبدوا (كوشان رشعتايم) ملك آرام وإلى هذا يشير سفر القضاة في الإصحاح الثالث، عدد ٨، فيقول:

(فحَمِي غضب الرب على إسرائيل فباعهم بيد كوشان رشعتايم ملك آرام فعبد بنو إسرائيل كوشان رشعتايم ثمانين سنة).

كما عبدوا عجلون ملك موآب ثمانين سنة فيقول عنهم سفر القضاة في اصحاح الثالث المشار إليه، عدد ١٤:

(فعبد بنو إسرائيل عجلون ملك موآب ثمانين سنة).

وأخيراً انتهى الأمر بفريق من اليهود إلى عبادة بعض البشر فعبدوا كاتب الشريعة (عزرا) الذي قيل عنه إنه كان يحفظ التوراة عن ظهر قلب بعد رجوعه من الأسر في بابل، قال الله تعالى في القرآن الكريم:

﴿وقالت اليهود: عُزِيزُ ابن الله، وقالت النصارى: المسيح ابن الله، ذلك قولهم بأفواههم، يضاهئون قول الذين كفروا من قبل. قاتلهم الله أنى يؤفكون﴾ [سورة التوبة: الآية ٣٠].

وعبادتهم لعزرا كانت بناء على نظرية الحلول، ونظرية الاتحاد الفاسدتين، فقد اعتقدوا أن الله حلّ أو اتحد في عزرا، هاتان النظريتان اللتان يستند إليهما النصارى أيضاً في عبادتهم للمسيح عليه السلام، فهم يعتقدون أن الله حلّ أو اتحد فيه مستندين إلى ما ورد في إنجيل لوقا مثلاً بالإصحاح الأول، عدد ٣٠، ٣١، ٣٤، ٣٥:

(فقال لها الملاك: لا تخافي يا مريم لأنك قد وجدت نعمة عند الله وها أنت ستجبلين وتلدن ابناً وتسميه يسوع... فقالت مريم للملاك: كيف يكون هذا وأنا لست أعرف رجلاً، فأجاب الملاك وقال لها: الروح القدس يحلّ عليك).

مع أنه ورد في الأسفار اليهودية أن روح الرب حلّت على بعض الأنبياء الآخرين، ولم يعتقدوا رغم ذلك أن الله حلّ فيهم، مثال ذلك ما ورد في سفر حزقيال بالإصحاح ١١، عدد ٥، قوله على لسان ذلك النبي (وحل عليّ روح الرب) ولم يقل أحد من اليهود أو النصارى أن الله حل أو اتحد في حزقيال.

ما هو سبب انحرافهم؟

يبدو أن السبب في انحراف اليهود والنصارى إلى عقيدة الاتحاد والحلول، هو ما تطرق إلى مفاهيمهم بناء على ما اندس في كتبهم بأن الله روح، وأنها التي تقوم بها الحياة، مع أن روح القدس أو روح الرب لا يعدو أن يكون الملاك المرسل بالوحي، أو بالبشارة، وإضافة الروح إلى الله هي إضافة تشريف، فيقال عنه: روح الرب أو روح الله، والإضافة كإضافة البيت والكتاب إلى الله فيقال: (بيت الله وكتاب الله)، وقد يرد روح الله أو روح الرب في أسفار أهل الكتاب بمعنى الفكر المستقيم، فقد ورد بسفر أشعيا: إصحاح ١١، عدد ١ وما بعده، في قوله:

(ويخرج قضيب من جزع يسى ويحل عليه روح الرب، روح الحكمة والفهم، روح المشورة والقوة، روح المعرفة ومخافة الرب).

أما في عقيدة الإسلام فإن الله حيّ بذاته فحياته صفة من صفات ذاته، زائدة على

بقائه وهي صفة كمال، لأن الموت صفة نقص والله سبحانه وتعالى منزّه عن جميع النقائص وواجب له الكمال.

قال تعالى :

﴿الله لا إله إلا هو الحي القيوم﴾ [سورة البقرة: الآية ٢٥٥].

وقال سبحانه :

﴿هو الحي لا إله إلا هو﴾ [سورة غافر: الآية ٦٥].

القرآن الكريم يذكر عن اليهود شيئاً من طبيعتهم المتمردة :

لقد أخذ الله على ذلك الشعب اليهودي الميثاق على أن تكون عبادتهم لله وحده خالصة، وكلفهم بأعمال الخير مثل بر الوالدين والإحسان إليهما وللأقارب واليتامى والمساكين والكلام الطيب مع الناس، وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، ومع ذلك فقد تولوا عن ذلك كله، وأعرضوا قصداً وعمداً مع أنهم يعرفونه ويذكرونه.

قال تعالى :

﴿وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل لا تعبدون إلا الله، وبالوالدين إحساناً وذي القربى واليتامى والمساكين، وقولوا للناس حسناً، وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة، ثم توليتم إلا قليلاً منكم وأنتم معرضون﴾ [سورة البقرة: الآية ٨٣].

٢ - وقال سبحانه :

﴿أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه: ما تعبدون من بعدي؟ قالوا: نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلهاً واحداً ونحن له مسلمون﴾ [سورة البقرة: الآية ١٣٣].

فهذا يعقوب جد اليهود، ويسمى إسرائيل وإليه ينتسبون، لما حضرته الوفاة، جمع بنيه الأسباط، وسألهم عن الإله الذي سيعبدونه من بعده، فأجابوه بأنهم على عهدهم حتى بعد وفاته في القيام بعبادة الله وحده، كما كان يعبد جدهم إبراهيم وجدهم إسحاق وعم أبيهم إسماعيل عليهم السلام، (وقد ذكر إسماعيل ضمن الآباء من باب التغليب، لأن إسماعيل هو عم ليعقوب)، كما قرروا أمام أبيهم أنهم مطيعون خاضعون لله تعالى وحده بإسلامهم لله، إذ الإسلام هو ملة الأنبياء قاطبة، وإن تنوعت شرائعهم واختلفت مناهجهم.

٣ - بعد أن خرج اليهود من مصر بصحبة نبي الله موسى عليه السلام حاول فرعون مصر وقتئذٍ اللحاق بهم، وورد البحر هو وجنوده على أثرهم، بعد أن فرقه موسى لقومه، وجاوزوه جميعاً إلا أن البحر أطبق على فرعون وجنوده أمام أعين اليهود، مما كان يقتضي منهم التمسك بطاعة الله والحفاظ على عقيدة التوحيد، إلا أن الشخصية اليهودية انقلبت إلى شخصية غادرة تنزع بطبعها إلى الشر والابتعاد عن مواطن الخير، لذلك فما أن اطمأنوا بنجاتهم من عدوهم فرعون، حتى طلبوا من موسى عليه السلام أن يصنع لهم (إلهاً مجسماً) ليعبدوه كتلك الأصنام التي تعبدوها الأقوام التي صادفهم بعد عبورهم البحر، ففزع موسى من جاهليتهم التي عادت إليهم بعد إكرام الله لهم، ولم يملك موسى إلا أن حذرهم من ذلك التفكير السيء، والوهم الباطل الذي راودهم، وإلى هذا يشير قوله تعالى:

﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَعُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ الْأَرْضَ وَمِغَارَ بِهَيْمَاتِهِمُ فِيهَا، وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الْحَسَنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا، وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ، وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ. وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ، قَالُوا: يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ، قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ. إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَّبِعُونَ مَا هُم فِيهِ وَبِاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ. قَالَ: أَغْيِرَ اللَّهُ أْبْغْيَكُمْ إِلَهاً وَهُوَ فَضْلُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [سورة الأعراف: الآية ١٣٧، ١٣٨، ١٣٩، ١٤٠].

وهذا التفضيل كان من الله لهم في زمانهم، وقبل أن تشرق على العالم دعوة الإسلام، ورسالة سيدنا محمد ﷺ ختام رسالات السماء، والتي بفضلها أصبحت الأمة الإسلامية خير أمة أخرجت للناس. قال تعالى عن أمة الإسلام:

﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ: تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ، وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [سورة آل عمران: الآية ١١٠].

٤ - ثم ذهب موسى عليه السلام لميقات ربه ليتلقى كتاباً فيه بيان ما يصلح قومه بعد أربعين ليلة من الصيام، وقد استخلف على قومه أخاه هارون عليه السلام، وهناك تلقى موسى من ربه الألواح فيها مواعظ وتفصيل لكل شيء من أصول الحياة المستقيمة، ولما رجع رأى من قومه ما أسف له وأثار غضبه، فقد رأى قومه قد اتخذوا لهم عجلاً من حُلِيِّ أَتَقْنَوْا صُنْعَهُ، وعكفوا على عبادته وبذلك كشف اليهود عن شخصيتهم المريضة، تلك الشخصية التي تنسلخ سريعاً عن الحق، انقياداً لما جبلوا عليه من طبع كله الشر،

فوبخهم موسى عما ارتكبوه من جرم كبير في حق الله، وبلغ به الغضب حدّاً إذ ألقي الألواح من يده، وأخذ برأس أخيه يجره إليه، وكأنه استشعر تقصيراً من جانب أخيه، إلا أن هارون عليه السلام بين له أن اليهود استضعفوه، وكادوا يقتلونه، ورجاء ألا يفعل به ما يشتمهم فيه، فلم يتمالك موسى عليه السلام إلا أن يدعو الله سبحانه وتعالى أن يغفر له، ولأخيه، ويدخلهما في رحمته بعد أن ظهرت له براءة أخيه، قال تعالى:

﴿وواعدنا موسى ثلاثين ليلةً وأتممناها بعشر فتمّ ميقات ربه أربعين ليلةً، وقال موسى لأخيه هارون: اخلفني في قومي، وأصلح، ولا تتبع سبيل المفسدين، ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه، قال: رب أرني أنظر إليك، قال: لن تراني ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني، فلما تجلّى ربه للجبل جعله دكاً، وخر موسى صعقاً، فلما أفاق قال: سبحانك تبت إليك وأنا أول المؤمنين، قال: يا موسى إني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي فخذ ما آتيتك، وكن من الشاكرين. وكتبنا له في الألواح من كل شيء موعظة وتفصيلاً لكل شيء، فخذها بقوة وأمر قومك يأخذوا بأحسنها، سأريكم دار الفاسقين. سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق، وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها، وإن يروا سبيل الرشداً لا يتخذوه سبيلاً، وإن يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلاً، ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين، والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة حبطت أعمالهم، هل يجزون إلا ما كانوا يعملون؟. واتخذ قوم موسى من بعده من حُلِيِّهم عَجَلاً جسداً له خوار، ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلاً، اتخذوه وكانوا ظالمين، ولما سَقَطَ في أيديهم ورأوا أنهم قد ضلوا قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكوننَّ من الخاسرين. ولما رجع موسى إلى قومه غضبان أسيفاً قال: بشما خلقتُموني من بعدي أعجلتُم أمر ربكم، وألقى الألواح وأخذ برأس أخيه يجره إليه، قال ابن أمّ إن القوم استضعفوني، وكادوا يقتلونني، فلا تُشِمِتْ بي الأعداء، ولا تجعلني مع القوم الظالمين، قال رب اغفر لي ولأخي وأدخلنا في رحمتك وأنت أرحم الراحمين، إن الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة في الحياة الدنيا، وكذلك نجزي المفترين، والذين عملوا السيئات ثم تابوا من بعدها وآمنوا إن ربك من بعدها لغفور رحيم﴾ [سورة الأعراف: الآيات من ١٤٢ إلى ١٥٣].

٥ - وكيف تستقيم الطبيعة اليهودية أو تثبت على الحق؟ لقد انتهى بها الأمر بأن قضى العدل الإلهي على تلك الشخصية المتمردة، أن تطرد من رحمة الله إلى يوم

القيامة، بسبب ما اختاره اليهود لأنفسهم بسوء نيتهم وأعمالهم، ولعل حكمة الله الحكيم الخبير والعليم بطبائع النفوس، اقتضت تقطيعهم تخفيفاً لشهرهم على العالمين، فوزعهم الله هنا وهناك، ليداولهم الناس بالإذلال والتكليل وإلحاق سوء العذاب بهم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها قال تعالى :

﴿وقطعناهم في الأرض أمماً منهم الصالحون، ومنهم دون ذلك، وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون﴾ [سورة الأعراف: الآية ١٦٨].

٦ - وحتى في وقتنا الحاضر لم تتغير طبيعة الشخصية اليهودية عما كانت عليه في تطاولها على قدسية الألوهية، ومقام رب العالمين فهذه جولدا مائير التي كانت رئيسة لوزراء إسرائيل إبّان حرب أكتوبر ١٩٧٣، وقد استغاثت بأمريكا وقتئذٍ تقول: (إن أمريكا هي إله إسرائيل الوحيد) ذلك أن أمريكا أقامت بينها وبين دولة إسرائيل جسراً جويّاً خلال حرب أكتوبر، نقلت إليها بواسطته أحدث السلاح والعتاد، ولولا ذلك لذقت إسرائيل هزيمة منكرة.

وتقول تلك السيدة في كتابها (حياتي):

(إنه ليس صحيحاً أن الله هو الذي اختار اليهود، ولكن اليهود هم الذين اختاروا الله، فلقد كان الناس يعبدون الأصنام، ولكن اليهود عبدوا الإله الواحد، فهم الذين اختاروا الإله الواحد، وهم الذين اختاروا التوحيد، ولذلك فليس الله هو الذي يستحق الشكر لأنه اختار اليهود، ولكن اليهود هم الذين يستحقون الشكر من الله، لأنهم هم الذين فضلوه على بقية الحيوانات والأوثان).

٧ - وما ذكرته جولدا مائير عن الله سبحانه ليس بمستغرب منها، فهي من شعب اليهود الذي انحرف بطبعه عن جادة الحق منذ فجر تاريخه حتى لتجد في (التلمود) وهو كتاب اليهود الثاني بعد التوراة، نجد اليهود (يعاتبون الله ويلعنونه ويشتمونه بأن السنّ تقدمت به، وأنه لم يعد قادراً على الرؤية والسمع وحسن التقدير، وأنه منذ تخلى عنه اليهود اختلت في يده موازين كل شيء، وكثيراً ما بكى الله بين أيديهم، وطلب منهم المغفرة وقليلاً ما غفروا له). تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً! وقد ذكر القرآن الكريم شيئاً مما قالوه عن الله بما لا يليق فمرة يقولون:

﴿إن الله فقير ونحن أغنياء﴾ [سورة آل عمران: الآية ١٨١].

ومرة يتناولون عليه بقولهم إنه بخيل :
﴿وقالت اليهود: يد الله مغلولة. غُلَّتْ أيديهم ولُعِنُوا بما قالوا﴾ [سورة المائدة: الآية ٦٤].

قضاء العدل الإلهي في اليهود:

لذلك قضى العدل الإلهي ولا راد لقضائه بطرد هذه الفئة الضالة من رحمة الله، وأن يبعث عليهم إلى يوم القيامة من ينكل بهم، ويسومهم ألواناً من العذاب، مهما حاول أعوانهم من الكافرين أمثالهم مد يد المساعدة، والمعاونة لهم فإن حبلاً مقطوع يوماً ما، طبقاً لوعيد الله، وتاريخ اليهود حافل بأحداث العذاب الدنيوي الذي تصبه البشرية عليهم صباً منذ بداية وجودهم حتى يومنا هذا، قال تعالى:

﴿وإذ تأذن ربك ليعثنَّ عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب. إن ربك لسريع العقاب وإنه لغفور رحيم﴾ [سورة الأعراف: الآية ١٦٧].

*
**

(٤)

عصمة الأنبياء ما بين أهل الكتاب والإسلام

يعتقد أهل الكتاب عامة من اليهود والنصارى أنه يجوز على أنبياء الله ورسله معصية^(١) الله في جميع الكبائر، والصغائر من الذنوب، فيما عدا الكذب في التبليغ فقط، لذلك فهم في نظرهم غير معصومين من الخطأ والخطيئة، وبتعبير أهل الكتاب يقولون: (إن الروح القدس يعصمهم فيما ينطق به على أفواههم، فتكون نبوءاتهم وأقوالهم معصومة من الخطأ، وذلك بفعل الروح القدس الذي يهيمن عليهم، فلا يخطئون فيما يقولون ولا يخطئون فيما يكتبون)، وفيما عدا ما هو موحى به إليهم، فإن الأنبياء والمرسلين غير معصومين من الخطأ والخطيئة، ويسوقون في ذلك نصوصاً من الكتاب المقدس مثالها كالاتي:

١ - (لأنه ليس إنسان لا يخطئ) [سفر الملوك: إصحاح ٨، عدد ٤٦].

٢ - (من هو الإنسان حتى يزكو أو مولود المرأة حتى يتبرّر، هوذا قديسوه لا يأتئهم، والسماوات غير طاهرة بعينيه، فبالحري مكروه وفساد الإنسان الشارب الإثم كالماء) [سفر أيوب: إصحاح ١٥، عدد ١٤ - ١٦].

٣ - وجاء في سفر المزامير: (فسدوا ورجسوا بأعمالهم، وليس من يصنع الصلاح، أطلع الرب من السماء على بني البشر لينظر هل من فاهم ملتمس لله، قد زاغوا جميعهم وتدنسوا وليس من يصنع الصلاح ولا واحد).

(١) نشر بمجلة «منار الإسلام» بالعدد الثاني عشر، السنة السادسة، ذو الحجة سنة ١٤٠١ هـ أكتوبر سنة ١٩٨١ م، واستكمل نشره بالعدد الأول السنة السابعة محرم سنة ١٤٠٢ هـ نوفمبر سنة ١٩٨١ م.

وقوله: (إن كنت للآثام راصداً يا رب يا سيد فمن يقف).

وقوله: (ولا تدخل في المحاكمة مع عبدك فإنه لن يتبرر أمامك حي).

٤ - كما ورد في سفر الأمثال: إصحاح ٢٠، عدد ٩، قوله: (من يقول إني زكيت قلبي، تطهرت من خطيئتي).

وتطبيقاً لما تقدم من مفاهيم أهل الكتاب عن عصمة الأنبياء، والمرسلين من الخطأ والخطيئة، فيما عدا الكذب في التبليغ نجد الآتي:

أولاً: اليهود: وصموا الأنبياء والمرسلين جميعاً بوصمة الخطأ والخطيئة، ونسوق النماذج الآتية على سبيل المثال لا الحصر.

١ - آدم أبو البشر وهو أول الأنبياء عليهم السلام:

ذكروا أنه أخطأ، وعصى ربه، وورث الجنس البشري كله خطيئته، إذ خالف هو زوجته أمر ربه ومولاه وسيدته، لأكلهما من شجرة المعرفة، لذلك أخرجهما ربهما من جنة عدن، وأنزله هو وزوجته حواء إلى أرض الدنيا. [سفر التكوين: إصحاح ٣، عدد ٢٣، ٢٤].

٢ - نوح عليه السلام:

نسبوا إليه أنه شرب الخمر وسكر وتعري. [سفر التكوين: إصحاح ٥٩، عدد ٢٠، ٢١].

٣ - لوط عليه السلام:

زعموا أنه أخطأ وزنى بابنتيه. [انظر سفر التكوين: إصحاح ١٩، عدد ٣٠ - ٣٦].

٤ - إبراهيم الخليل عليه السلام:

ذكروا أنه كذب على فرعون ملك مصر عند زيارته لها، وأخبر المصريين عن زوجته أنها أخته، وذلك حتى إذا أخذها فرعون أعطاه لأجلها غنماً وبقراً وحميراً وعبيداً وإماء وأتناً وإبلًا.

ويقولون: إن إبراهيم كرر نفس هذه الواقعة مع «أبيمالك» ملك جرّار فكذب عليه وقال عن زوجته: إنها أخته، فإذا أخذها أبيمالك ملك جرّار حصل إبراهيم منه على غنم

وبقر وعبيد وإماء. [انظر سفر التكوين: إصحاح ١٢، عدد ١٠ - ١٧؛ وكذا نفس هذا السفر في الإصحاح ٢٠، عدد ١، ٢، ١٤].

٥ - إسحاق عليه السلام:

زعموا أنه كذب على أبيمالك وأهل جرار أيضاً فذكر لهم أن رفقة زوجته هي أخته. [سفر التكوين: إصحاح ٢٦، عدد ٦ - ٩].

٦ - يعقوب عليه السلام:

وهو إسرائيل جد بني إسرائيل أو اليهود كما غلب على تسميتهم.

نسبوا إليه أنه غش أباه وخدعه بمؤامرة دنيئة بينه وبين والدته رفقة حتى حصل على بركة أخيه من أبيه وهو على فراش الموت. [سفر التكوين: إصحاح ٢٧، عدد ١ - ٢٧ وما بعده].

٧ - موسى عليه السلام:

وهو النبي الرسول المخلص، كما ورد عنه في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿واذكر في الكتاب موسى، إنه كان مخلصاً وكان رسولاً نبياً﴾ [سورة مريم: الآية ٥١].

زعموا عنه في سفر الخروج من كتاب التوراة أنه طلب من بني إسرائيل عند خروجهم من مصر ألا يمضوا فارغين، وعليهم أن يحتالوا لسلب المصريين متاعهم من الذهب والفضة، وذلك في قوله:

(فحمل الشعب عجيتهم قبل أن يخبز، ومعاجنهم مصرورة في ثيابهم على أكتافهم، وفعل بنو إسرائيل بحسب قول موسى، طلبوا من المصريين أمتعة فضة، وأمتعة ذهب، وثياباً، وأعطى الرب نعمة للشعب في عيون المصريين، حتى أعاروهم فسلبوا المصريين). [انظر سفر الخروج في الإصحاح ١٢، عدد ٣٤، ٣٥، ٣٦].

كما نسبوا إليه في سفر التثنية من كتاب التوراة، أنه قام بقتل الملك سيحون ملك حشبون، وكذلك بنيه، وجميع قومه، وعندما استولى على بلاده قام بإحراق الرجال والنساء والأطفال، لكنه استبقى البهائم فقط لسلبها، وذلك في قوله لبني إسرائيل:

(قوموا ارتحلوا واعبروا وادي أرمون. انظر: قد دفعت إلى يدك سيحون ملك

حشبون الأموري وأرضه. ابتدئ تملك وأثر عليه حرباً... فأرسلت رسلاً من برية قد يموت إلى سيحون ملك حشبون بكلام سلام قائلاً: أمرٌ في أرضك، أسلك الطريق لا أميل يميناً ولا شمالاً، طعاماً بالفضة تبغني لأكل وماء بالفضة تعطني لأشرب، أمر برجلي فقط... إلى أن أعبّر الأردن إلى الأرض التي أعطانا الرب إلهاً، لكن لم يشأ سيحون ملك حشبون أن يدعنا نمر به... فخرج سيحون للقائنا هو وجميع قومه للحرب إلى ياهص، فدفعه الرب إلهاً أمامنا فضربناه وبنينا وجميع قومه، وأخذنا كل مدنه في ذلك الوقت، وحرمنا من كل مدينة الرجال والنساء والأطفال، لم نبق شاربداً، لكن البهائم نهبتها لأنفسنا وغنيمة المدن التي أخذناها). [انظر سفر التثنية في الإصحاح الثاني، عدد ٢٤، ٢٦، ٢٧، ٢٨، ٢٩، ٣٠، ٣٢، ٣٣، ٣٤، ٣٥].

ونكتفي بهذا القدر من الأنبياء والمرسلين فيه الكفاية حتى لا نخرج عن موضع البحث.

* * *

ثانياً: عند النصارى أو المسيحيين، كما غلب على تسميتهم، وهم يسىرون في اعتقادهم على ما يسىر عليه الإسرائيلون، فيجيزون على أنبياء الله ورسله معصية الله في جميع الذنوب، سواء كانت من الكبائر أو الصغائر، فيما عدا الوحي، وأنهم في ذواتهم غير معصومين من الخطأ والخطيئة.

لذلك فهم يؤمنون بتلك النصوص التي وردت بالعهد القديم، والتي تصمُ رسل الله وأنبياءه بالمعاصي، والفسق والفجور، فتقول كهنتهم صراحة وعلى الملأ عن الكتاب المقدس:

(والذي يضم العهد القديم وهو كتاب اليهود، والعهد الجديد وهو الأنجيل الأربعة والرسائل المعتمدة لدى النصارى).

(إن ذلك الكتاب هو صوت الجالس على العرش كل سفر من أسفاره أو إصحاح من إصحاحاته أو فقرة من فقراته هو حديث نطق به الكائن الأعلى، وأنه كله قد أوحى به من الله) طبقاً لما ذكره بولس في رسالته الثانية إلى تيموثيوس إصحاح ٣ عدد ١٦ في قوله: (فإن الكتاب كله قد أوحى به من الله).

ويعلق على ذلك العالم الفرنسى دكتور موريس بوكاي في مؤلفه (دراسة الكتب

المقدسة في ضوء المعارف الحديثة^(١) بقوله:

(إن المسيحية التي كانت أولاً يهودية مسيحية، قد تلقت بشكل طبيعي جداً ميراث العهد القديم، الذي ارتبط به وثيقاً كتاب الأناجيل، وذلك قبل أن يجري عليها التحول الذي حدث بتأثير بولس، ولكن إذا كان تطهير الأناجيل قد تم باستبعاد الأناجيل المزورة، فإن المسؤولين لم يروا ضرورة القيام بنفس الفرز بالنسبة إلى العهد القديم، وقبلوا ما يحتويه كلية تقريباً رغم ما يحتويه من مجموع متنافر).

ويبدو أن النصارى راقت لهم تلك النصوص التي لوثت سيرة الرسل، والأنبياء السابقين، والتي تضمنها كتاب التوراة ويهدفون من ذلك إلى إبعاد المسيح عليه السلام من مجموع الأنبياء والرسل وقصر العصمة من الخطأ والخطيئة عليه وحده، حتى يجدوا ما يبرر لهم رفعه من مرتبة البشرية إلى مرتبة الألوهية.

وعندما يقرأ المرء العادي النصوص السابقة بالكتاب المقدس، والتي تصم أنبياء الله ورسله ومن اختصهم الله بوحية بتلك الأوصاف، هل يجول في خاطره أن يكون هذا الكلام وحياً أو شبه وحى؟ إن المرء لا يسعه إلا أن يستغرق في الأسى والضيق وهو يسمع هذا الكلام الذي لا يصدر إلا من عقل مريض أو فؤاد سقيم.

ويعلق على هذا أحد علماء الإسلام في زماننا المعاصر بأبحاثه التي ضمتها كتابه (قذائف الحق)^(٢):

(إن في تلك النصوص إساءة أيما إساءة إلى أنبياء الله ورسله لما نسبوه إليهم مما يتورع عنه الحشاشون والرعاع، وبأي وسيلة تكون هذه الإساءة من جانبهم إلى الأنبياء؟ لقد غلفوا هذه الإساءات في ثوب الوحي السماوي المعصوم حتى لا يجروا على تكذيبه (أحد).

هل هذه سيرة رسل وأنبياء من قبل الله وأولاده أنبياء أم سيرة قطاع طريق ولصوص وفسقة وديوثين؟

(١) كتاب «دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة» تأليف دكتور موريس بوكاي، نشر دار المعارف بالقاهرة.

(٢) كتاب «قذائف الحق» تأليف الشيخ محمد الغزالي.

إن جمهرة الفلاسفة والعلماء العقلاء يرفضون كل الرفض أن يوصف الله بالجهالة، كما يرفضون مقولة أن يسيء الله اختياره لسفرائه إلى خلقه، فكيف إذاً يستقيم ذلك مع تلك النصوص التي تنعت الأنبياء والمرسلين وأبناءهم بالزنا والسكر والاحتيال، وأحط صفات الانحراف.

(وإذا كان أنبياء الله ورسله بتلك الصفات المنحطة فلماذا يلام إذاً رواد السجون وأصحاب الشرور)^(١).

لا شك أن تلك النصوص التي تصم الأنبياء والمرسلين بهذه الصفات الدنيئة لا تتفق مع مقتضيات العقل السليم، والمنطق المستقيم، فيما يجب أن يكون عليه هؤلاء الصفوة من الناس مما يقطع بأن النصوص المذكورة هي من إضافات البشر الذين لم يراعوا الله حقاً، ولا لرسله أو لأنبيائه حرمة.

ويقول العالم الفرنسي دكتور موريس بوكاي تأييداً لهذا النظر في كتابه السابق الإلماع إليه^(٢):

إن أقدم نص عبري مكتوب للتوراة يرجع عهده إلى القرن التاسع بعد الميلاد، هذا إذا وضعنا جانباً ما كشفت عنه أسطوانات مغارة قمران التي ترجع إلى ما قبل العصر المسيحي بقليل، وبردية الوصايا العشر، وبعض مخطوطات ناقصة ترجع إلى القرن الخامس بعد الميلاد بكنيسة القاهرة.

وإنه إن وجدت مقولات لا يمكن التوفيق بينها وبين أكثر معطيات العلم رسوخاً في عصرنا فلأن ما أضافه الإنسان إلى العهد القديم كان شيئاً ضخماً، مما أدى إلى تلك التحولات التي أصابت العهد القديم الأول من نقل إلى نقل، ومن ترجمة إلى أخرى، بكل ما ينجم حتماً عن ذلك من تصحيحات جاءت على أكثر من ألفي عام. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن هذا الكتاب المقدس قبل أن يكون مجموعة أسفار، كان تراثاً شعبياً لا سند له إلا الذاكرة، وهي العامل الوحيد الذي اعتمد عليه نقل الأفكار.

(١) كتاب قذائف الحق.

(٢) كتاب «دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة» المرجع السابق الإشارة إليه.

وينقل المؤلف عن العلامة (ادموند جاكوب) أنه قال: حتى أقوال البركات واللعنات والقوانين التي يستنها الأنبياء للبشر فإن تناقل هذه الأقوال كان يتم إما عن طريق الأسرة، وإما عن طريق المعابد في شكل روايات لتاريخ شعب الله المختار، مما يقطع بأن مساهمات البشر في تدوين التراث الشفهي الأصلي كانت كبيرة حقاً، وقد أوردت دائرة معارف أونيفر – ساليس في مقال لها عن التوراة (Bible) للكاتب (ج. ب. ساندروز) الأستاذ بكلية الدومنيكان بسولشوار أن العهد القديم يبدو صريحاً أدبياً للشعب اليهودي منذ أصوله، وحتى العصر المسيحي، ولقد دوت وأكملت وروجعت الأسفار التي يتكون منها فيما بين القرن العاشر والقرن الأول قبل الميلاد.

كما أن تلك الكتابات صححت وأكملت بسبب أحداث حدثت أو بسبب ضرورات خاصة، وفي عصور متباعدة أحياناً.

وأنه يمكن القول بأن أسفار موسى الخمسة تكونت من أقوال موروثة مختلفة جميعها بشكل يقل أو يزيد جذقاً، كتبها محررون وضعوا تارة ما جمعوا جنباً إلى جنب، وطوراً غيروا من شكل هذه الروايات بهدف إيجاد وحدة مركبة، تارकिन للعين أموراً غير معقولة وأخرى متنافرة. انتهى نقل المؤلف.

وخلاصة ما تقدم أن الوحي اليهودي اختلط بكل هذه الكتابات المضافة من قبل فئة من البشر، نسبوا دون حياء إلى أنبياء الله ورسله أقذر أنواع المعاصي، وأخط أنواع الخطايا، مما يقطع بعدم الاطمئنان إلى تلك النصوص بوصفها وحياً أنزله الله، والحكم يرفضها جميعها، وعدم الاعتداد بها كوحي أنزله الله.

أما بالنسبة للوحي المسيحي الحالي والاحتجاج بأن نصوصه كلها أوحى بها من الله فإن هذا يفتقر إلى سند علمي، ولقد كان القديس جوستين والذي عاش في منتصف القرن الثاني يطلق على ما يسمى بالوحي المسيحي مذكرات الرسل.

كما يؤكد الأب عبد الأحد داود الآشوري العراقي في كتابه المحفوظ بدار الكتب المصرية: أن رسم كلمة «الإنجيل» على الكتب الأربعة المعتمدة لدى النصارى باسم الأنجيل (وهي أناجيل متى ومرقس ولوقا ويوحنا) لم يحرر من قبل هؤلاء المبشرين الأربعة أنفسهم ولكنه أضيف عليها من قبل الكنيسة مؤخراً، أو من قبل مجمع نيقية السابق عقده في ٣٢٥ ميلادية، وأن طوائف النصارى التي تتكلم السريانية لا يلقبون تلك الكتب

الأربعة بعنوان الإنجيل بل بعنوان (كاروزونا) أي موعظة، فيقولون: كاروزونا متى وكاروزونا مرقص أي موعظة متى وموعظة مرقص... إلخ، وأنه لذلك فليس من الحق، أو من المسلّم به أن يحمل أي سفر من أسفار العهد الجديد اسم (إنجيل)^(١).

ويقول كولمان في كتابه (العهد الجديد): إن ما يسمى بالإنجيل بقي طيلة ثلاثين أو أربعين سنة في شكله الشفهي فقط، أو بالكاد، وهذا التراث الشفهي نقل أقوالاً وروايات منعزلة، وقد نسج المبشرون كل على طريقته وبحسب شخصيته واهتماماته اللاهوتية الخاصة الروابط بين هذه الروايات، والأقوال التي تلقوها من التراث السائد، فجمعوا شيئاً من أقوال المسيح وربطوا الروايات بصيغ أسلوبية غامضة بشكل أدبي الطابع، لكن ليس له أي أساس تاريخي.

وأنه لذلك توجد متناقضات في نصوص الوحي المسيحي وأمور غير معقولة واستحالات مادية ودعاوى معاكسة لأمر تمّ وانتهى التحقق من صحتها، وإذا نظر إليها الباحث على أنها كتابات ظرفية أو خصامية فإنه لن يدهش عندما يجد فيها كل هذه العيوب التي هي علامة صنع الإنسان في مثل هذه الظروف.

من كل ما تقدم من شهادات خصوصاً علماء النصرانية السابقين والحاليين وهم القديس جوستين والأب عبد الأحد داود الآشوري والعلامة كولمان، فإنه يكون من التجوز القول بأن الكتاب المقدس هو كلام الله رب العرش، وكل سفر من أسفاره أو إصحاح من إصحاحاته أو فقرة من فقراته هو حديث نطق به الكائن الأعلى أو أنه كله قد أوحى به من الله، وهذا يؤكد للباحث الحر أن ما نسبوه إلى الأنبياء والمرسلين من سيء القول وقبيح الفعل هو من قبيل الإضافات غير الواعية التي أقحمت ضمن ما أضيف على الكتب المقدسة، تلفظها العقول المستتيرة والأذواق السليمة.

أما دعوى النصارى في تقديس المسيح عليه السلام، ورفعته إلى مرتبة الألوهية فينقضها واقع بشريته، فلقد صُلّيَ لله كما يصلي البشر، ودعا ربه كما يدعو البشر، وأكل وشرب ونام، بل بكى كما يبكي البشر، وأسفار العهد الجديد التي يقدسها النصارى تفيض بما يؤكد ذلك؛ لذا كان الناس جميعاً من معاصري المسيح ممن رأوه وجالسوه،

(١) كتاب الإنجيل والصليب تأليف الأب عبد الأحد الآشوري العراقي محفوظ بدار الكتب المصرية.

وتحدثوا إليه وعاش بينهم، وصادقوه، وحتى من لم يؤمنوا به وعادوه، لم يروا فيه إلا إنساناً مثلهم بشراً مخلوقاً كغيره من بني البشر، أما محبوه ومن آمن بدعوته، فلم يروا فيه إلا أنه نبي مكرم من الأنبياء، ويحكي لوقا في بشارته عن رجلين من محبي المسيح فيقولان عنه:

(كان إنساناً نبياً مقتدرًا في الفعل والقول أمام الله وجميع الشعب) [إنجيل لوقا: في الإصحاح ٢٤، عدد ١٩].

وتحدثت إليه المرأة السامرية التي قابلها عند البئر: (قالت المرأة: يا سيد أرني أنك نبي) [إنجيل يوحنا: في الإصحاح ٤، عدد ١٩].

وعندما كان المسيح يعظ الناس ويبلغهم رسالات الله، فكثيرون من الناس لما سمعوا هذا الكلام قالوا:

(هذا بالحققة هو النبي) [إنجيل يوحنا: في الإصحاح ٧، عدد ٤٠].

ولما دخل أورشليم ارتجت المدينة كلها قائلة: من هذا؟ فقالت الجموع: هذا يسوع النبي الذي من ناصرة الجليل [إنجيل متى: إصحاح ٢١، عدد ١٠ - ١١].

ويشير إلى ذلك لوقا في إنجيله إلى قول الناس فيه بقولهم:

(قد قام فينا نبي عظيم وافتقد الله شعبه) [إنجيل لوقا: إصحاح ٧، عدد ١٦].

كما يذكر ذلك يوحنا في إنجيله عن الجموع التي احتشدت للمسيح بقوله:

(إن هذا هو بالحققة النبي الآتي إلى العالم) [إنجيل يوحنا: في الإصحاح ٦ عدد ١٤].

وعندما هاجم كهنة اليهود المسيح، وأرادوا القبض عليه، وتعذيبه، خافوا من الشعب لأنه كان في منزلة الأنبياء وهذا في قوله:

(ولما سمع رؤساء الكهنة والفريسيون أمثاله عرفوا أنه تكلم عليهم، وإذا كانوا يطلبون أن يمسكوه خافوا من الجموع لأنه كان عندهم مثل نبي) [انظر إنجيل متى: إصحاح ٢١، عدد ٤٥ - ٤٦]^(١).

(١) الكتاب المقدس لدى اليهود والنصارى، العهد الجديد.

ويقول بطرس خليفة المسيح في سفر أعمال الرسل إصحاح ٢٢ عدد ٢٢ عن المسيح :

(يسوع الناصري رجل قد تبرهن من قبل الله بقوات وعجائب صنعها الله بيده).

عصمة الأنبياء والمرسلين في نظر الإسلام:

إن القول بارتكاب الأنبياء والمرسلين للمعاصي والسيئات في نظر الإسلام هو قدح في نبوتهم مما يدفع البشر إلى عدم طاعتهم أو الاقتداء بهم في أفعالهم، واجتراحهم السيئات والمعاصي يناقض ما أثر عنهم من كمال الخلق، والهداية. يقول الله سبحانه وتعالى عنهم في القرآن الكريم:

﴿أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده﴾ [سورة الأنعام: الآية ٩٠].

فصحّ يقيناً أنه لو جاز أن يقع من أحد من الأنبياء والمرسلين عليهم السلام ذنب عمد سواء كان صغيراً أو كبيراً، كان الله عز وجل قد حصّنا على المعاصي، وندبنا إلى الذنوب وهذا محال.

ويقول الإمام أبو محمد بن حزم الأندلسي في كتابه الفصل في الملل والأهواء والنحل: (وما وقرّ الأنبياء أو نظر إليهم بشيء من التقدير أن كانوا سراقاً أو زناة ولا طعة وبغائين، ووالله ما نعلم كفرأ أكثر من هذا، ولا استهزاء بالله تعالى وبرسله وبالدين أعظم من كفر أهل هذه المقالة، وليت شعري ما الذي أمنهم من كذبهم في التبليغ، لأننا لا ندرى لعلمهم بلغوا إلينا الكذب من الله تعالى^(١)).

ونستطيع أن نؤكد ونحن مطمئنون أن الأنبياء والمرسلين عليهم السلام لا يجترحون السيئات، إذ كيف يجترحونها وبعض الناس لا يجترحها بنص القرآن الكريم.

وأنبياء الله ورسله هم صفوة خلقه فهم أحق بهذه الدرجة وبكل فضيلة — بلا خلاف — من أحد من أهل الإسلام. قال تعالى:

﴿أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون﴾ [سورة الجاثية: الآية ٢١].

(١) كتاب «الفصل في الملل والأهواء والنحل» تأليف الإمام أبو محمد علي بن حزم الظاهري الأندلسي.

وجماع ما تقدم أن الله عز وجل قد طهر أنبياءه ورسله وصانهم من كل ما يعابون به،
لأن العيب أذى، وقد حرم الله عز وجل أن يؤذى رسوله قال تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا﴾
[سورة الأحزاب: الآية ٥٧].

ويقول الإمام القاضي عضد الدين عبد الرحمن الإيجي^(١):

١ - إن صدور كبائر الذنوب عمداً من الأنبياء والمرسلين يوجب سقوط هيبتهم من
القلوب، وانحطاط رتبهم في أعين الناس فيؤدي ذلك إلى النفرة عنهم، وعدم الانقياد
لهم، ويلزم منه إفساد الخلائق، وترك استصلاحهم، وهو خلاف مقتضى العقل والحكمة.
أما القول بصدورها سهواً عنهم أو على سبيل الخطأ في التأويل، فلا يجوز أيضاً،
فهم معصومون عن الكبائر مطلقاً وعن الصغائر عمداً، فلو صدر منهم الذنب لحرم اتباعهم
فيما صدر عنهم ضرورة لقوله تعالى:

﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾
[سورة آل عمران: الآية ٣١].

٢ - ولو أذنبوا لردت شهادتهم إذ لا شهادة لفاسق بالإجماع لقوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا
عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ [سورة الحجرات: الآية ٦].

ولأن من لا تقبل شهادته في القليل الزائل بسرعة من متاع الدنيا كيف تُسمع شهادته
في الدين القيم أي القائم إلى يوم القيامة.

٣ - وأنه إن صدر عنهم ذنب وجب زجرهم وتعنيفهم لعموم وجوب الأمر
بالمعروف والنهي عن المنكر، ولا شك أن زجرهم إيذاء لهم، وإيذاؤهم حرام إجماعاً
لقوله تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا﴾
[سورة الأحزاب: الآية ٥٧].

(١) كتاب «المواقف» تأليف الإمام القاضي عضد الدين عبد الرحمن الإيجي مخطوط بمكتبة الجامع
الأزهر.

٤ - ولو أذنبوا أيضاً لدخلوا تحت قوله تعالى :

﴿ومن يعص الله ورسوله فإن له نار جهنم خالدين فيها أبداً﴾ [سورة الجن: الآية ٣٣].

وقوله تعالى :

﴿ألا لعنة الله على الظالمين﴾ [سورة هود: الآية ١٨].

وتحت قوله : ﴿أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم﴾ [سورة البقرة: الآية ٤٤].

فيلزم إذاً كونهم موعودين بعذاب جهنم وملعونين ومذمومين وكل ذلك باطل إجماعاً.

٥ - ولكانوا على تقدير صدور الذنب عنهم أسوأ حالاً من عصاة الأمة إذ يضاعف لهم (أي للأنبياء والمرسلين) العذاب على الذنب، ومن المعلوم أن النبوة أجل من كل نعمة فمن قابلها بالمعصية استحق العذاب أضعافاً مضاعفة.

٦ - ولو حدثت منهم المعصية لم ينالوا عهده تعالى لقوله :

﴿قال لا ينال عهدي الظالمين﴾ [سورة البقرة: الآية ١٢٤].

والمذنب ظالم لنفسه، وأي عهد أعظم من النبوة.

٧ - ولكانوا غير مخلصين لأن الذنب بإغواء الشيطان، وهو لا يغوي المخلصين لقوله تعالى حكاية عنه على سبيل التصديق :

﴿ولأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين﴾ [سورة الحجر: الآيتان ٣٩، ٤٠].

وقد قال الله تعالى في حق إبراهيم وإسحاق ويعقوب :

﴿إنا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار﴾ [سورة ص: الآية ٤٦].

وفي حق يوسف :

﴿إنه من عبادنا المخلصين﴾ [سورة يوسف: الآية ٢٤].

إنه تعالى قسم المكلفين إلى حزب الله، وحزب الشيطان، فلو أذنبوا لكانوا من

حزب الشيطان، ولكانوا خاسرين لقوله تعالى :

﴿أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [سورة المجادلة : الآية ١٩].

مع أن الزهاد من آحاد الأمة داخلون في المفلحين، أفيكون واحد من آحاد الأمة أفضل بكثير من الأنبياء؟ ذلك مما لا شك في بطلانه^(١).

وخلاصة القول أنه في عقيدة الإسلام :

لا يجوز البتة أن يقع من الأنبياء والمرسلين أصلاً معصية بعمد لا صغيرة ولا كبيرة، فالله سبحانه وتعالى عصمهم قبل النبوة، وبعدها من كل ما يؤذون به، فدخل في ذلك السرقة والعدوان والقسوة والزنا والبغي وأذى الناس في حريمهم وفي أموالهم وكل ما يعاب به المرء ويتشكى منه، ويؤذى بذكره. قال تعالى :

﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ﴾ [سورة الحج : الآية ٧٥].

وقبل أن نختم هذا البحث يقتضينا الأمر أن نشير إلى أن ما ورد في قصة آدم أبي البشر عليه السلام، وما جاء عنها في سفر التكوين، مما ذكرناه سابقاً، يبدو أن فيه بعضاً من الوحي الصحيح وإن تخلله كثير من إضافات البشر يجب إجلأؤه وتصحيحه على ضوء المفاهيم الإسلامية السليمة، فإن آدم عليه السلام لم يأكل من الشجرة إلا بعد أن أقسم له إبليس أن نهى الله عز وجل له ولزوجته عن الأكل من الشجرة ليس على التحريم، وأنهما لا يستحقان بذلك عقوبة أصلاً، بل يستحقان بذلك الجزاء الحسن وفوز الأبد، ويشير إلى ذلك قوله تعالى حاكياً عن إبليس :

﴿وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين، وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين، فدلأهما بغرور﴾ [سورة الأعراف : الآيات ٢٠، ٢١، ٢٢].

وقوله عز وجل :

﴿ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي، ولم نجد له عزماً﴾ [سورة طه : الآية ١١٥].

ويقول في ذلك الإمام أبو محمد بن حزم الأندلسي :

(١) كتاب المواقف.

(فلما نسي آدم عهد الله إليه في أن إبليس عدوّ له أحسن الظن بيمينه)^(١).
وكمبدأ عام فإن الإسلام لا يعرف الخطيئة الموروثة، فخطيئة آدم لا تدينه أبداً ما دام
قد رجع إلى ربه، ولا تدين أبنائه من بعده، ونجاته كانت رهينة بتوبته إلى الله قال تعالى :
﴿وعصى آدم ربه فغوى، ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى﴾ [سورة طه: الآيتان
١٢١ - ١٢٢].

وقوله تعالى :

﴿فتلقى آدم من ربه كلماتٍ فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم﴾ [سورة البقرة: الآية
٢٧].

(١) كتاب «الفصل في الملل والأهواء والنحل»، الجزء الرابع، الكلام في آدم عليه السلام تأليف الإمام
ابن حزم الظاهري الأندلسي .

(٥)

التحريف عند أهل الكتاب وجرأتهم فيه على الله وعلى آياته المنزلة

في حفل لوضع حجر الأساس لإحدى المؤسسات النصرانية العلاجية في شهر أكتوبر سنة ١٩٧٧م حضره كبار رجال الحكم وعلى رأسهم زعيم الدولة السياسي في إحدى الدول الإسلامية، قام كاهن طائفة أهل الكتاب النصراني بإلقاء خطاب له بهذه المناسبة حشاه ببعض من آيات القرآن الكريم، انحرف بمعناها ومبناها عن جادة الحق والصواب من دون أي شعور بالحياء، أو الخجل، وهو يلقي خطابه أمام زعيم الدولة.

يقول ذلك الكاهن النصراني في بداية خطابه: إن الإسلام حينما يتحدث عن النصارى فإنما يسميهم أهل الكتاب، ثم أورد ضمن خطابه قوله تعالى:

﴿من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون. يؤمنون بالله واليوم الآخر، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ويسارعون في الخيرات وأولئك من الصالحين﴾.

وقد أغفل ذكر جزء من بداية الآية نصه: ﴿ليسوا سواء﴾ ويستبيح الكاهن المذكور لنفسه تفسير الآية الكريمة السابقة فيقول: إن القرآن قد تكلم عن أهل الكتاب كأهل عبادة، وأهل سهر في الصلاة وأهل معروف وإيمان وصلاح، ولذلك ورد في سورة البقرة: ﴿الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته أولئك يؤمنون به﴾.

ثم يقول: ولهذا نجد القرآن حينما يتكلم عن المسيحيين من أهل الكتاب إنما يطلب أن تكون المجادلة بينهم بالتي هي أحسن، فقد ورد في سورة العنكبوت قوله: ﴿ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم، وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد﴾.

وقد أغفل ذكر باقي الآية وهو قوله :

﴿ونحن له مسلمون﴾ .

ثم يستطرد ذلك الكاهن فيقول - ويا بش ما قال! - إنه يقول: إن القرآن وضع أهل الكتاب في موقف السؤال والمشورة، بل الإفتاء في الدين، واستشهد عن جهل أو عن سوء قصد، بما ورد في سورة يونس بقوله تعالى :

﴿فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرأون الكتاب من قبلك﴾ .

واستشهد أيضاً في سورة الأنبياء بقوله تعالى :

﴿وما أرسلنا قبلك إلا رجالاً نوحى إليهم فاسألوا أهل الذكر إن كنت لا تعلمون﴾ .

ثم يقول ذلك الكاهن: والقرآن حينما يتكلم عن النصارى يصفهم بأنهم أهل رافة ورحمة ففي سورة الحديد في الحديث عن السيد المسيح يقول تعالى :

﴿وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رافة ورحمة﴾ .

وهو أيضاً يجعلهم أقرب الناس مودة للمسلمين فيقول تعالى :

﴿لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا، ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهباناً وأنهم لا يستكبرون﴾ .

انتهى كلام ذلك الكاهن النصراني فيما ألقاه، وذكره بخطابه من الآيات القرآنية، وهو ما يهمننا في الرد عليه نظراً لما اشتمل عليه حديثه من تغيير وتبديل في معاني الآيات الكريمة، أو بعبارة أخرى لكثير من التحريف، وبإدء ذي بدء فإن التحريف قسمان: لفظي ومعنوي .

والتحريف اللفظي: يكون بتبديل ألفاظ الآيات أو زيادتها أو نقصانها، وهذا ما لم يستطعه ذلك الكاهن، اللهم إلا في بعض الآيات فإنه جاء بها في خطابه ناقصة لأجزاء منها لا يتم المعنى المستهدف إلا بها.

أما التحريف المعنوي: فهو الذي يقع في تفسير الآيات فيأتي المفسر فيها بمعاني ليست هي المقصودة من الآيات التي يذكرها وهذا ما جاء به الكاهن المذكور كما سيأتي إيضاحه .

والنصارى حقيقة هم أهل كتاب لكن هذا اللفظ ليس خاصاً بهم، أو قاصراً عليهم وخدمهم، بل يشاركونهم فيه اليهود إذ هم من أصحاب الديانات السماوية السابقة.

فاليهود يحصرون إيمانهم في رسالة موسى عليه السلام، ويكفرون بما وراءها من رسالات، كرسالة المسيح عليه السلام ورسالة النبي محمد ﷺ.

والنصارى هم فريق من أهل الكتاب يزعمون أنهم أتباع المسيح عليه السلام، ويكفرون لا برسالة النبي محمد ﷺ فحسب، بل برسالات جميع الأنبياء السابقين ويقولون عنهم إنهم (سراق ولصوص)، وينسبون ذلك القول إلى السيد المسيح [انظر الإصحاح العاشر من إنجيل يوحنا، عدد ٨، في قوله: جميع الذين أتوا قبلي هم سراق ولصوص].

عندما أورد ذلك الكاهن الآية القرآنية الآتية انزلق إلى التحريف اللفظي بالنقص، لأنه أغفل ذكر بداية الآية في خطابه وهو قوله تعالى: ﴿ليسوا سواء﴾.

وباستكمال هذا الجزء ينتظم النص القرآني بعد تمامه بقوله تعالى:

﴿ليسوا سواء، من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله وهم يسجدون، يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات، وأولئك من الصالحين﴾ [سورة آل عمران: الآيتان: ١١٣، ١١٤].

وجزاء الآية الذي أسقطه كاهن النصرانية وهو قوله تعالى: ﴿ليسوا سواء﴾ هو تمهيد لتعداد محاسن المؤمنين من أهل الكتاب بعد دخولهم في الإسلام، مثل عبد الله بن سلام الذي كان يهودياً، وهدهاه الله للإسلام ونجاشي الحبشة وأصحابه بعد دخولهم في الإسلام بعد أن كانوا يدينون بالنصرانية.

والمعنى: ليس أهل الكتاب متساوين في الاتصاف بما ذكر من القبايح بل منهم طائفة سلمت منها، واتصفت بالخير، وقد وصفها الله هنا بثمانية أوصاف بعد انتظامهم في أمة الإسلام، وشهادتهم لله بالوحدانية ولمحمد ﷺ بالرسالة والنبوة.

١ - أمة قائمة مستقيمة ثابتة على طاعة الله.

٢ - يتلون آيات الله آناء الليل، وهو القرآن الكريم.

٣ - وهم يسجدون.

٤ - يؤمنون بالله واليوم الآخر.

٥ - ويأمرون بالمعروف .

٦ - وينهون عن المنكر .

٧ - ويسارعون في الخيرات .

٨ - وأولئك من الصالحين .

أما المعني والمقصود في قوله تعالى عن :

﴿الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته أولئك يؤمنون به﴾ فهم المسلمون، وقيل هم أصحاب النبي ﷺ، فهم يتلون الكتاب حق التلاوة، والكتاب هنا يعني القرآن الكريم.

وأما الآية ٤٦ من سورة العنكبوت، فقد أوردها ذلك الكاهن النصراني في خطابه لكنه أغفل ذكر باقي الآية، وهو قوله تعالى : ﴿ونحن له مسلمون﴾، وهو كما قدمنا من قبل التحريف اللفظي بالنقص، وحقيقة: إن أمثل الطرق في محاجة أهل الكتاب هي أن تكون بالرفق واللين، إلا أن من يفرط منهم في الاعتداء والعناد ولم ينفع معه الرفق فلا سبيل له إلا بالإغلاظ في القول.

أما الآية ٩٤ من سورة يونس، وهي قوله تعالى :

﴿فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرأون الكتاب من قبلك﴾.

فإن ما انتحله ذلك الكاهن من أقوال، هو اختلاقات وليس تفسيراً، كما صور له وهمه، وهو تحريف منه في معنى الآيات، وقد درج على ذلك كثير غيره من المستشرقين، وقد ورطهم فيه عدم فقههم للغة العربية في أمور:

١ - منها أن الخطاب يوجه في القرآن الكريم إلى الرسول محمد ﷺ، والمراد به المسلمون، وهو أسلوب من أساليب اللغة العربية، وفي هذه اللغة يوجه الخطاب لكل من يمكن مخاطبته، وهو في حقيقته خطاب لشخص واحد، كما في قوله تعالى :

﴿ولو ترى إذ وقفوا على النار﴾ [سورة الأنعام : الآية ٢٧].

وقوله تعالى :

﴿ولو ترى إذ فزعوا فلا فوت﴾ [سورة سبأ : الآية ٥١].

٢ - ومنها أن السؤال لا يعني الاستفهام، وإنما يعني التأمل والبحث ومن ذلك قوله تعالى :

﴿واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون﴾
[سورة الزخرف: الآية ٤٥].

ولا يمكن أن يسأل النبي محمد ﷺ رسولاً من الرسل الذين سبقوه، كيف وبينه وبين آخر واحد منهم نحو ستة قرون.

فالخطاب هنا موجه إلى الأمة، والمراد به ابحثوا يا معشر المسلمين وقارنوا بين الإسلام وبين غيره من الأديان، خصوصاً الكتابية منها، وعندئذ ستجدون في الإسلام الحق الذي يميزه، ويفضله على أي دين سبقه، وإذا فما ذهب إليه الكاهن المذكور في سفسطته وأوهامه لا أساس له، ومرده إلى ضعفه أوجهله في علوم اللغة العربية كما قدمنا.

أما الآية رقم ٧ من سورة الأنبياء، فإن استشهادها بها، هو حجة عليه، وليس حجة له، لأنه بوصفه من أهل الكتاب وله شيء من العلم بالتوراة والإنجيل، كان يقتضيه الأمر عدم المكابرة أمام وضوح الحق الظاهر في الكتاب الخاتم، آخر رسالات السماء، وهو القرآن الكريم، فلا يتجرأ عليه على الأقل هذا التجرؤ في لحن القول، والتحريف في لفظه، وفي تفسير آياته، والآية تحمل الرد على من أنكر بعثة الرسل من البشر وتشير إلى أن جميع الرسل الذين أرسلهم الله سبحانه وتعالى وتقدموا بعثة النبي محمد ﷺ كانوا رجالاً من البشر، لم يكن فيهم أحد من الملائكة، ولهذا قال سبحانه وتعالى :

﴿فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾.

أي اسألوا أهل العلم من الأمم كاليهود والنصارى وسائر الطوائف، هل كان الرسل الذين أتوهم بشراً أو ملائكة؟ لقد كانوا بشراً، وذلك من تمام نعمة الله على خلقه، إذ بعث فيهم رسلاً منهم يتمكنون من تناول البلاغ منهم والأخذ عنهم.

وعن الآية ٢٧ من سورة الحديد فإن ما أوردته من أوصاف الرأفة والرحمة إنما تنطبق على أتباع المسيح عليه السلام ولكن من هم هؤلاء الذين اتبعوه؟
إنهم الحواريون وأتباعهم الذين آمنوا بأنه عبد الله ورسوله، وبالكتاب الذي جاءهم

به من عند الله، ولم يغيروا ولم يدلّوا عقيدته وكتابه كما فعل الكهنة الآباء بالكنيسة تارةً وبالمجامع تارةً أخرى فلقد غيَّروا وبدلوا.

إذاً من يطلق عليهم النصارى في وقتنا الحاضر ليسوا بأتباع المسيح، إذ هم سلالة أولئك الذين غيَّروا وبدلوا وغلَّوا في المسيح حتى رفعوه من مرتبة النبوة والرسالة إلى مقام الألوهية، فجعلوه إلهاً أو جزء إله، فهم بمعزل عن الحق وعن الرأفة والرحمة اللتين أودعهما الله في قلوب الذين اتبعوه حقيقة كما أسلفنا، ولا شك أن ما زعموه بدعوى الألوهية في المسيح شيء لا يرضاه هو نفسه، كما لا يرضى به الله سبحانه وتعالى لأنهم جمعوا إلى الكفر بالله المبالغة في التعبد الباطل.

وأما الآية ٨٢ من سورة المائدة التي استشهد بها الكاهن المذكور على مودة قومه للمسلمين فأمر بعيد عن واقع الحال ولنستشهد على ذلك بالآتي:

١ - عندما قام نصارى الإِسْبَان بعدوانهم على المسلمين هناك في القرن الخامس عشر والقرن السادس عشر الميلادي أخذوا يذبحون المسلمين ذبحاً وأحرقوا ٣١ ألفاً ولم يتركوا مسلماً واحداً على قيد الحياة أو غير منفي خارج البلاد.

ونفس ذلك حدث بالنسبة للمسلمين في صقلية حيث أباد النصارى جميع من كان فيها من المسلمين.

٢ - وفي اليونان بعد استقلالها من الدولة العثمانية في القرن الماضي أباد النصارى شعب موريا المسلم عن آخره، حتى النساء والأطفال والشيوخ، ولم يبقوا منهم أحداً، حتى لقد بلغ مجموع ما قتلوه من المسلمين ٣٠٠ ألف مسلم، كما دمروا جميع المساجد الإسلامية هناك.

٣ - وفي دول البلطيق تحول المسلمون من أكثرية إلى أقلية باستخدام الإرهاب والتعذيب المستمرين.

٤ - وفي وقتنا الحالي فإنه ليس بخافٍ على أحد تلك المذابح المستمرة على المسلمين في الفلبين بفعل حكومتها النصرانية التي رأسها ذلك النصراني فرديناند ماركوس ومن خلفه بعد ذلك.

والآية الكريمة المشار إليها من سورة المائدة نزلت في النجاشي وأصحابه بعد إسلامهم، وقيل في الوفد الذين قدموا من الحبشة مع جعفر بن أبي طالب مسلمين، وقيل

في جماعة من أهل الكتاب كانوا على شريعة من الحق مما جاء به المسيح عليه السلام، فلما بعث النبي محمد ﷺ آمنوا برسالته وصدّقوه، فأثنى الله تعالى عليهم في هذه الآية، لأنهم لم يستكبروا عن اتباع الحق والانقياد له بعد أن استبان لهم.

ومما يؤيد هذا القول ويؤكد بأن هؤلاء الذين عنّتهم الآية قد دخلوا في الإسلام وانضمّوا تحت لوائه الآية التالية للآية السابقة مباشرة وهو قوله تعالى :

﴿وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين﴾ [سورة المائدة: الآية ٨٣].

ولا يفوتنا أن نشير في ختام هذا البحث إلى أن الذين يلحدون في آيات الله ويميلون بها عما لا يليق بها بالتحريف والتأويل الباطل لا يخفى أمرهم على الله، وسيجزّيهم جهنم بما كانوا يعملون، قال تعالى :

﴿إن الذين يلحدون في آياتنا لا يخفون علينا، أفمن يلقى في النار خير أم من يأتي آمناً يوم القيامة﴾ [سورة فصلت: الآية ٤٠].

الباب الثاني

- (١) الوثنية وتغلغلها في عقيدة النصرانية المعاصرة.
- (٢) المسيح بين التلمود وبين القرآن الكريم.
- (٣) معلومات هامة عن العهدين القديم والجديد من الكتاب المقدس عند أهل الكتاب.
- (٤) التوحيد عقيدة الفطرة الإنسانية.
- (٥) يا أهل الكتاب لم هذا الهجوم على عقيدة التوحيد؟

(١)

«الوثنية»

وتغلغلها في عقيدة النصرانية المعاصرة^(١)

لَمَّا قَضَى اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بَذْهَابِ الْمَسِيحِ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ هَذَا الْعَالَمِ الدُّنْيَوِيِّ سَوَاءً بِالْوَفَاةِ بَعْدَ قَبْضِ رُوحِهِ شَأْنُهُ شَأْنُ بَاقِي الْبَشَرِ، أَوْ بِرَفْعِهِ إِلَى السَّمَاءِ بَعْدَ أَنْ نَجَّاهُ اللهُ مِنْ أَعْدَائِهِ مِنَ الْيَهُودِ الَّذِينَ تَأَمَّرُوا عَلَى قَتْلِهِ وَصَلَبِهِ — كَمَا رَفَعَ إِدْرِيسٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى السَّمَاءِ مِنْ قَبْلِ — قَامَ تَلَامِيذُهُ وَحَوَارِيُّهُ بِنَشْرِ دَعْوَتِهِ فِي التَّوْحِيدِ وَالسَّلَامِ وَحُبِّ الْخَيْرِ إِلَى النَّاسِ.

إِلَّا أَنَّ الْوُثْنِيَّةَ وَقَدْ كَانَتْ غَالِبَةً عَلَى أَهْلِ الْأَرْضِ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ دَفَعَتْ الْمَتَأَثِّرِينَ بِهَا، وَالَّذِينَ اعْتَنَقُوا النَّصْرَانِيَّةَ إِلَى أَنْ يَسْتَمِدُّوا مِمَّا رَسَخَ فِي أَذْهَانِهِمْ، وَاسْتَقَرَّ فِي خِيَالِهِمْ مِنْ أُمُورِ الشَّرْكِ، وَمِنْ الطَّقُوسِ الْوُثْنِيَّةِ السَّائِدَةِ، مِمَّا طَمَسُوا بِهِ الْحَقَّ السَّمَاوِي الَّذِي جَاءَ بِهِ الْمَسِيحُ مِنْ عَقِيدَةٍ نَفِيَّةٍ فِي التَّوْحِيدِ الْمَجْرَدِ لِلَّهِ وَحْدَهُ، وَأَنَّهُ إِنْسَانٌ رَسُولٌ تَكَلَّمَ بِالْحَقِّ طَبَقًا لَمَا ذَكَرَهُ عَنْهُ إِنْجِيلُ يُوْحَنَّا، وَهُوَ يَخَاطِبُ الْيَهُودَ الْمَتَأَمِّرِينَ عَلَى قَتْلِهِ فِي قَوْلِهِ:

(وَلَكِنْكُمْ الْآنَ تَطْلُبُونَ أَنْ تَقْتُلُونِي وَأَنَا إِنْسَانٌ قَدْ كَلَّمَكُم بِالْحَقِّ الَّذِي سَمِعْتُمْ مِنْ اللَّهِ) [انظر نص إنجيل يوحنا: إصحاح ٨، عدد ٤٠].

كيف كانت النصرانية في بداية أمرها؟

كَانَتِ النَّصْرَانِيَّةُ فِي بَدَايَةِ أَمْرِهَا دِيَانَةً سَمَاوِيَّةً نَزَلَتْ عَلَى الْمَسِيحِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، لَكِنَّا كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّ عَقِيدَةً مَكْمَلَةً لِلْيَهُودِيَّةِ وَمَصْحُوحَةً لِمَا شَاطَبَهَا مِنْ انْحِرَافَاتٍ مَعَ تَوَالِي الْحَقْبِ

(١) نُشِرَ بِمَجَلَّةِ الْوَعْيِ الْإِسْلَامِيِّ الْعَدَدِ ١٩٤ مِنَ السَّنَةِ السَّابِعَةِ عَشْرَةِ صَفَرِ سَنَةِ ١٤٠١ هـ، دَيْسَمْبَرِ سَنَةِ ١٩٨٠ م.

والأزمان.. ولذا جعلت شريعتها الأساسية تورا اليهود مع تعديلات قليلة ورد ذكرها في إنجيل المسيح.. لذا كان المفهوم الطبيعي للنصرانية أن تحكم بشريعة التوراة الأصلية مع مراعاة التعديلات الواردة في الإنجيل.

غير أن الذي حدث بالفعل لم يكن كذلك، فلقد انتقلت النصرانية من فلسطين إلى أوروبا ومن المجتمع اليهودي إلى المجتمع الروماني.. وعلى الرغم من النفوذ الضخم الذي مارسه الكنيسة في أوروبا في العصور الوسطى، لم تكن الشريعة النصرانية مطبقة في غير الأحوال الشخصية.. وما عدا ذلك من أمور كان يحكمه القانون الروماني بجاهليته ووثنياته.

وللتدليل على ما سبق شرحه نذكر شهادة بعض الباحثين والعلماء والأساقفة المعاصرين طبقاً للآتي:

أولاً — ماذا يقول الكاتب الأمريكي دراير؟

يقول في كتابه (النزاع بين الدين والعلم): لقد دخلت الوثنية والشرك في النصرانية عن طريق من تظاهروا باعتناقها رياءً وكذباً، ليتقلدوا المناصب العالية في الدولة الرومانية من دون أن يؤمنوا بها.. وقد فعل ذلك قبلهم الإمبراطور قسطنطين الذي اعتنق النصرانية ولم يتخلَّ عما اعتاد عليه من ظلم وفجور.. لقد اعتنق النصرانية مرغماً بعد أن رفعتة إلى العرش، آملة أن يتقيد بأوامرها، ويساعد على انتشارها، غير أنها لم تستطع أن تقضي على جرثومة الوثنية الرومانية فيه.. وكانت نتيجة ذلك الصراع أن امتزجت مبادئ النصرانية وقيمها وعقائدها ببقايا تلك الوثنية، ونشأ عن ذلك الامتزاج دين جديد هو خليط من النصرانية الأصلية والوثنيات اليونانية والرومانية..

ثانياً — ماذا يقول الأستاذ مجدي مرجان الباحث القبطي المصري الذي اعتنق الإسلام بعد ذلك؟

يقول في كتابه (الله واحد أم ثالث):

١ — إن المتتبع لتاريخ الأديان الوثنية يجد أن الثالث المقدس يعتبر أصلاً من أصولها، ومعتقداً من أهم معتقداتها.. وقد قال بهذا الثالث قدماء المصريين، وقال به الهنود، وقال به غيرهم من الأمم الوثنية.

٢ - إن الخلاف الأساسي بين النصرانية والإسلام، بل بين النصرانية والرسالات السماوية كافة، هو في هذه الصورة المشوهة عن الله، التي ألصقتها الوثنية بالنصرانية بقصد هزيمتها والقضاء عليها.

٣ - ولقد قرر الأستاذ مالفير وجود تشابه كبير بين الثالوث الهندي والثالوث النصراني، حيث ذكر في الكتب الهندية القديمة التي ترجمت إلى الإنجليزية شارحة وثنية الهنود القدماء أوجه التشابه الكبير بين القانون الإيماني الهندي وبين القانون الإيماني في عقيدة النصرانية.

٤ - إنه بعد ذهاب السيد المسيح، اضطرت تلاميذه وحواريّوه من أجل إحياء دعوته إلى نقلها من أرض اليهود إلى الشعوب الوثنية المحيطة بها، كالرومان واليونانيين والفرس وغيرهم، ورغبة من هؤلاء المبشرين في نشر الدعوة النصرانية بين تلك الشعوب الوثنية، وخوفاً من أن تجد بين هذه الشعوب نفس المصير، الذي وجدته بين اليهود الذين ضاقوا بها ورفضوها، اضطرت المبشرون النصارى إلى تطعيم النصرانية ببعض الطقوس والشعائر والعبادات، التي وجدوها في تلك الشعوب الوثنية. . . ويبدو أن هؤلاء المبشرين كانوا حسني النية، فقد رأوا أن هذه هي الطريقة الوحيدة لتقريب الديانة النصرانية إلى أذهان الوثنيين، وظنوا أنه مع مرور الوقت فإن النصرانية ستطهر من تلك العادات والطقوس وستعود إلى صفائها.

٥ - ولقد تحول فعلاً إلى النصرانية كثير من الوثنيين، ولكنهم نقلوا إليها أيضاً مزيداً من العادات والشعائر الوثنية. . . واضطرت دعاة النصرانية وقتئذٍ إلى السكوت، وغض الطرف والمجاملة وذلك للإبقاء على هؤلاء الوثنيين، وعدم تنفيرهم من النصرانية علّهم يستقيمون بعد ذلك على نهج العقيدة الصحيح.

٦ - لكن الواقع الأليم أن الذي حدث فعلاً هو غير ما توقعه أولئك المبشرون النصارى البسطاء، فلقد تغلبت تلك الطقوس والشعائر الوثنية، وطمست جوهر الرسالة السماوية العظيمة التي أتى بها المسيح عليه السلام.

وهكذا وبمرور الوقت وتعاقب الأجيال أخذت الأحكام الإلهية تتغير، لتحل محلها أحكام أرضية، وأخذت الحقائق تتقهقر، لتفسح الطريق للأوهام، وأخذت النصرانية تتباعد شيئاً فشيئاً عن الدين السماوي العظيم الذي أتى به المسيح عليه السلام من لدن

الرحمن الرحيم، وكان للموقف المتهاون الذي وقفته النصرانية، ومبشروها إزاء الوثنية وعاداتها، السبب في تغلب الوثنية على النصرانية وتطويعها لمشيئتها وطقوسها، ذلك أن الوثنية قريبة لغرائز البشر الحسية وشهواتهم البهيمية.

ثالثاً – القس بولس الياس اليسوعي وهو من رجال الدين النصارى :

يقول ذلك القس في كتابه (يسوع المسيح): لَقَّحت الكنيسة الفكر الوثني بالفكر المسيحي فحمل مرسلوها إلى اليونان حكمة التوراة وآداب الإنجيل، وأخذوا منهم وضوح التعبير ودقة التفسير، فنتج عن هذا التلاقح تراثٌ جديد نقلوه إلى روما، ولقد احترمت الكنيسة تقاليد الشعوب، وحافظت على تنوع الطقوس عند مختلف الطوائف، فما فرضت صيغة موحدة للصلاة.

رابعاً – ويقول الدكتور أحمد شلبي أستاذ التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية بكلية دار العلوم بجامعة القاهرة في كتابه (مقارنة الأديان) عن المسيحية :

١ – إن النصرانية مرت بجهود ضعف واضطهاد، وقد امتد هذا الاضطهاد إلى إنجيل المسيح فالتهمه وقضى عليه.. وهكذا فقدت النصرانية كثيراً من رجالها في قمتهم المسيح نفسه.. وفقدت أكثر مراجعها الأصلية، وهو إنجيل المسيح فأصبح مصدر النصرانية الحقيقي واهناً أو بالأحرى معدوماً.

٢ – ولقد وقفت حضارات أخرى أقدم جداً من النصرانية بين بين: بين التعدد الذي قال به البابليون، وبين التوحيد الذي قال به المصريون في عهد أخناتون، وكذا قال به الإسرائيليون فظهرت بدعة (التعدد في وحدة، والوحدة في تعدد) وقد قال بهذا الهنود قبل المسيح بأكثر من ألف عام، فقد كان عندهم: براهما وفشنو وسيفا، يعدونها ثلاثة جوانب لإله واحد، وكانوا يعدون براهما واحداً له ثلاثة أقانيم.

خامساً – ويقول ويلز وهو أحد علماء مقارنة الأديان في بلاد الغرب :

إنه بعد الفتح الإغريقي لمصر أصبحت مدرسة الإسكندرية الحديثة مركزاً لحياة مصر الدينية بل صارت في الحق مركز الحياة الدينية للعالم الهليني كله، فأقام بطليموس

الأول معبداً عظيماً هو معبد السرايوم، كان يعبد فيه نوع من ثلاث الأرباب مكوّن من:

(١) سيرابيس، (٢) وإيزيس، (٣) وحوروس.

ولم يكن الناس يعدونها أرباباً منفصلة بل هيئات ثلاث لإله واحد.

ما هو وجه الخلاف بين نشأة الإسلام ونشأة النصرانية؟

إن وجه الخلاف بين نشأة الإسلام ونشأة النصرانية، أنه بينما اضطرت النصرانية إلى النمو في حضارة الوثنيات التي سادت المجتمع الروماني، والمجتمع اليوناني، قضى الإسلام على الوثنية منذ البداية قضاء مبرماً، ونشر تعاليمه التي تقوم على الوحدةانية للذات الإلهية دون لبس أو غموض.

وتحدثنا كتب السيرة النبوية أنه لما عرض عبدة الأوثان على النبي ﷺ أن يعبدوا الله مدةً وأن يعبد آلهتهم مدةً أخرى رفض النبي ﷺ ذلك العرض بشدة، ونزل الوحي الإلهي بآيات بيّنت قضت على تلك الفكرة في مهدها، وذلك في قوله تعالى:

﴿قل يا أيها الكافرون. لا أعبد ما تعبدون. ولا أنتم عابدون ما أعبد. ولا أنا عابد ما عبدتم ولا أنتم عابدون ما أعبد، لكم دينكم ولي ديني﴾ [سورة الكافرون].

هكذا كان موقف الإسلام حاسماً منذ انبلاج نوره في مكة المكرمة.

أما النصرانية فإن الإمبراطور قسطنطين الروماني كان يعمل جاهداً بغية توطيد ملكه لتأليف بين النصرانية والوثنية التي كانت سائدة في المجتمع الروماني، وظن دعاة النصرانية وقتئذٍ أن قبولهم للأوضاع الوثنية إنما هو قبول مرحلي، لا محيد عنه، وأن النصرانية ستستطيع أن تنجو آخر الأمر من رجس الوثنية، ولكن النتيجة ظهرت على عكس ما كانوا يتوقعون، فلقد تغلبت الوثنية وقضت في النهاية على عقيدة التوحيد، وأقرت عقيدة التثليث، والتي تركز على أن الإله عبارة عن ثلاثة أقانيم: هي الأب وهو الأصل، والابن وهو الكلمة تجسد في المسيح، وروح القدس الذي التقى بالعذراء مريم قبل ولادة المسيح.

ما هو موقف الإسلام من عقيدة النصرانية في الثالث؟

لما جاء الإسلام هادياً للبشرية كانت دعوته في الألوهية دعوة إلى الوحدةانية وإلى

تنزيه الإله الواحد من لوثة الشرك والتعدد، وأنه متصف بجميع صفات الكمال، وأن ذاته منزهة عن التثليث، الذي تسرب من الوثنية إلى النصرانية، لذا كان موقف الإسلام موقف المصحح للنصارى في عقيدتهم في الذات الإلهية، ومنادياً لهم بالعودة إلى جوهر التوحيد، الذي هو أصل الديانات السماوية، ولا جدال في أن التوحيد هو أشرف العقائد الإلهية وأجدرها بالإنسان في أرفع حالاته العقلية والخلقية.

القرآن الكريم يقضي بمحكم آياته على فكرة التثالث، ويقرر أن الحق الذي لا جدال فيه هو أن الله إله واحد:

١ - قال تعالى:

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ، إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ، وَرُوحٌ مِنْهُ، فَآمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةً، انْتَهَوْا خَيْرًا لَكُمْ، إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ [سورة النساء: الآية ١٧١].

فلقد نادى الله سبحانه النصارى بقوله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾، وفي هذا توبيخ لهم، أن يتدبروا كتابهم الذي نزل على رسولهم المسيح عليه السلام، ويتأملوا ما فيه، وهو - بلا ريب إن وجد - ليس فيه شيء مما يدعون، ويفترون كذباً لا أساس له، ولا دليل يعتمد عليه، فيما زعموه بأن (المسيح ابن الله) لأن هذا القول يناقض الدليل الواضح والحق الثابت إذ الإله لا يلد ولا يولد، فإن ذلك أمانة الحدوث، وعلامة الاحتياج، وأن المسيح لا يعدو كونه رسولاً من الله، وقَصُرُ نص الآية المسيح على كونه رسولاً فيه زجر شديد لهؤلاء الذين يقولون على الله غير الحق، وفي ذكر الآية لاسمه، وفي نسبته لأمه إشارة إلى أنه إنسان ككل الناس ولدته أنثى، وأنه وجد بسبب كلمة الله وأمره (كن) مثله كمثل آدم عليه السلام، خلقه من تراب، ثم قال له كن فيكون من غير سبب مادي من وجود أب له، كما جرت به سنة الله في توالد بني آدم، وأنه تكوّن في بطن أمه ونشأ فيها بنفخ الله تعالى الروح فيه، لذلك وصف بأنه روح منه أي من الله تشریفاً وتفضيلاً وليست من هذه تبعيضية بل كانت تشریفاً وتعظيماً له عليه السلام، وإذا كان شأن المسيح أنه ليس إلهاً ولا ابناً لله، اقتضى الأمر تكليف النصارى الإيمان بالله وحده رباً لا شريك له في العبادة، وليس معه ثان ولا ثالث، وكذا تكليفهم بالإيمان بجميع الرسل، وفي جملتهم المسيح ومحمد عليهما الصلاة والسلام.

والتعبير بقوله: (ولا تقولوا ثلاثة) لبيان أن مجرد النطق بذلك منكر وقبيح فضلاً عن أن يكون اعتقاداً وإيماناً، وفيه إشارة إلى أن ما ذهب إليه النصارى لا ظل له من الحقيقة.

ثم بذل القرآن النصيحة لهم في قوله تعالى: ﴿انتهوا خيراً لكم﴾، فلقد أمرهم بالانتهاء من هذا القول وهو قول التثليث لأنه شرك محض، وأن في خروجهم منه خير لهم، لأنهم يخرجون من العقيدة الناشئة عن الضلال والأوهام بزعمهم أن الله مركب من أقانيم ثلاثة، لأن العقل كما يحيل تعدد الآلهة يحيل كذلك تركبها واتحادها، وأن رجوعهم إلى التوحيد هو رجوع منهم إلى العقيدة الصحيحة المبنية على الحجة والبرهان فيفوزوا من الله بالرضوان.

٢ - وقال تعالى:

﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد﴾ [سورة المائدة: الآية ٧٣].

في هذه الآية قضى الله بالكفر الصريح على القائلين بالتثليث، لأنه - كما ذكرنا آنفاً - تسرب إلى النصرانية من العقائد الوثنية.

وخلاصة القول:

إن التثليث تقرر رسمياً بعد المسيح عليه السلام بأكثر من ثلاثة قرون وربع القرن، وأنه دخيل على النصرانية الحقّة الموحّدة، وقد اعترف كبار علماء اللاهوت النصارى في قاموس الكتاب المقدس أن عقيدة التثليث: (لم ترد في الكتاب المقدس، ويظن أن أول من صاغها واخترعها هو ترتليان في القرن الثاني للميلاد، وقد خالفه كثيرون، ولكن مجمع نيقية المسكوني أقر التثليث عقيدة رسمية للنصرانية سنة ٣٢٥ ميلادية، ثم استقر التثليث بعد ذلك عند جميع الكنائس النصرانية على يد أوغسطينوس في القرن الخامس الميلادي). انتهى ما ورد في قاموس الكتاب المقدس^(١).

(١) انظر الوثيقة الثالثة في باب الوثائق من صورة ما حرر في قاموس الكتاب المقدس عن التثليث.

والحق أنه لا يمكن عقلاً أن يكون الإله إلا واحداً، أما تعدد الآلهة كما في التثليث، فهو وصم لها بالقصور، لأن قدرة كل واحد منهم تكون حينئذٍ مقيدة بقدرة الآخرين، والإله لا يكون محدود القدرة والسلطان لأن تحديد القدرة وصم له بالعجز، والإله لا يكون عاجزاً، وإذاً لا يمكن أن يكون الإله إلا إله واحد، قال تعالى في محكم كتابه الكريم:

﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ﴾ [سورة المائدة: الآية ٧٣].

*
**

(٢)

«المسيح عليه السلام»

بين التلمود وبين القرآن الكريم

مما لا جدال فيه أن الدول النصرانية الأوروبية هي التي صنعت دولة إسرائيل جسماً غريباً في الوطن العربي والتراب الإسلامي، فقد تلاقت أهداف الدول الصليبية الحاقدة مع الصهيونية اليهودية الحاسدة في الكيد ضد الإسلام، وخططوا منذ القرن السادس عشر الميلادي وبالتحديد سنة ١٥٠٥ ميلادية للقضاء على قوة الكيان الإسلامي، وإنشاء الدولة اليهودية على أرض فلسطين، وأمدوها بعد أن أفلحوا في إنشائها في منتصف مايو سنة ١٩٤٨ م، وما زالوا يمدونها بكل ما تحتاجه من مال وعتاد وسلاح وأغذية ومن المهاجرين خصوصاً من دول أوروبا الشرقية.

فلقد نجح اليهود في إقناع المسؤولين في الدول النصرانية منذ بداية عصر النهضة الأوروبية بأنهم أقرب الناس إليهم، لذلك تم الاتفاق بينهم على ضم التوراة (كتاب اليهود) إلى مجموعة الأناجيل والرسائل النصرانية باعتبار أن التوراة هي كتاب العهد القديم، ومجموعة الأناجيل والرسائل النصرانية هي كتاب العهد الجديد، وسُمِّي الاثنان معاً بالكتاب المقدس وبذلك أفلح اليهود في جعل النصراني عموماً تبعاً لهم، يأتمرون بأمرهم في أمور الدين وعندئذ سهل التسلط عليهم في أمور الدنيا، خصوصاً في الاتجاهات السياسية، وهذا ما لمس العرب والمسلمون في الواقع والحقيقة في سياسة تلك الدول النصرانية أمثال فرنسا وإنجلترا وألمانيا، وما يمكن ملاحظته حالياً في سياسة الولايات المتحدة الأمريكية.

لكن هل تدري تلك الدول النصرانية والتي تزعم أنها تؤمن بالمسيح عليه السلام – وغلت في تقديسه حتى رفعتة من مرتبة الرسالة والنبوّة إلى مقام الألوهية والربوبية – كيف يذكره اليهود خفية فيما بينهم؟ وكيف صوروه للنشأة من أبناء اليهود في أجيالهم

المتعاقبة في تلمودهم المقدس؟ وهو الكتاب العقائدي الذي يحتوي على التعاليم الشفوية، ويفسر وييسط كل معارف الشعب اليهودي وتعاليمه، وفي اعتقادهم أنه ليس هناك ما هو أسمى مقاماً منه.

فيما يتعلق باسم المسيح عليه السلام نجد الآتي:

١ - إن الاسم الأصلي للمسيح في اللغة العبرية هو (جيشوا هانوتسري) (Jeshua Hanotsri) أي يسوع الناصري، وقد دعي بالناصري نسبة إلى مدينة الناصرة التي نشأ فيها، كما يدعى النصارى بالعبرية (نوتسريم) (Notsrim) أي الناصريون، ولما كانت كلمة (جيشو) تعني المنقذ أو المخلص فإن اسم يسوع الأصلي قلما يظهر في الكتب التلمودية خشية أن يعثر عليه أحد من الأمم التي تعتق النصرانية والتي كان يقيم اليهود بين ظهرانيهم.

٢ - واليهود يدعون المسيح في التلمود (أثوايش) (Otho Isch) أي ذاك الرجل ويراد به أنه الرجل المعروف من قبل الجميع. ففي كراسة (أيهوداه زاراه) نجد الآتي: (يدعى مسيحي من يتبع تعاليم ذاك الرجل الكاذبة، الذي يعلمهم الاحتفال بالعيد الديني عند أول يوم يلي السبت).

٣ - في مكان آخر بالتلمود يدعى المسيح (بيلوني) (Peloni) أي رجل معين، وعن مريم أو (ماري) والدته يطلقون عليها (أم الرجل المعين ذي الصلة بيوم السبت) وكانت تباع الخضار في السوق.

٤ - وعلى سبيل التحقير والازدراء يدعون المسيح (نجار بارنجار) (Naggar bar) أي نجاراً ابن نجاراً، كذلك يدعونه (بن شارش إيتيم) (Ben Charsch Etaim) أي ابن الحطاب.

٥ - كما يدعونه تالوي (Talui) أي الرجل الذي شق، ويشير الرابي صموئيل بن ماير في (هبلخوت آكوم) وهو من كتاب موسى بن ميمون إلى أنه في الواقع من الجرم اشتراك اليهود في الأعياد النصرانية كعيد الميلاد وعيد الفصح، لأن أولئك النصارى يقيمون قداساً من أجل ذلك الذي شق.

٦ - أما الرابي ابن عزرا في تعليقه على (جينيس) فيناديه أيضاً تالوي، الذي استنسخ الأمباطور كونستانتين صورة تمثال يسوع على رايته، ففي أيام الأمباطور

كونستانتين غير ديانة الأمبراطورية الرومانية ووضع تمثال ذلك الذي شق على رايته.

٧ - فضلاً عما سبق فقد ذكر اليهود في تلمودهم أن يسوع المسيح كان ابناً غير شرعي حملته أمه خلال فترة الخطبة، وكانت تتقمصه (روح) (Esau)، وأنه لذلك كان شريراً وأنه مجنون ومضلّل ووثنى وصلب ثم دفن في جهنم، فنصبه أتباعه منذ ذاك الحين وثناً لهم يعبدونه، وكل ذلك وارد في كراسة التلمود (كاللاه) (Kallah) على لسان الرابي (اليعازر) والرابي (جيهوشو) والرابي (أكيباه).

٨ - ثم أورد اليهود قصة أخرى مروية في (سانهيدرین) (Sanhedrin) وهو مرجع يهودي يبحث في شؤون تنظيم المحاكم ونشوتها ومحاضر جلساتها، بالإضافة إلى مسائل العقوبات التي تترتب على الجرائم الرئيسية، فذكروا عن المسيح أنه كان من بين الذين أجزموا بحق القانون فحكم عليه بالموت وحده فقط بعد أن قبض عليه احتيلاً، أولجأوا إلى إضاءة شمعة في غرفة داخلية، وجاؤوا بشهود عيان إلى غرفة خارجية تجاور الأولى بحيث كان بمقدور هؤلاء الشهود رؤيته والإنصات إلى أقواله بينما هو لا يستطيع ذلك، ثم طلب منه أن يعيد اعترافه حتى إذا كرر (الغاوي) ثانية ما قاله، انبرى آخر يسأله: لكن كيف لنا أن نتخلى عن إلهنا الذي في السماء ونحترم أوثنائاً؟ فإذا ثاب الغاوي وعاد عن أقواله فكل شيء حسن، أما إذا قال هذا واجبنا ومن الصواب أن نفعل ذلك، دفع به أمام القاضي ليرجم بالحجارة حتى الموت، وهذا ما فعلوه مع ابن ستادا في لود، ثم شنقوه عشية عيد الفصح (اليهودي) وكان ابن ستادا هذا ابن (بانديرا) لذلك روى الرابي شاسوا أن بانديرا كان زوج ستادا أمه وهي (ماري) حلاقة السيدات أم يسوع والتي أشبع عنها أنها هربت من زوجها وأنها كانت عاهرة واقترفت الزنا.

ولقد دعاه اليهود في تلمودهم ابن بانديرا، وبابن ستادا بقصد إخفاء اسمه الحقيقي حتى لا يفتن النصارى الذين كان اليهود يعيشون بين ظهرانيهم إلى ضبط خداعهم وتحليلهم بسهولة فيصوبوا جام غضبهم عليهم.

٩ - كما وصفه اليهود بأنه ساحر ومشعوذ، وساقوا لذلك قصة دارت بين المسيح ويهوذا الأسخريوطي الذي خان المسيح ولقبوه (بوداس)، إذ لَفَظَ المسيح الاسم العظيم للإله (يهوا) (Ihuh) واستمر يفعل ذلك حتى هبت رياح رفعت بين الأرض والسماء. ولفظ (بوداس) أيضاً اسم (الله) وبطريقة مماثلة رفعت الرياح، وبهذا عام الاثنان حول الهواء وسط اندهال المتفرجين، ثم أمسك بوداس بيسوع (المسيح) وهو يدفع به إلى الأرض

لكن هذا حاول بدوره دفع بوداس فنشب بينهما قتال متواصل، وعندما تأكد بوداس أنه لن يفوز في النهاية ضد أعمال يسوع بال عليه، وهكذا أصبحت وجوداً نجساً فسقطاً على الأرض، ولم يعد بإمكانهما التلفظ بالاسم الإلهي من جديد إلى أن يغسلا نفسيهما.

١٠ - بل ورد في (زوهار) وهو إحدى كراسات التلمود، أن يسوع مات كبهيمة ودفن في كومة قذرة حيث تطرح الكلاب والحمير النافقة، فقد لقي ميتة حقيرة بشنقه على صليب في ليلة عيد الفصح اليهودي، وذلك عقاباً له على جرائمه وعقوقه.

هكذا زعم اليهود وهكذا صوّروا المسيح عليه السلام في كتبهم، أما عقيدة المسلمين في المسيح عليه السلام فهي كالآتي:

يعتقد المسلمون أن المسيح رسول بعثه الله إلى بني إسرائيل، شأنه شأن باقي الرسل السابقين مصداقاً لما بين يديه من التوراة، وقد رسم القرآن الكريم له، وللسيدة والدته صورة كريمة سامية.

فلقد تحدث القرآن الكريم بأن الله اصطفى السيدة مريم على نساء العالمين لتكون أمّاً للمسيح عليه السلام، وجعلها أظهر نساء العالمين عندما أخلصت العبادة لله سبحانه وتعالى، حتى وصلت إلى مرتبة الصديقة وهي درجة عظيمة القدر عند الله، وصلتها بصدق نيتها في القول والعمل، ولا غرو في ذلك فهي نشأت في بيئة طيبة، في كفالة نبي الله زكريا عليه السلام، شبت منذ طفولتها على طاعة الله تعالى، وقد رماها اليهود بالزنى، لما حملت وولدت المسيح عليه السلام، إلا أن الله برأها من السفاح على لسان وليدها الذي أنطقه الله عقب عملية الوضع، فبرأ والدته وأخبرهم أنه عبد الله وأنه آتاه الكتاب وجعله نبياً.

قال تعالى:

﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾ [سورة آل عمران: الآية ٣٧].

وقال تعالى:

﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ [سورة آل عمران: الآية ٤٢].

وقال سبحانه عن اليهود الذين كفروا بالمسيح عليه السلام وطعنوا في شرف والدته:
﴿وبكفرهم وقولهم على مريم بهتاناً عظيماً﴾ [سورة النساء: الآية ١٥٦].

وقال جلّت كلماته:

﴿ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا، وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين﴾ [سورة التحريم: الآية ١٢].

وفي سورة مريم يقول الله تعالى عن المسيح ووالدته:

﴿قالت أنى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر ولم أك بغياً، قال كذلك قال ربك هو عليّ هين ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان أمراً مقضياً﴾ [سورة مريم: الآيتان ٢٠، ٢١].

وفي موضع آخر من تلك السورة الكريمة يحكي القرآن في أسلوب رائع ما أرجف به اليهود عنها من اتهام باطل، فتحدث المعجزة وينطق وليدها ببراءتها، وأنه نبي مرسل خاضع في عبوديته لله سبحانه.

قال تعالى:

﴿فأتت به قومها تحمله، قالوا يا مريم لقد جئت شيئاً فرياً، يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغياً، فأشارت إليه، قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبياً، قال إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبياً، وجعلني مباركاً أين ما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حياً، وبرأ بوالدتي ولم يجعلني جباراً شقياً﴾ [سورة مريم: الآيات ٢٧، ٢٨، ٢٩، ٣٠، ٣١، ٣٢].

أما عن خَلْق المسيح عليه السلام بدون أب فقد كان بسبب كلمة الله وأمره (كن) فقد تَكُون في بطن أمه ونشأ فيها بنفخ الله تعالى الروح فيه شأنه شأن آدم سواء بسواء.

قال تعالى:

﴿إنما المسيح ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسله﴾ [سورة النساء: الآية ١٧١].

وقال سبحانه:

﴿إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون﴾ [سورة آل عمران: الآية ٥٩].

وكانت الحكمة من رسالة المسيح عليه السلام أن يبين لبني إسرائيل بعض الذي كانوا يختلفون فيه، وأن يحل لهم بعض الذي حرم عليهم، ويبشرهم بقرب بعثة النبي محمد ﷺ خاتماً للمرسلين والأنبياء، وظهور الإسلام ختاماً لرسالات السماء ديناً للبشرية عامة، وليس لطائفة دون طائفة أو فريق دون باقي البشر.

قال تعالى:

﴿ولما جاء عيسى بالبينات قال قد جئتكم بالحكمة ولأبين لكم بعض الذي تختلفون فيه، فاتقوا الله وأطيعون﴾ [سورة الزخرف: الآية ٦٣].

وقال جلت كلماته:

﴿ومصدقاً لما بين يدي من التوراة ولأحل لكم بعض الذي حُرِّم عليكم﴾ [سورة آل عمران: الآية ٥٠].

وقال سبحانه:

﴿وإذ قال عيسى بن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصداقاً لما بين يدي من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد﴾ [سورة الصف: الآية ٦].

ما هي الحكمة التي تتبين من قيام المسيح عليه السلام بالبشارة بالنبي محمد ﷺ؟

إن الحكمة المقصودة من إخباره بني إسرائيل بذلك هي أن يسارعوا بالوفاء بعهد الله الذي أخذ على آبائهم مع نبي الله موسى عليه السلام بالإيمان بهذا النبي الأمين، فهذا هو الدين الواحد، وهذا هو الإسلام الذي جاء به الرسل جميعاً وسار موكب الإيمان يحمله شعاراً له على مدار القرون والأزمان.

قال تعالى:

﴿يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم وإياي فارهبون، وآمنوا بما أنزلت مصداقاً لما معكم ولا تكونوا أول كافر به﴾ [سورة البقرة: الآيتان ٤٠، ٤١].

لكن بكل أسف جحدوا نعمة الله، ولم يوفوا بعهد الله الذي أخذ على آبائهم، فلم يؤمنوا برسالة النبي محمد ﷺ، وكفروا بها حسداً وبغياً من أنفسهم واستحقوا غضب الله ولعنته.

قال تعالى:

﴿ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به، فلعنة الله على الكافرين﴾ [سورة البقرة: الآية ٨٩].

*
**

(٣)

معلومات هامة

عن العهدين القديم والجديد من الكتاب المقدس عند أهل الكتاب

أولاً: بين كثير من العلماء غير المسلمين أن أسفار التوراة والأنجيل المعتمدة لدى طوائف النصرانية محرّفة ومتناقضة، منهم على سبيل المثال:

١ - إبراهيم بن عزرا الذي عاش من (سنة ١٠٩٣م - ١١٦٧م).

٢ - وباروخ سبينوزا الذي عاش خلال المدة من (سنة ١٦٣٢م - ١٦٧٧م).

ثانياً: إن ما يقرأ في أسفار الكتاب المقدس ليس وحياً، بل هو تاريخ دونه أتباع الأنبياء السابقين، ولو كان وحياً ما ذكرت فيه قصص الأنبياء فقط، لأن الوحي يعبر عن قيم ومبادئ، ولا يسرد تاريخ الأشخاص إلا في حدود الموعظة.

بخلاف ما نراه في كتاب الإسلام وهو القرآن الكريم (فهو لا يتحدث عن شخص محمد)، لأنه كتاب يتعلق بالله رب العالمين، ويشتمل على المبادئ والقيم والتشريع والعبادات، والتي كان دور محمد ﷺ فيها، هو دور المبلّغ لها بواسطة الوحي الذي كان ينزل عليه.

ثالثاً: من الثابت علمياً وتاريخياً:

١ - أن تدوين الكتب المقدسة لدى اليهود والنصارى جاء متأخراً بزمان طويل عن عصر الأنبياء المنسوبة إليهم.

٢ - ولم يعرف حتى الآن كاتبها بالضبط.

٣ - ولم يحدد العصر الذي دونت فيه تحديداً قاطعاً.

٤ - وأناجيل النصارى الأربعة لا توجد حالياً إلا محررة باللغة اليونانية في أصولها، وهي لغة تخالف اللغة الآرامية التي كان يتكلم بها المسيح عليه السلام وحواريوه وتلاميذه^(١).

كيف يعتقد والحال هذه أن ما فيها من الأخبار التاريخية صحيح، أو أن ما عداها خطأ بل العكس هو الصحيح، وأن تلك الكتب أصابها التحريف والتبديل طوال حقبة من السنين.

رابعاً: إن دين الله هو التوحيد من لدن آدم إلى محمد ﷺ، والمسيح نفسه لم يدعُ قومه إلا إلى توحيد الله، غير أن من زعموا أنهم أتباعه بعد مضي بضعة قرون من الزمان حرّفوا دعوته، وقرروا ألوهيته في مجمع نيقية المسكوني سنة ٣٢٥م، ثم اضطهدوا من كان مؤمناً بنبوته وبشريته حتى قضوا عليهم، ولم يبق سوى من حاد عن طريق التوحيد وسلك سبيل التثليث^(٢).

خامساً: ثم ورثوا هذه العقيدة لمن جاء بعدهم جيلاً بعد جيل.

وطبعي ألا تعرف الأجيال اللاحقة شيئاً عن هذا الصراع العقائدي فتظل مؤمنة بأن عقيدة النصارى الحالية هي الموصى بها من الله.

اللهم إلا من هداه الله فأنكرها لتنافرها مع الطبيعة البشرية، أو من جدّ في البحث في تاريخ الصراع العقدي بين الطوائف النصارى.

سادساً: أيدت الدراسات العلمية ما جاء في القرآن الكريم عن عدم سلامة قصة قتل المسيح وصلبه، واقتنع به أصحاب الاتجاه العقلي في مجال البحوث الدينية المقارنة^(٣).

**

(١) انظر في باب الوثائق، الوثيقة الثامنة عن الحوار بين خرسطو فورس جبارة وبين الشيخ حسن الطويل.

(٢) انظر في باب الوثائق، الوثيقة الثالثة عما حرر في قاموس الكتاب المقدس عن التثليث وما تقرره دائرة المعارف الأمريكية عن التوحيد والتثليث بالوثيقة السابعة.

(٣) انظر في باب الوثائق، الوثيقة السادسة في كتاب: الخالدون مائة، أعظمهم محمد رسول الله ﷺ: ما يقوله مؤلف هذا الكتاب مايكل هارت عما ذكره عن القديس بولس.

(٤)

التوحيد

عقيدة الفطرة الإنسانية

إن سلامة العقل توجب احترام الحقائق، وإدراك الواقع، والوقوف بالظنون عند حدودها، ورفض الأوهام، وعدم الإيمان بالخرافات، والإنسان بفطرته التي خلقه الله عليها يدرك وحدانية الإله مثلما هو يدرك بفطرته أن العدل جميل والظلم قبيح، وأن العلم مفخرة والجهل معرّة، قال الله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾^(١).

فالناس كما خلقهم الله يولدون على فطرتهم فهم مستعدون لها مؤثرون لمنهجها، يتدافعون في مجراها تدافع الماء إلى منحدره، لكن العوائق المصطنعة هي التي تقطع عليهم طريقهم وتردهم عن وجهتهم، يقول الله تعالى في الحديث القدسي: (إني خلقت عبادي حنفاء كلهم وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً)^(٢).

ويشير رسول الله ﷺ إلى بعض تلك العوائق بقوله: (ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه)^(٣).

وراثه العقيدة:

مما يثير الأسى أن الناس درجوا على هذه الأرض منذ وجدوا على وراثه العقيدة

(١) سورة الروم: الآية ٣٠.

(٢) صحيح الإمام مسلم بشرح النووي ١٧/١٩٧، كتاب الجنة، باب: الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار.

(٣) صحيح البخاري ومسلم.

الإيمانية، وتقليد الآباء والأجداد دون مواجهتها، والبحث فيها مع أن الدين لم يكن في يوم من الأيام إقراراً لأوضاع متبعة باثرة، ولا انسياقاً لطقوس قائمة، وإنما كان الدين اتساقاً مع الفطرة، دعوة إلى الحق وثورة على الباطل، ولو كانت العقيدة إراثاً وتقليداً لما انتقل الناس من باطل إلى حق، ومن عبادة الأصنام والأحجار إلى عبادة خالق الأرض والسموات، ومن السجود للبشر إلى السجود لرب البشر.

تبرم القلب بفطرته على الشرك:

والقلب المشرق على فطرته يشق طريقه وسط الظلمات والأشواك متبرماً بما ورث من عقائد الشرك أو الثنائية أو الثلاث حتى يصل إلى التوحيد الخالص فيعب من ينبوعه المتفجر، ولا غرو في ذلك فالتوحيد يعني أنه «لا إله إلا الله»، تلك الكلمة الطيبة التي شبهها الله في قرآنه العظيم بالشجرة الطيبة، قال تعالى:

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ تُؤْتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾^(١).

التوحيد دعا إليه كل الرسل والأنبياء:

وكلمة التوحيد الخالدة «لا إله إلا الله» قالها كل نبي ورسول من الله، ودعا إليها قومه منذ نزل آدم على هذه الأرض وحتى أكمل الله دينه وأتم نعمته على الناس جميعاً بدين الإسلام.

١ - فهي أساس دعوة نوح عليه السلام، كما يفهم من قوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾^(٢).

٢ - وهي دعوة هود عليه السلام إلى قومه عاد، كما يفهم من قوله سبحانه:

(١) سورة إبراهيم: الآيتان ٢٤، ٢٥.

(٢) سورة هود: الآيتان ٢٥، ٢٦.

﴿وَالِىَ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ﴾^(١).

٣ - وهي دعوة صالح عليه السلام إلى قومه ثمود، كما يفهم من قوله جل شأنه:
﴿وَالِىَ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا، فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ﴾^(٢).

٤ - وهي دعوة شعيب عليه السلام إلى قومه أهل مدين، كما يشير قول الله تعالى:
﴿وَالِىَ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾^(٣).

٥ - وهي دعوة إبراهيم عليه السلام إلى قومه؛ يقول الله تعالى فيما يقصه عنه:
﴿وإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ، إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا، إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ؛ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾^(٤).

٦ - وهي دعوة موسى عليه السلام وأول كلام تلقاه عن الله، كما يشير إليه قوله جل شأنه فيما يقصه عنه لما توجه في طريق عودته إلى مصدر النار التي رآها:
﴿فَلَمَّا أَنَاثَا نُودِيَ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طَوًى. وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى، إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾^(٥).

٧ - وهي رسالة المسيح ابن مريم عليه السلام إلى قومه، كما يفهم من قول الله تعالى فيما يقصه القرآن عنه في دعوته إلى قومه:

(١) سورة هود: الآية ٥٠.

(٢) سورة هود: الآية ٦١.

(٣) سورة الأعراف: الآية ٨٥.

(٤) سورة العنكبوت: الآيتان ١٦ - ١٧.

(٥) سورة طه: الآيات ١١ - ١٤.

﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾^(١).

٨ - وهي دعوة خاتم الرسل والأنبياء محمد ﷺ ورسالته، وذلك في دعوته إلى الناس كافة إذ يقول تعالى في كتابه الكريم هادياً ومرشداً ومعلماً:
﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾^(٢).

فكرة توحيد الإله غاية استهدفاتها البشرية منذ القدم:

مما يثير الدهشة والعجب أن فكرة توحيد الإله وتنزيهه عن الشبه والمثيل جنحت إليها البشرية على طول تاريخها الطويل، فلم تكن قضية الرسالات السماوية وحدها، بل هي قضية العقول المستنيرة وموضع عنايتها والدفاع عنها:

فقد وصل إليها الهنود أخيراً بعد أن كانوا يقولون بتعدد الآلهة التي وصلوا بعددها إلى ثلثمائة وثلاثين ألفاً، فتخلصوا منها جميعاً، واقتصروا على إله واحد قالوا عنه إنه واحد لا شريك له في الملك، ولا يشبه أحداً من مخلوقاته، وهو حي لا يموت ولا يحس جوعاً ولا ظمأً، وهو الذي يضطر الإنسان إلى معرفته^(٣).

أما في بلاد الإغريق فقد انتهى (أفلاطون) إلى القول بأن الله هو خالق الكون وأنه هو المثل الأعلى الذي يحب الخير لعباده.

كما أثبت (أرسطو) أن الله هو واجب الوجود لذاته، وأنه واحد قديم لا يتغير ولا يتبدل.

أما المفكر (أكسينوفان) فقد دأب على محاربة الشرك بين الإغريق، وجَدَّ في دعوتهم إلى تنزيه الله عن المشابهة لمخلوقاته، لأن الله منزّه كل التنزيه عن أن يتصف بصفات البشر، فلكني نحفظ للألوهية بقدرسيها لا بدُّ أن ننزهها عن صفات الإنسان، ولما كان الله هو الكمال المطلق، فإنه يجب أن يكون واحداً، لأن تعدد الآلهة يجعل بعضها

(١) سورة المائدة: الآية ١١٧.

(٢) سورة محمد: الآية ١٩.

(٣) كتاب «نافذة على الإيمان» لفضيلة الشيخ مصطفى الحديدي الطير ص ٩٢ - ٩٣ سلسلة البحوث الإسلامية.

يخضع لبعض، وهذا لا يتفق مع مقام الألوهية، كما أن الإله ليس في حاجة إلى أن يتخذ أتباعاً يعاونونه في الألوهية، ولذلك فليس هناك إله أكبر وآلهة أصغر تكون دونه، ولا آلهة مماثلون يكون بعضهم بجوار بعض، بل يجب أن يكون الإله واحداً^(١).

العقل هو دليل التوحيد الفطري :

وهذا هو ما نادى به الإسلام في دعوته الخالدة إلى التوحيد، فلم يلجأ إلا إلى العقل، فهو يضع قضية التوحيد أمام العقل المجرد في بساطة ووضوح ومن دون أي تعقيد أو غموض، ثم يدعو إلى التفكير في هدوء وتبصر من دون ميل أو هوى حتى يصل إلى حقيقة التوحيد التي تشهد بها آيات الخلق وظواهر الكون والتي بينها القرآن الكريم، ويجليها للناس في منطق واضح وأسلوب رائع وشرح مبدع باستحالة وجود أكثر من إله واحد في الكون، ذلك أن التعدد بين الآلهة يقود إلى التناحر والتنازع بينها، وإلى انحياز كل إله إلى ما خلق مما يؤدي إلى اضطراب نظام الخلق واختلال نواميس هذا الكون، بل إلى انهيار الوجود ودماره. يقول الله تعالى :

﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ﴾^(٢).

ويقول جل شأنه :

﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يُصِفُونَ﴾^(٣).

الموحدون في أزمان الجاهلية العربية :

لم تخل الأرض في عصور الجاهلية وقبل ظهور الإسلام حتى في جزيرة العرب من وجود أناس موحدين، استنارت بصيرتهم فاستطاعوا أن ينزعوا أنفسهم من ظلمة الشرك ورجسه إلى ضياء الوحدانية بما وضع لهم من آيات التوحيد نذكر منهم على سبيل المثال :

(١) كتاب «نافذة على الإيمان» : ص ٩٣ - ٩٤.

(٢) سورة المؤمنون : الآية ٩١.

(٣) سورة الأنبياء : الآية ٢٢.

زيد بن عمرو بن نفيل الذي رفض الاعتقاد في آلهة قومه وسائر المعبودات المصطنعة، وعبد الله وحده، وفي ذلك يقول:

تركت اللات والعزى جميعاً كذلك يفعل الرجل الصبور^(١)
فلا العزى أدين ولا ابنتيها ولا صنمي بني غنم أزور^(٢)

كما كفر بتعدد الآلهة عربي آخر فأخذ ينشد:

أربأً واحداً أم ألف رب أدين إذا تقاسمت الأمور
تركت اللات والعزى جميعاً كذلك يفعل الرجل الخبير
ومنهم أمية بن أبي الصلت الذي أخذ ينشد ويشيد بالتوحيد وبالإله الواحد فيقول:

إله العالمين وكل أرض ورب الراسيات من الجبال
بناها وابتنى سبعاً شداداً بلا عمد تزين ولا رجال
وسواها وزينها بنور من الشمس المضئية والهلل
وشق الأرض فانجست عيوناً وأنهاراً من العذب الزلال
وكل معمر لا بد يوماً وذي دنيا يصير إلى زوال
وسيق المجرمون وهم عراة إلى ذات المقامع والنكال
وحل المتقون بدار صدق وعيش ناعم تحت الظلال^(٣)

النصرانية المثلثة لم تعد في شعوبها

من ظهور الموحدين لله على مر الزمان:

يحدثنا الأستاذ مجدي مرجان (وقد كان شماساً نصرانياً في زماننا المعاصر) أن شعوب النصرانية التي فرض عليها التثليث في عهد الإمبراطور قسطنطين سنة ٣٢٥م لم تخل في تاريخها الطويل من قيام موحدين لله رفضوا أن يشركوا بالله أحداً، وأعلنوا توحيدهم لله على الملأ في صراحة ووضوح ودون خوف أو وجل، ولاقوا في سبيلها الأهوال وتعرضوا للأخطار وذاقوا العنت والعذاب.

(١) اللات والعزى من أصنام العرب في الجاهلية.

(٢) يقصد الشاعر بابتيتها صنمي اللات ومناة.

(٣) كتاب «نافذة على الإيمان» لفضيلة الشيخ مصطفى الحديدي الطير ص ٤٦، ٤٧.

١ - فهذا «آريوس» المصري أسقف كنيسة بوكاليس بالإسكندرية في الربع الأول من القرن الرابع الميلادي، يعلن أن الله هو الواحد الأحد القائم وحده (أي القيوم) وهو الوحيد الذي لم يولد، وليس له بداية أو نهاية، ولا يمكن إدراكه أو التعبير عنه، وليس له معادل أو مكافئ على الإطلاق.

أما المسيح فإنه بطبيعته منفصل تماماً عن الله، ومختلف في شخصه عن الذات الإلهية، ولا يتساوى في المجد مع الله، ولو كان غير ذلك لكان هناك إلهان.

ثم يتكلم عن الروح القدس فيقول: إن شأنه شأن المسيح مخلوق مستقل عن الله، لكن مؤتمر «نيقية» المسكوني الذي انعقد سنة ٣٢٥م تحت مظلة إمبراطور الرومان الوثني قسطنطين تبنى عقيدة التثليث، ورفض مقالة آريوس وحكم عليه بالكفر والهرطقة، ثم تقرر قتله مع مشاييعه.

٢ - وهذا «أوريجانوس» يعلن أن الله لا تدركه الأفهام، وهو أعلى من أن تكون أوصافه شبيهة بالإنسان، وأن الله لا يتجزأ، ولا يحد ولا يحصر، فيحكم على هذا المفكر بالحرمان، وتحرق كتبه، ثم يطرد مع أتباعه.

٣ - والأسقف (نسطورا) ينكر ألوهية المسيح، ويقرر أنه إنسان كسائر البشر مملوء بالنعمة والبركة فيقرر حرمانه وطرده.

٤ - وفي إسبانيا يجهر المصلح الإسباني (ميشيل سرفيتوس) برأيه بوحدانية الله، وإنكار عقيدة الثالوث، ويدمغ مؤتمر «نيقية» المسكوني بالخطأ والانحراف في تقريره تلك العقيدة إذ كان الأجدر بذلك المؤتمر أن يتبطن عقيدة التوحيد لأن عقيدة الثالوث والجوهر لا يوجد لها أي أساس في أسفار الكتاب المقدس، فكان جزاء هذا المصلح الإسباني أن يتقرر إحراقه حياً سنة ١٥٥٣ ميلادية.

٥ - وفي بولونيا نادى العلامة (سوسيتس) بوحدانية الله وبشرية المسيح مقرأً أن الإله لا يحل في البشر، وقد تفرع عن عقيدته مذهب النصارى الموحدين الذين قاموا يدعون إلى تطهير ملة النصرانية أو المسيحية، كما غلب على تسميتها في زماننا المعاصر من أدران الوثنية، وجهالة التجسيد (أي تجسد الإله في صورة البشر وهو على حد اعتقادهم في صورة المسيح الذي هو من البشر) وقد لقي هؤلاء النصارى الموحدين من الاضطهاد والتعذيب ما اضطهرهم إلى هجر وطنهم والنزح إلى مختلف البلاد، ومع ذلك

لاحقهم العذاب أينما حلوا بواسطة عشاق الزور والبهتان، وعباد الزيف والضلال، فخططوا دائماً للقضاء عليهم، وتآمروا لتجويعهم، وتشريدتهم أو سجنهم، وإحراقهم وتقتيلهم، حتى تاهت حقيقة التوحيد النقية، وسط زحام الباطل بين شعوب هؤلاء المفكرين والمصلحين^(١).

انتهى كلام الأستاذ مجدي مرجان بتصرف.

* * *

ويلقي الأستاذ اللواء المهندس أحمد عبد الوهاب في أبحاثه مزيداً من الضوء على طائفة الموحدين فيقول:

١ - لقد حدث أن انتعشت عقيدة التوحيد في بلاد المجريين النصاري هناك بسبب الروح الاستقلالية للمجريين، وابتعادهم بطبيعتهم عن كنيسة روما، ووصل الأمر بأولئك الموحدين إلى أن كانت المجر في فترة من فترات تاريخها تحت حكم ملك موحد هو (جون سيجسموند) في المدة من سنة ١٥٤٠ إلى سنة ١٥٧١ ميلادية.

٢ - وفي هولندا يعلن المفكر الهولندي (توماس أكمبس) في كتابه (على خطى المسيح) التناقض الذي يقع عند الحديث عن المسيح باعتباره إلهاً أو الأقنوم الثاني من الثالوث الإلهي، ثم يطلب إلى الإنسان العادي أن يسير على نهجه، ولقد قوي فكر أولئك الموحدين هناك لدرجة أنه قرب منتصف القرن التاسع عشر صارت مدينة ليدن وجامعتها مركز التوحيد في تلك الدولة الأوروبية.

٣ - وفي إنجلترا أعلن المفكر الإنجليزي (جون بيدل) بعد أن حصل على درجة الماجستير من جامعة أوكسفورد سنة ١٦٤١ وانتهائه من دراساته للكتاب المقدس الشك في عقيدة التثليث، مما أدى إلى تقديمه للمحاكمة، فحكم عليه بالسجن مرتين، كما نفي إلى جزيرة صقلية، ثم ظهر في أسواق إنجلترا وقتئذٍ كتاب «عقيدة التثليث من الأسفار» لمؤلفه العالم اللاهوتي (صموئيل كلارك) وفيه يعلن أن الأب وحده^(٢) هو الإله الأسمى

(١) كتاب «الله واحد أم ثالوث» للأستاذ مجدي مرجان ص ١٣٩، ١٤٠، ١٤١ مكتبة النهضة العربية.

(٢) يقرر المطران عبد الأحد داوود الأشوري العراقي في كتابه «الإنجيل والصليب» المحفوظ نسخته الوحيدة بدار الكتب المصرية أن كلمة (آب) في لغتها التوراتية هي بكسر الهمز، وليس معناها والد بل تعني موجد كافة الموجودات ومكون كل الكائنات فهو خالقها وصانها وفاطرها.

وليس المسيح . ثم قام العالم الطبيعي (جون بريستلي) بتحرير رسالة باسم (التماس إلى أساتذة المسيحية المخلصين الموقرين) وزع منها ثلاثون ألف نسخة بعد طبعها ونشرها في أنحاء إنجلترا، في هذه الرسالة يعرف المؤلف الإله الذي أنزل الوحي، بأنه هو السبب الوحيد لكل الظواهر، أما تعاليم المسيح فتعطي فقط مثلاً أخلاقية.

ولقد كان من نتيجة شيوع تلك الرسالة أن اضطهد ذلك العالم الطبيعي وأرغم على ترك بلاده ونفي إلى بنسلفانيا حيث بقي هناك حتى آخر سنوات عمره، ثم ظهر المفكر الإنجليزي (جيمس مارتينو) في المدة من سنة ١٨٠٥ إلى سنة ١٩٠٠ ميلادية وفي كتاباته أعلن أن الكتاب المقدس لا يعدو أن يكون وثيقة بشرية وأن المسيح ليس أكثر من إنسان.

٤ - وفي الولايات المتحدة الأمريكية كان يمثل مذهب دعاة التوحيد الدكتور (تشارلز شاونسي) راعي كنيسة بوسطن وكذلك القس (يوناثان ميهو) الذي ناضل بشجاعة فائقة ضد التثليث.

٥ - وهناك كثيرون موحدون لله وينكرون عقيدة التثليث في أماكن كثيرة من العالم. يوجد بعضهم في «بلجيكا» و«الدانمرك» وفي «فرنسا» و«سويسرا» و«أيسلندا» و«تشيكوسلوفاكيا» وأغلبهم من رجال الدين لكنهم لم ينفصلوا عن كنائسهم المثلثة الأمر الذي لا يكشف للباحثين أمر أوضاعهم الدينية بكل دقة^(١).

السبب في ظهور الموحدين على الدوام في الشعوب النصرانية :

يرجع هذا كما قدمنا آنفاً إلى أن عقيدة التوحيد بطبيعتها عقيدة فطرية، فضلاً عن ذلك فإن تلك العقيدة هي التي كانت غالبية على شعوب النصرانية في عهودها الأولى بوصفها عقيدة النصرانية الأصلية، وذلك قبل انعقاد مؤتمر «نيقية» المسكوني سنة ٣٢٥م، بل قبل أن تفرض النصرانية ديناً للدولة في عهد الإمبراطور قسطنطين.

ويحدثنا التاريخ أن كل الانحرافات التي لحقت بتلك العقيدة فحوّلتها من التوحيد إلى التثليث كانت بسبب تدخل أباطرة الرومان الذين كان همهم الأول ليس سلامة العقيدة، بل تثبيت حكمهم، فطوعوا الدين لخدمة سياستهم ابتداء من الإمبراطور الوثني

(١) كتاب «طائفة الموحدين من المسيحيين عبر القرون» تأليف المهندس أحمد عبد الوهاب، ص ٤٢،

٤٥، ٤٧، ٤٨، ٤٩، ٥١، ٥٤ نشر مكتبة وهبة بباعدين بالقاهرة.

(قسطنطين) إلى أن وصل العرش إلى ابن شقيقه (يوليانوس) الذي تولى حكم الإمبراطورية سنة ٣٦١م، ثم إلى (يوبيانوس) الذي تولى حكم الإمبراطورية بعد سلفه سنة ٣٦٣م، وكلهم كانوا رافضين لعقيدة التوحيد، ولكن عندما تتوقف السلطات الحاكمة – سواء كانت مدنية أو كنسية – عن التدخل في معتقدات الناس بالإكراه والحجر على تفكيرهم فيشعر الناس بنسيم الحرية يظهر هؤلاء الموحدون لله، وينكرون ما عداها من عقائد، ولا بأس أن نقدم مثلاً عن فكر أولئك الموحدين بشرح واحد منهم.

العلامة شانونج يشرح فكره التوحيدي:

مما يقوله ذلك المفكر النصراني في شرحه للتوحيد الذي يؤمن به هو وطائفته الآتي:

١ – إن القول بثلاثة أقانيم يتطلب ثلاثة جواهر وبالتالي ثلاثة آلهة، وإن نظام الكون يتطلب مصدراً واحداً للشرح وللتعليل لا ثلاثة، لذلك فإن عقيدة التثليث تفتقد أي قيمة دينية أو علمية.

٢ – إن المسيح نفسه لم يفكر في نفسه إلا كزعيم ديني وليس كإله، وبالمثل اعتقد تلاميذه أنه مجرد إنسان، إذ لو كان عند بطرس أو يهوذا أي فكرة عن أن المسيح إله لما كان هناك أي تفسير معقول لإنكار بطرس له، وما كان هناك تبرير لخيانة يهوذا له، لأنه بديهية أن الإنسان لا يمكن أن ينكر أو يخون كائناً إلهياً له كل القوى.

٣ – إن القول بأن المسيح مات من أجل خطايا البشر، وبهذا وقاهم لعنة الله، قضية مرفوضة قطعاً، وإلا كان ذلك طعناً في أخلاق الله، لأن الله يجب ألا يعرف عن طريق اللعنة، بل عن طريق الحلم والحكمة والمحبة، فالأب الحكيم والمحب لبنيه لا يهلك الولد المخطيء الذي يقع في المعاصي، لكن يعلمه ويقوده في طريق الحكمة والفضيلة، وإن الموت الدموي على الصليب من أجل إطفاء لعنة الإله أمر يناقض الحلم الإلهي والصبر والود والمحبة التي لا نهاية لها.

٤ – إن الإنسان على الرغم من أنه قد يخطيء أو يقع في الخطأ لكنه صالح بالفطرة، وإن العقيدة الدينية يجب أن يكون الغرض منها العمل على حفظ الإنسان من الخطأ والخطيئة.

٥ - إن الموحدين ينظرون إلى المسيح باعتباره واحداً من قادة الأخلاق الفاضلة للبشر وهو يعيشه الفاضلة يفقد كل ذرة من قيمه الفاضلة لو كان إلهاً لأن الإنسان لا يستطيع تقليد الإله^(١).

ماذا تقول دائرة المعارف الأمريكية عن عقيدة التوحيد؟

مما نقوله هذه الموسوعة: (لقد بدأت عقيدة التوحيد كحركة لاهوتية بداية مبكرة جداً في التاريخ، وفي حقيقة الأمر فإنها تسبق عقيدة التثليث بالكثير من عشرات السنين.

لقد اشتقت المسيحية من اليهودية، واليهودية صارمة في عقيدة التوحيد، وإن عقيدة التثليث التي أقرت في القرن الرابع الميلادي لم تعكس بدقة التعليم المسيحي الأول فيما يتعلق بطبيعة الله، لقد كانت على العكس من ذلك انحرافاً عن هذا التعليم ولهذا فإنها تطورت ضد التوحيد الخالص.

إن التوحيد هو القاعدة الأولى من قواعد العقيدة، أما التثليث فإنه انحراف عن هذه القاعدة^(٢).

انتهى ما ذكرته دائرة المعارف الأمريكية.

ماذا عن الموحدين في بلادنا المصرية:

كان من حظ الموحدين ودعاة التوحيد في مصر، وكذلك في البلاد الإسلامية أن جاؤوا بني وطنهم من المسلمين، فعرفوا الإسلام بوصفه عقيدة الموحدين الرائدة في عالمنا المعاصر، ولما درسوه وفهموا عقيدته النقية الواضحة، لم يلبثوا أن اعتنقوه، وانتظموا في صفوف المسلمين، نذكر منهم المرحوم زكي النجار بطهطا، والذي تسمى باسم محمد زكي الدين النجار.

والأستاذ إبراهيم خليل فيلبس وكان من رجال الدين الإنجيليين وتسمى باسم إبراهيم خليل أحمد.

والأستاذ مجدي مرجان والذي تسمى باسم محمد مجدي مرجان.

وكذلك الأستاذ محمد فؤاد الهاشمي.

(١) كتاب «طائفة الموحدين في المسيحيين عبر القرون»: ص ٣٨، ٣٩.

(٢) المرجع السابق ص ٩، ١٠.

ولقد وضعوا العديد من المؤلفات التي تزخر بها الأسواق والمكتبات المختلفة، شرحوا فيها رحلتهم العقدية حتى وصلوا إلى الإسلام، بعد أن تبينوا أنه رسالة السماء الخالدة إلى الأرض، وأنه المنهج الوحيد في دنيا الناس الذي مصدره كلمات الله وحدها، غير محرفة، ولا مبدلة ولا مخلوطة بأوهام البشر، وأغلاطهم وانحرافاتهم، فهي ليست من وضع مجمع من المجمع، ولا من إضافة هيئة من الهيئات ولا من إملاء كاهن أو حبر من الأحبار، بل هي تنزيل من رب العالمين.

وبعد:

فإن اهتداء الإنسان إلى فطرته ليس كسباً رخيصاً، بل هو كبير، وغنم عظيم فيه يعيش المرء في سلام ووثام مع نفسه، ومع فطرة الوجود الكبير من حوله.

والحقيقة أن في فطرة الإنسان فراغاً لا يملؤه علم ولا ثقافة ولا فلسفة، إنما يملؤه الإيمان بالله الواحد الأحد جل شأنه.

وستظل الفطرة الإنسانية تحس بالتوتر والجوع والظما حتى تجد الله، وتؤمن به وتتوجه إليه، فتحس بالهداية بعد الحيرة والاستقرار بعد التخطي، والاطمئنان بعد القلق.

وفي هذا المعنى يقول الإمام ابن القيم: (في القلب شعث لا يلمه إلا الإقبال على الله، وفيه وحشة لا يزيلها إلا الأنس بالله، وفيه حزن لا يذهب إلا السرور بمعرفته وصدق معاملته، وفيه قلق لا يسكنه إلا الاجتماع عليه والفرار إليه)^(١).

ولقد مثل القرآن الكريم فطرة الخلق السليمة في معرفة الله وثبوت وحدانيته وربوبيته وأنه لا إله إلا هو بعد أن غرس ذلك في نفوسهم وفطرهم عليها بقوله سبحانه وتعالى:

﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا. أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ: إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ، أَوْ تَقُولُوا: إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ، وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ. وَكَذَلِكَ نَفْصَلُ الْآيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾^(٢).

**

(١) كتاب «الخصائص العامة للإسلام» للدكتور يوسف القرضاوي نقلاً عن كتاب مدارج السالكين للإمام ابن القيم.

(٢) سورة الأعراف: الآيات ١٧٢ - ١٧٤.

(٥)

يا أهل الكتاب

لمَ هذا الهجوم على عقيدة التوحيد

إن الأحقاد الطائفية والحروب الدينية بين أبناء الشعب الواحد غريبة على أرض الإسلام، فقد ألف هذا الدين منذ بدأ يعاشر غيره على المياسرة واللفظ، وأن يرى حسن الجوار فيما يشرع من قوانين ويضع من تقاليد، وهو في ميدان الحياة العامة حريص على احترام شخصية المخالفين له، ومن ثم لم يفرض عليهم حكمه في الحلال والحرام، أو يقهرهم على الخضوع لعقائده، أو اضطهادهم، أو مصادرة حقوقهم، أو المساس الجائر لأموالهم وأعراضهم ودمائهم.

وتاريخ الإسلام في هذا المجال أنصع تاريخ على وجه الأرض، وليت التواريخ الأخرى فيما حفظته الدنيا لها من حروب التعصب وغارات الإبادة والتجني، تقترب من ليونة الإسلام ومودته وسماحته.

محاولات مشينة للهجوم على عقيدة التوحيد :

ورغم مسلك هذا الدين المثالي فيما ضربه من تسامح واعتدال درجت بعض جماعات من أهل الكتاب من النصارى في داخل بلادنا الإسلامية وخارجها على إرسال خطابات إلى العديد من شباب المسلمين، تهاجم فيها عقيدته الصافية النقية في التوحيد، ثم تدعوهم إلى اعتناق فكرهم المتمثل في أن الله ابناً أرسله ليخلص به البشر، ويستندون في زعمهم هذا إلى نصوص من أنجيلهم، مثل :

١ - ما ورد في إنجيل متى بالإصحاح ٢١ عدد ٣٧ في قوله :

(فأخيراً أرسل إليهم ابنه قائلاً يهابون ابني).

ويعنون أن الله أرسل ابنه المسيح إلى شعب اليهود.

٢ - وما ورد في إنجيل مرقس: بالإصحاح الثالث عشر، عدد ٣٢، في قوله:
(وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بهما أحد، ولا الملائكة الذين في السماء
ولا الابن إلا الأب).

٣ - ما ورد في إنجيل لوقا: بالإصحاح الثاني والعشرين، عدد ٧٠، في قوله:
(فقال الجميع: أفأنت ابن الله؟ فقال لهم: أنتم تقولون إنني أنا هو).

٤ - ما ورد في إنجيل يوحنا: بالإصحاح الثالث، عدد ١٨، في قوله:
(لأنه لم يرسل الله ابنه إلى العالم ليدين العالم، بل ليخلص به العالم).

ومع التسليم بوجود النصوص السابقة وما في أناجيل النصارى المتداولة بينهم، نجد
أن هناك نصوصاً أخرى بتلك الأناجيل يصف فيها المسيح نفسه، بأنه بشر، ابن إنسان
كالآتي:

١ - في إنجيل متى بالإصحاح الثامن، عدد ١٨ - ٢٠، ورد قوله:

(فتقدم كاتب وقال له يا معلم أتبعك أينما تمضي، فقال يسوع: للثعالب أوجرة،
ولطيور السماء أوكار، وأما ابن الإنسان فليس له أن يسند رأسه).

٢ - وفي إنجيل مرقس: بالإصحاح الثامن، عدد ٣١، قوله عن المسيح:

(وابتدا يعلمهم أن ابن الإنسان ينبغي أن يتألم كثيراً، ويُرفض من الشيوخ ورؤساء
الكهنة والكتبة).

٣ - وفي إنجيل لوقا: بالإصحاح التاسع، عدد ٥٦، قوله عن المسيح:

(لأن ابن الإنسان لم يأت ليهلك أنفس الناس بل ليخلص).

٤ - وفي إنجيل يوحنا: بالإصحاح الثامن، عدد ٤٠، من كلام المسيح لليهود:

(قال لهم يسوع: لو كنتم أولاد إبراهيم لكنتم تعملون أعمال إبراهيم، ولكنكم
تطلبون أن تقتلوني، وأنا إنسان قد كلمكم بالحق الذي سمعته من الله).

إذاً كيف يتفق القول بأن المسيح ابن الإنسان، أي أنه من البشر، وهناك نصوص
أخرى، تذكر أنه ابن الله؟

فمن استقراء النصوص الخاصة بالبنوة نجد:
أن لفظ البنوة في الكتب المقدسة لدى أهل الكتاب ورد بها على قبيل المجاز، فإذا كان مضافاً إلى الله أريد به الرجل البار، وقد أطلق على المسيح وغيره من الأنبياء والأشخاص فمثلاً:

آدم عليه السلام دعتة الأناجيل ابن الله:

فقد جاء في إنجيل لوقا: في الإصحاح الثالث، عدد ٣٣ - ٣٨، بشأن نسب المسيح أنه يتصل بشيث ابن آدم ابن الله.

أطلقت الأسفار على سليمان عليه السلام أنه ابن الله:

جاء في سفر الأيام الأول: بالإصحاح السابع عشر، عدد ١١ - ١٤، قوله لداود:
(ويكون متى كملت أيامك.. أني أقيم بعدك نسلك.. أنا أكون له أباً وهو يكون لي ابناً).

أطلقت الأسفار أبناء الله على الشرفاء أو الأقوياء:

فقد ورد بسفر التكوين في الإصحاح السادس، عدد ١، ٢، قوله:
(وحدث لما ابتدأ الناس يكثرون على الأرض، وولد لهم بنات أن أبناء الله رأوا بنات الناس أنهن حسنات).

أطلقت الأسفار (ابن الله) على كل شخص بار سواء كان نصرانياً أم غير نصراني:
فقد ورد في إنجيل متى: بالإصحاح الخامس، عدد ٩، قول المسيح عليه السلام:
(طوبى لصانعي السلام لأنهم أبناء الله يدعون).

وبالمقابلة:

أطلقت أسفار أهل الكتاب على الشخص الشرير أنه ابن إبليس:
فقد ورد في إنجيل متى: بالإصحاح الثاني عشر، عدد ٣٤، قول المسيح لليهود:
(يا أولاد الأفاعي، كيف تقدرون أن تتكلموا بالصالحات وأنتم أشرار).
ولفظ الأفاعي في اصطلاح الأسفار الكتابية تمثيل للشياطين.

ولندلل على ما ذكرناه سابقاً بالآتي :

أولاً: يقرر الدكتور محمد فؤاد الهاشمي (وقد كان من رجال الكهنوت النصارى في مصر قبيل إسلامه).

أن عبارة (ابن الله) الواردة بالأسفار المقدسة لدى أهل الكتاب لا تعني ولد الله، فبنو الإنسان جميعاً هم أبناء الله، بمعنى أنهم خلقه، وأبوتهم لهم لا تعني تلك الأبوة الجسدية التي تثبتها شهادة الميلاد، بل هي ربوبية الخلق والتربية، وهذا هو القصد من التعبير بلفظ (الأب) الوارد بتلك الأسفار فهي تعني الإله المربي، وكان هذا اصطلاحاً سائداً عند اليونانيين الذين ترجمت عن لغتهم تلك الأناجيل، ولهذا فإن المسيح ملاً الأناجيل بأنه ابن الإنسان، وأسند أبوة الله لغيره في كثير من النصوص، مما يقطع بأن المراد بها ألوهية الله وربوبيته وتربيته لعباده، كما وصف الصالحين بأنهم أبناء الله بمعنى أنهم أحبواؤه وأصفياءه. [كتاب حوار بين مسيحي ومسلم تأليف الدكتور محمد فؤاد الهاشمي].

ثانياً: ويزيد الأب عبد الأحد داود الآشوري العراقي هذا الأمر وضوحاً إذ كان على دراية باللغات السامية كالعبرية والآرامية فيقرر أن صلاة اليهود الواردة في أسفار داود وهي المعنية بالمزامير عند أهل الكتاب لخصها المسيح عليه السلام بقوله: (أبانا الذي في السماء)، وقد وصفت التوراة الله بلفظ (أب) (بمد الهمزة) هو اسم الله باللغة السريانية أو الكلدانية، وتعني موجد كافة الموجودات ومكوّن كل الكائنات، فهو خالقها وفاطرها، فهي لا تعني أن الله ابناً وحيداً كما تزعم الكنيسة، وهي بخلاف كلمة (أب) بهمزة مفتوحة والتي تعني الوالد^(١).

ثالثاً: ذكر الإمام تقي الدين بن تيمية أن لفظ الابن في أسفار أهل الكتاب هو اسم لمن ربه الله، أو اصطفاه وكرمه من عبيده كإسرائيل وداود وسليمان وغيرهم من الأنبياء، لأن لفظ الأب في لغتهم تعني الرب الذي يربي عبده أعظم مما يربي الأب ابنه، وفي هذا المعنى يقول المسيح لتلاميذه:

(أحبوا أعداءكم، باركوا لاعنيكم، أحسنوا إلى مبغضيك، وصلّوا لأجل الذين

(١) كتاب الإنجيل والصليب، تأليف الأب عبد الأحد داود الآشوري العراقي، المطران السابق لمدينة الموصل وديار بكر.

يسيثون إليكم ويطردونكم، لكي تكونوا أبناء أبيكم الذي في السماوات) [إنجيل متى: الأصحاح الخامس، عدد ٤٤ - ٤٥].

ويرجع أيضاً إلى كتاب: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح؛ لشيخ الإسلام ابن تيمية: الجزء الثاني فصل في معنى الابن.

رابعاً: ويقرر الشيخ رحمة الله بن خليل الرحمن الهندي: أن لفظ (ابن) الوارد في أسفار أهل الكتاب يُحمل على المعنى المجازي المناسب لشخص المسيح عليه السلام، ويتضح هذا المعنى بجلاء من استقراء النص الوارد في إنجيل مرقس: بالإصحاح ١٥، عدد ٣٩، في قوله:

(ولما رأى قائد المائة الواقف مقابله أنه صرخ هكذا وأسلم الروح، قال: حقاً كان هذا الإنسان ابن الله).

ومقابلته بالنص المشتمل على هذا المعنى بإنجيل لوقا: بالإصحاح ٢٣، عدد ٢٧، في قوله:

(بالحقيقة كان هذا الإنسان باراً).

ففي إنجيل مرقس لفظ (ابن الله)، وفي إنجيل لوقا بدله لفظ (البار)، واستعمل مثل هذا اللفظ في حق الصالحين غير المسيح عليه السلام، كما استعمل ابن إبليس في حق غير الصالحين^(١).

* * *

من الذي قام بتحريف لفظ (ابن الله) عن مفهوم من رباه الله واصطفاه إلى مفهوم الألوهية وابن الذات المقدسة وكيف كان ذلك؟

إن من يدعونه بولس والذي لم يرَ المسيح ولم يتلمذ على يديه، بل كان عدواً له ولأتباعه، ثم تحايل بعد ذهاب المسيح عن هذا العالم حتى التصق بتلاميذه بعد أن اطمأنوا إليه، هو الذي انحرف بلفظ (ابن الله) عن مفهومه الكتابي التوراتي، وهو من

(١) كتاب إظهار الحق، تأليف الشيخ رحمة الله بن خليل الرحمن الهندي - الجزء الثاني، الفصل الثالث.

ربّاه الله وأحبه واصطفاه وكرمه إلى مفهوم التقديس والألوهية، ويشير إلى ذلك كثير من أقواله التي تشتمل عليها رسائله مثل:

١ - قوله في رسالته إلى أهل رومية: بالإصحاح الأول، عدد ١ - ٤:

(بولس عبد يسوع المسيح المدعو رسولاً المُفَرَّز لإنجيل الله الذي سبق فوعد به أنبيائه في الكتب المقدسة عن ابنه الذي صار من نسل داود من جهة الجسد، وتعين ابن الله بقوة من جهة روح القداسة بالقيامة من بين الأموات يسوع المسيح ربنا).

٢ - وقوله في رسالته إلى أهل فيلبّي: بالإصحاح الثاني، عدد ٥، ٦:

(فليكن هذا الفكر الذي في المسيح يسوع أيضاً الذي كان في صورة الله، لم يحسب خلصة أن يكون معادلاً لله).

٣ - وقوله في رسالته إلى العبرانيين بالإصحاح الأول، عدد ١، ٢:

(الله بعدما كلم الآباء والأنبياء قديماً بأنواع وطرق كثيرة، كلمنا في هذه الأيام الأخيرة في ابنه الذي جعله وارثاً لكل شيء).

ويؤيد ما ذهبنا إليه من رأي الدكتور شارل جينيير أستاذ ورئيس قسم الأديان بجامعة باريس، الذي يكشف لنا الكثير مما قام به القديس بولس من تحريف، فلقد درس ذلك العلامة اللغة العبرية واللغة اللاتينية والديانة اليهودية، كما درس بعمق الجو الديني العبري، أي المجتمع العبري، أو بمعنى آخر المجتمع اليهودي الذي نشأ فيه المسيح عليه السلام وقضى فيه حياته القصيرة، وكل ذلك من الوجهة التاريخية، أي بحسب الواقع التاريخي، غير متأثر في ذلك بالجانب العقائدي، وانتهى في دراساته إلى الحقائق الآتية:

أولاً: إن عقيدة النصرانية التي دعا إليها السيد المسيح كانت في غاية البساطة، إذ كان يعلن التوحيد ويؤكد أنه عبد الله ورسوله، وكان كل همه أن يدعو إلى الخلق الكريم، إلى الرحمة والمحبة والتعاطف.

ثانياً: إن المسيح ما بعث إلا لخراف بني إسرائيل الضالة، أي أن رسالته كانت خاصة ببني إسرائيل.

ثالثاً: إن المسيح لم يقل عن نفسه إنه (ابن الله) فذلك تعبير لم يكن في الواقع ليمثل بالنسبة إلى اليهود سوى خطأ لغوي فاحش، وضرب من ضروب السفه في الدين،

كما لا يسمح أي نص من نصوص الأنجيل إطلاق تعبير ابن الله على المسيح، فتلك لغة لم يبدأ في استخدامها سوى النصارى الذين تأثروا بالثقافة اليونانية، وهي اللغة التي استخدمها القديس بولس، كما استخدمها مؤلف الإنجيل الرابع، وهو إنجيل يوحنا.

رابعاً: إن القديس بولس هو المسؤول عن انفصال المسيحية عن دعوة السيد المسيح، إذ تسبب بخطئه في ترجمة لفظ عبد في كلمة (عبد الله) التي يقولها المسيح كثيراً عن نفسه إلى كلمة (طفل) بدلاً من ترجمتها إلى كلمة (خادم) فصارت (طفل الله)، وكان لذلك تغيير هائل بالفكرة الدينية عن صورة الإله في الفلسفة عامة وفي عقيدة النصرانية خاصة، والتي غلب على تسميتها بالمسيحية في زماننا المعاصر، بمعنى أنه انحرف بعقيدة التوحيد الخالص إلى فكرة الطفل لله أي بنوة المسيح لله.

خامساً: وطبعي أن الاثني عشر تلميذاً الذين آمنوا بالمسيح وتابعوه لم يكن ليوافقوا على نعت المسيح أنه ابن الله بل كان تعبيرهم عنه أنه خادم الله، لأن صورة الألوهية التي تتسم اتساماً بالكمال أنه لا يلد كما أنه لا يولد، أي أنه ليس بحاجة - لكماله - إلى ولد، إذ إن إرادة الولد إنما هي نقص في الإله.

أما بالنسبة للابن فإنه على أي وضع تصورته، يكون إما مولوداً وإما مخلوقاً، فهو لا مناص قد سبقه عدم وأنه وجد بعد عدم، إذاً فلا يكون إلهاً لأنه حادث.

ولذلك فإن المسيحية الحاضرة بكل ما فيها من عقائد وطقوس وشعائر غريبة بعيدة كل البعد عن رسالة المسيح. (انتهى كلام الدكتور شارل جينيير).

يرجع في هذا إلى كتاب المسيحية نشأتها وتطورها تأليف دكتور شارل جينيير، رئيس قسم تاريخ الأديان بجامعة باريس، ترجمة الدكتور عبد الحليم محمود، نشر دار المعارف بالقاهرة.

الإسلام يصحح الصورة الدينية للإله:

رسم الإسلام مفهوم الألوهية بالصورة الصادقة التي أنزلها الله تعالى على رسوله محمد ﷺ بعيداً كل البعد عن ألفاظ الأبوة والابن التي التبس أمر الحق فيها على أهل الكتاب. قال الله تعالى:

﴿فاعلم أنه لا إله إلا الله﴾ [سورة محمد: الآية ١٩].

وقال جل شأنه :

﴿قل هو الله أحد، الله الصمد، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد﴾ [سورة الإخلاص].

أما عن المسيح عليه السلام، فقد تحدث عنه القرآن باسم الواقع التاريخي الصادق، كما تحدث عنه باسم المنطق.

فباسم الواقع التاريخي :

يقول الله تعالى :

﴿قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله، فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون﴾ [سورة آل عمران : الآية ٦٤].

﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون﴾ [سورة الأنبياء : الآية ٢٥].

﴿وقالوا اتخذ الرحمن ولداً سبحانه بل عباد مكرمون﴾ [سورة الأنبياء : الآية ٢٦].

﴿وقالوا اتخذ الرحمن ولداً، لقد جئتم شيئاً إداً، تكاد السماوات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هداً، أن دعوا للرحمن ولداً، وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولداً، إن كل من في السموات والأرض إلا آتي الرحمن عبداً﴾ [سورة مريم : الآيات ٨٨ - ٩٣].

أما من وجهة النظر المنطقية :

يقول الله تعالى :

﴿قالوا اتخذ الله ولداً سبحانه هو الغني له ما في السموات وما في الأرض إن عندكم من سلطان بهذا، أتقولون على الله ما لا تعلمون، قل إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون، متاع في الدنيا ثم إلينا مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون﴾ [سورة يونس : الآيات ٦٨ - ٧٠].

ويقول جل جلاله :

﴿ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون﴾
[سورة مريم : الآية ٣٥].

فالله سبحانه غني غني مطلقاً عن الولد، لأن من يسعى وراء الولد أو يتبناه هو الفقير وهو المحتاج في العواطف وفي الأعمال وفي التصريف، ولكن الله تعالى يتنزه عن ذلك فهو إذا أراد أمراً، كان ما أراد، ولا يعدو المسيح أن يكون عبداً لله تعالى، كرمه الله بالرسالة التي كلفه بتبليغها إلى قومه من بني إسرائيل، شأنه شأن باقي المرسلين من قبله إلى أقوامهم، وهكذا صحح الإسلام صورة الإله التي كادت المسيحية أن تطمس حقيقتها، والتي ما زالت تحاول جاهدة في طمسها، قال تعالى :

﴿قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قومٍ قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل﴾ [سورة المائدة: الآية ٧٧].

*
**

الباب الثالث

- (١) كتب النصارى المقدسة وعقيدتهم .
- (٢) أناجيل النصارى بين الشك والظن وطوائفهم التي انسلخت من عقيدة التوحيد .
- (٣) كيف ألفت كتب ورسائل النصارى المقدسة عندهم .
- (٤) عقيدة التوحيد وعبودية المسيح .
- (٥) المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام .

(١)

كتب النصارى المقدسة وعقيدتهم^(١)

١ - تنقسم كتب النصارى المقدسة إلى قسمين هما: العهد القديم والعهد الجديد.

(أ) فالعهد القديم يضم الأسفار التي نزلت على الأنبياء والرسل الذين سبقوا المسيح عليه السلام.

(ب) والعهد الجديد يضم الكتب والرسائل التي حررها أناس يقولون إنهم من تلاميذ المسيح.

٢ - بتقليب صفحات العهد القديم يتبين أنه لا يوجد فيها أي شيء عن عقائد النصارى الحالية.. أي لا يوجد فيها قصص الأب والابن والثالث والوهية المسيح.. والوهية الروح القدس.. وتَجَسَّد المسيح وصلبه أو موته وقيامه، أو المعمودية بمفهوم النصرانية للغفران من خطيئة آدم، أو ما يشير إلى اتحاد الابن الأزلي بالأب، أو ما شابه ذلك، وهذه مجمل عقائد النصرانية.

٣ - إن عقائد النصرانية المشار إليها فيما سبق لا توجد في أقوال المسيح عليه السلام.. ولا في أقوال تلاميذه الذين آمنوا به وسمعوا عنه تعاليمه مما يفيد أن مسائل التثليث وتأليه المسيح وتأليه روح القدس أمور لا أصل لها في كتب الله.. ولكنها أمور مخترعة:

(أ) فبعضها اخترع بمعرفة بولس (الرسول في زعمهم) والذي كان عدواً للمسيح

(١) نشر في العدد السادس من السنة الثانية من مجلة «منار الإسلام» جمادى الآخرة ١٣٩٧ هـ يونية ١٩٧٧ م.

وأتباعه في أول أمره، كما أن المسيح لم يختره من تلاميذه فضلاً عن أنه لم ير المسيح ولم يسمع منه مواعظه.

(ب) وبعض هذه الأمور اخترع بمعرفة آباء الكنيسة ومجامعها المسكونية في القرون التالية للمسيحية الأولى.

٤ - إن بشارات الأنبياء التي أعلنت مجيء المسيح في العهد القديم ما ذكرت عنه إلا كونه نبياً من البشر من دون أي إشارة إلى أنه سيقتل أو يصلب.

٥ - ويقول الكاتب المسيحي (ألفريداي): إن تعاليم المسيح تجمعها العناصر الآتية فقط:

(أ) التبشير بقيام مملكة الله حيث المساواة والعدالة.

(ب) الله هو الأمل الذي تهفو نحوه أرواح العباد جميعاً.

(ج) الكمال التام والحب الشامل. وليس شيئاً غير ذلك.

٦ - ولقد كتبت دائرة معارف لاروس الفرنسية (انسكلوبيدية) في القرن التاسع عشر في موضوع التوحيد والتثليث ما يلي:

(عقيدة التثليث وإن لم تكن موجودة في كتب العهد الجديد (الإنجيل) ولا في أعمال الآباء الرسولين، ولا عند تلاميذهم الأقربين... إلا أن الكنيسة الكاثوليكية... والمذهب البروتستانتي التقليدي، يدعيان أن عقيدة التثليث كانت مقبولة عند المسيحيين في كل زمان، رغمًا عن أدلة التاريخ الذي يرينا كيف ظهرت هذه العقيدة... وكيف نمت، وكيف علقت بها الكنيسة بعد ذلك، مع أن تلاميذ المسيح الأولين الذين عرفوا شخصه، وسمعوا قوله، كانوا أبعد الناس في الاعتقاد، بأنه أحد الأقانيم الثلاثة المكوّنة لذات الخالق... وما كان بطرس تلميذ المسيح يعتبر المسيح أكثر من رجل يوحى إليه من عند الله).

٧ - إن المؤرخ الشهير ويلز (Wells) يستنكر كل هذه المبادئ والشعائر، ويرى أنها جميعها موضوعة ولا سند لها من الأناجيل... (ومن العسير أن نجد أية كلمة تنسب فعلاً إلى المسيح فسّر فيها مبادئ الكفارة والفداء، أو حضّ فيها أتباعه على تقديم القرابين أو اصطناع عشاء رباني).

ونقول أيضاً: إن كلمة أقنوم لا وجود لها حتى في تلك الأناجيل أو الرسائل الملحقة بها، بل ولا في العهد القديم، وكلمة أقنوم في مفهوم النصرانية تعني أحد الأركان أو أحد الأشخاص.

٨ - إن المطلع على الأناجيل الثلاثة الأولى المنسوبة إلى متى ومرقس ولوقا يجد أنها لا تحوي أي إشارة عن التثليث، أو ألوهية المسيح، أو ألوهية روح القدس، أو عقيدة الفداء، (وهو تجسّد الابن وظهوره بمظهر البشر ليصلب تكفيراً لخطيئة آدم) كما يزعمون.

٩ - إن ما جاء عن ألوهية المسيح قد جاء بإنجيل يوحنا. وهذا الإنجيل كله لا يُسلم به محققو النصرانية. فعلماء النصرانية (المسيحية)، في أواخر القرن الثاني الميلادي أنكروا نسبة هذا الإنجيل إلى يوحنا الحواري، لأنه كان بين ظهرانيهم أرينوس تلميذ بوليكارب، الذي كان تلميذاً ليوحنا الحواري. ولم يرد عنه أنه سمع من أستاذه بوليكارب صحة تلك النسبة. وهذا يقطع بأن الإنجيل المنسوب إلى يوحنا مزور بالنسبة إلى يوحنا الحواري.

١٠ - ولقد قال العالم (استاولن) في العصور المتأخرة ونقله عن صاحب (كاتلك) في صحيفة (٢٠٥) من المجلد السابع المطبوع سنة ١٨٤٤: (إن كافة إنجيل يوحنا تصنيف طالب من طلبة مدرسة الاسكندرية في ذلك الوقت، تلك المدرسة التي اعتنقت مبادئ الثلاث، وألوهية المسيح والروح القدس وبشرت بها).

١١ - جاء في دائرة المعارف البريطانية التي اشترك في تأليفها ٥٠٠ من علماء النصرانية ما نصه: (أما إنجيل يوحنا فإنه لا مزية ولا شك كتاب مزور... إلخ).

١٢ - ويقول أكهارن في مقدمة أبحاثه: إن كثيراً من القدماء كانوا شاكّين في الأجزاء الكثيرة من أناجيلنا.

لذلك كان من التجوز إضافة مجموع العهد الجديد إلى الله أو إلى المسيح بل إنه يضاف إلى مصنفه فقط، كما يقال حالياً: إنجيل كذا ورسالة كذا.

١٣ - مما يؤيد هذا النظر أن الأب عبد الأحد داود الآشوري مطران بلدة نصيبين بالعراق في القرن الماضي ذكر في أبحاثه المدونة بكتابه (الإنجيل والصليب) أن النسخ الموجودة باللسان اليوناني هي التي تحمل اسم (إنجيل) بصورة العنوان فقط. أما النسخ المكتوبة باللسان السرياني وهي المعتمدة أساساً لدى طوائف النصرانية فقد وضع عليها

اسم (كاروزونا) أي موعظة (بالمعنى العربي) محل كلمة إنجيل، إذ ليس لأي سفر من أسفار العهد الجديد حق بأن يحمل اسم (إنجيل) لأن هذه العبارة لا يحق استعمالها لغير إنجيل المسيح نفسه، والقول بغير ذلك هو اعتداء على مقام المسيح عليه السلام.

ولكن أين هذا الإنجيل الخاص بالمسيح؟ حالياً لا يوجد له أي أثر البتة! ومعنى ذلك أن النصارى ليس لهم كتاب مقدس، وخلعوا هذا التقديس على تلك الكتب والرسائل الخاصة بالمواعظ.

١٤ - والمسيح أساساً ما جاء إلا للشعب اليهود يدعوهم إلى عبادة الله وحده وإلى ترك ما هم فيه من شرور وآثام، فقد ورد في إنجيل متى: إصحاح ١٥، عدد ٢٤:

(لم أرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة) وقد دعا المسيح تلاميذه الاثني عشر إلى تبشير بني إسرائيل فقط.. كما ورد في إنجيل متى إصحاح ١٠ عدد ٥، ٦ لذلك لم تكن رسالة المسيح إلا رسالة قومية يهودية، أي لقومه من اليهود، وليست رسالة عالمية، كما يزعم الرهبان والقساوسة حالياً، بل إن هذا من مخترعاتهم التي لا أساس لها والنص السابق يؤكد هذا النظر وهو:

(هؤلاء الاثني عشر أرسلهم يسوع وأوصاهم قائلاً: إلى طريق أمم لا تمضوا وإلى مدينة للسامريين لا تدخلوا! بل اذهبوا بالحري إلى خراف بيت إسرائيل الضالة).

١٥ - يقول الأستاذ عوض سمعان الباحث القبطي:

إن المتفحص لعلاقة الرسل والحواريين بالمسيح، يجد أنهم لم ينظروا إليه^(١) إلا على أنه إنسان، ولم يتصوروا على الإطلاق أنه إله، ولكن لماذا...؟

- لأنهم أي الرسل والحواريين كيهود، كانوا يعلمون تمام العلم أن الاعتراف بأن إنساناً هو الله: يعتبر تجديدياً يستحق الرجم في الحال (والتجديف يعني في مفهوم النصرانية الكلام بما لا يليق، وفي معنى آخر هو الكفر).

- ولأنهم كيهود أيضاً كانوا يستبعدون أن يظهر الله في هيئة إنسان.. نعم كانوا ينتظرون «المسيا» لكن المسيا بالنسبة إلى أفكارهم التي توارثوها عن أجدادهم لم يكن

(١) انظر في باب وثائق، الوثيقة الثانية، صورة الحكم الجنائي الروماني ضد المسيح.

سوى رسول ممتاز يأتيهم من عند الله، وليس هو ذات الله (كتاب: الله طرق إعلانه عن ذاته؛ للأستاذ عوض سمعان).

القرآن الكريم يأتي بالقول الفصل:

— ولقد حسم القرآن قضية الرسالة إلى المسيح عليه السلام، فقرر أنها لبني إسرائيل فقط.

قال تعالى:

﴿ورسولاً إلى بني إسرائيل﴾ [سورة آل عمران: الآية ٤٩].

فهذا النص القرآني يقطع بأن رسالة المسيح عليه السلام قاصرة على بني إسرائيل، كما حسم القرآن الكريم قضية عبودية المسيح عليه السلام لله سبحانه، قال تعالى:

﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم، قل فمن يملك من الله شيئاً إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن في الأرض جميعاً﴾ [سورة المائدة: الآية ١٧].

فإذا كان المسيح لا يستطيع أن يدفع عن نفسه، ولا عن أمه شيئاً، فكيف يكون إلهاً؟ وهو لا يستطيع دفع الهلاك عن نفسه، ومن صفات الإله أنه لا يعجز عن شيء، وإذن فإن المسيح ابن مريم، وأمّه مخلوقات كسائر مخلوقات الله.

— أما عالمية الرسالة فلم تكن إلا للإسلام باعتباره ختام رسالات السماء، وكلف بها خاتم الأنبياء محمد ﷺ فبلغها إلى العرب والعجم والأبيض والأسود والأحمر والأصفر، فرسالة الإسلام هي الرسالة التي امتدت طويلاً حتى شملت آباد الزمن، وامتدت عرضاً حتى امتدت آفاق الأمم، وامتدت عمقاً حتى استوعبت شؤون الدنيا والآخرة.

فالإسلام رسالة الخلود التي قدر الله بقاءها إلى أن تقوم الساعة، ويطوى بساط هذا العالم، فهي تتضمن هداية الله الأخيرة للإنسانية، فليس بعد الإسلام شريعة ولا بعد القرآن الكريم كتاب، ولا بعد محمد ﷺ نبي من الأنبياء، ولا رسول من رسل الله.

قال تعالى:

﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ [سورة الأنبياء: الآية ١٠٧].

﴿قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً﴾ [سورة الأعراف: الآية ١٥٨].

﴿تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً﴾ [سورة الفرقان: الآية ١].

**

(٢)

أناجيل النصارى بين الشك والظن وطوائفهم التي انسلخت من عقيدة التوحيد^(١)

إن أي كتاب سماوي يستحق أن يخضع الناس له، وللامتثال لأحكامه لا يكفي في إسناده إلى شخص ذي إلهام أي إلى مجرد الظن والوهم بل لا بد:
أولاً: أن يثبت ذلك الكتاب أنه من الله.

ثانياً: وأن يثبت أنه هو الذي أنزله على النبي والرسول الفلاني.

وهذا الثبوت يكون بسند متصل في جميع طبقاته متواتر في عامة مراتبه، أي رواه أناس كثيرون عن أناس كثيرين يؤمن تواطؤهم على افتراء الكذب، فلا يكون هناك تغيير أو تبديل أو زيادة أو نقصان.

وأناجيل النصارى المقدسة والمتداولة بين أيديهم ليس فيها ما يوجب القطع فيما تنقله عن المسيح عيسى ابن مريم أو ما تسنده إليه، وما فيها لا يفيد أكثر من الظن والوهم لانقطاع سند الصحة فضلاً عن التواتر في نسبتها إلى الله، أو أنها هي التي كانت منزلة على المسيح عليه السلام.

فإذا كان الظن والوهم هما فقط سند تلك الكتب المقدسة عند النصارى، فلماذا إذاً رُفضت الكتب الأخرى المنسوبة إلى المسيح وأمه وحوارييه وتابعيهم، والتي وصلت إلى سبعين كتاباً وإنجيلاً أو ما يزيد على ذلك، ودليلها لا يقل في الحجية عن دليل الظن السالف الذكر؟

(١) نشر بمجلة منار الإسلام العدد الأول من السنة الثالثة حرم سنة ١٣٩٨هـ يناير سنة ١٩٧٨م.

وإذا كان الله سبحانه وتعالى أنزل على السيد المسيح إنجيلاً واحداً فما بالنا نرى بأيدي النصارى أربعة أناجيل بخلاف الرسائل الأخرى المنسوبة إلى بولس ويعقوب وبطرس ويوحنا ويهوذا؟

وإذا كانت ليست كلها من عند الله سبحانه وتعالى بل واحد منها فقط، ولا يمكن تعيينه بعينه — لم يكن من المعقول اعتماد شيء منها إذ كل واحد منها يحتمل أن يكون وحده هو المنزل، هذا فضلاً عن الأناجيل والكتب التي رفضوها أيضاً، فلماذا لا يكون واحد منها فقط هو الثابت نزوله من عند الله؟ مما يدعو إلى الشك فيها جميعها ورفضها كلها من أساسها.

ومن المسلم به في مسائل العقائد أنها تنبني على اليقين، وليس على الظن أو الشك؛ لذلك لم تكن لهذه الأناجيل أو الرسائل أي حجية عقلاً لأنه لا حجة مع الاحتمال أو الشك.

ما هو السبب في كثرة ما كُتب ونُسب إلى السيد المسيح عليه السلام؟

إن السبب في ذلك هو أن أحاديث المسيح ومواعظه كانت شفاهة، لم تحصر في مكتوب أو يسطرها القلم في عهده، ولا في زمن متقارب منه، لأن دعوته نشأت أساساً في مدينة الناصرة بإقليم فلسطين بين جماعة من بني إسرائيل صيادي الأسماك، كان يتفشى الجهل فيهم، وكان حولهم شعب اليهود الذين كذبوا دعوته، واثمروا على قتله بعد أن رفضوه ورفضوا رسالته.

وعندما ذهب المسيح عن هذا العالم قام أصحابه بتحرير فقرات قليلة كانت محفوظة في صدر كل منهم ادعى فيها أنها الإنجيل المنزل على المسيح، فاشتعلت عندئذ المنازعات، وتشيع لكل واحد بعض أتباعه من العوام، وكان قد تسرب إلى عقائدهم كثير من أمور الزيغ والانحراف، وتغلغل فيها شيء من مظاهر الشرك والوثنية، فأريقَت بسبب هذه الاختلافات الكثير من الدماء، واستمر الحال على ذلك حتى أوائل القرن الرابع الميلادي.

ولقد وصلت الكتب المنسوبة إلى المسيح عليه السلام، إلى أكثر من سبعين كتاباً

أو إنجيلاً، وعدّها البعض إلى ١٠٠ كتاب، وكان من نتيجة ذلك أن ظهرت إلى جانب الفرق التي تدين بالتوحيد الفرق المثنوية والمثلثة الآتية^(١):

١ - طائفة تدعى بالمركيونيين:

تنسب هذه الفرقة إلى زعيمها مركيون أو مرسيون، كان قسيساً من رجال القرن الثاني الميلادي، وكان يعتقد بوجود إلهين، أحدهما إله عادل كان قد اتخذ من بني إسرائيل شعباً مختاراً له، وأنزل عليهم التوراة. والإله الآخر هو إله الخير، ظهر متمثلاً في المسيح، وخلص الإنسان من الخطايا، وأبطل أعمال الإله الأول، وبناء على ذلك فإن هذه الطائفة لم تكن ترى قدسية لكتب العهد القديم، بل ترفضها جميعها، كما ترفض كتب العهد الجديد أيضاً، ولا تعتمد إلا على إنجيل خاص بها هو إنجيل مركيون.

وتشبه هذه الفرقة في اعتقادها ما يعتقدّه أتباع ديانة زرادشت الفارسية القديمة، والتي تقوم على وجود إلهين هما إله الخير وإله الشر، وقد انقرضت هذه الفرقة حوالي القرن العاشر الميلادي.

٢ - فرقة البريدانية:

وكانت تذهب إلى القول بالوهية المسيح وأمه معاً، وظلت هذه الفرقة حتى القرن السابع الميلادي، حيث كان لمذهبها أتباع وقتئذ ثم انقرضت بعد ذلك.

٣ - فرقة إيلان:

وكانت تذهب إلى القول بأن المسيح إله، وأنه ابن إله، وأنه مرّ في بطن أمه كما يمر الماء في الميزاب، لأن (الكلمة الابن) دخلت من أذنها، وخرجت لتوها من حيث يخرج الولد، وأن ما ظهر من شخص المسيح وقتله وصلبه في أعين الناس هو خيال شبيه بالصورة التي تظهر في المرأة، وقد انقرضت هذه الفرقة بعد القرن الثالث عشر الميلادي، حيث كان أتباعها باليمن والشام وبلاد أرمينية.

٤ - فرقة الثلاث:

وهي المذهب الغالب على طوائف النصراني حالياً.

وتذهب إلى أن الإله ثلاثة أقانيم، وهي الآب والابن وروح القدس، وأن الآب

(١) انظر في باب وثائق، الوثيقة الرابعة؛ تقرير معهد البحوث القرآنية في جامعة ميونيخ.

هو الله، وأن الابن هو الكلمة وهو المسيح، وأن روح القدس هو الملاك الذي بشر السيدة مريم بولادة المسيح، وكان بطريرك كنيسة الإسكندرية، وبابا روما من أنصار هذا الرأي وتثبذ، وقد اتفقا على تغليب هذا الرأي وجعله عقيدة لجميع طوائف النصارى، وذلك في بداية القرن الرابع الميلادي عندما اعتنقت الدولة الرومانية عقيدة النصرانية وجعلتها ديانتها الرسمية في المؤتمر الذي دعت إليه بمدينة نيقية من أعمال آسيا الصغرى سنة ٣٢٥ م (الدولة التركية حالياً) بحضور ٣١٨ من الأساقفة الذين يتدينون بمبدأ التثليث.

وقد اتخذ هذا المؤتمر ضمن ما قرر القرارات الآتية:

- ١ - تقرير عقيدة التثليث، ويدعوها أيضاً، عقيدة الأمانة.
- ٢ - تقرير ألوهية المسيح.
- ٣ - إحراق جميع الكتب التي لا تقول بألوهية المسيح أو تحريم قراءتها، ومن هذه الكتب أناجيل فرق التوحيد التي تُقرر بأن المسيح إنسان، وأنه مجرد بشر رسول.
- ٤ - تقرير قدسية الكتب الأربعة المتداولة حالياً بين النصارى، وهي: إنجيل متى، وإنجيل مرقس، وإنجيل لوقا، وإنجيل يوحنا، وكذلك ما ألحق بها من رسائل تنسب أغلبها إلى بولس ثم إلى يعقوب وبطرس ويوحنا ويهوذا.

ما يقوله الأب عبد الأحد داود المطران الآشوري العراقي:

يقول ذلك المطران النصراني وهو من رجال القرن الماضي الميلادي في كتابه (الإنجيل والصليب): إن تلك الأنجيل الأربعة المعتبرة بيد النصارى حالياً، وكذلك الرسائل الملحقة بها، لم تدخل في عداد الكتب المقدسة باعتبار مجموع هيئتها بصورة رسمية إلا في القرن الرابع الميلادي بإقرار مجمع نيقية العام وحكمه سنة ٣٢٥ ميلادية؛ لذلك لم تكن إحدى هذه الرسائل مقبولة ومصدقة لدى الكنيسة وجميع العالم النصراني قبل هذا التاريخ.

ويؤكد هذا الحبر النصراني أن تلك الأنجيل الأربعة المشار إليها فيما سبق، لم تكن موجودة حتى في زمن المحررين لتلك الرسائل الملحقة بها، لأن الرسائل لا تبحث عن محتويات هذه الأنجيل قطعاً ولا تشير إليها.

كما أن كاتب الرسائل لم يكونوا على علم بهذه الأنجيل الأربعة، مع أنه لو صحت نسبة الأنجيل إلى أصحابها لكانت أسبق من تلك الرسائل.

ما هو السر في تثبيت كنيسة الإسكندرية بعقيدة التثليث؟

إن السبب في ذلك أن كنيسة الإسكندرية وقتئذ كانت تعتنق المذهب الإسكندراني، وهو المذهب الفلسفي الذي نادت به مدرسة الإسكندرية التي كان يتزعمها أفلوطين في القرن الثالث الميلادي، وإليه تنسب الأفلوطينية الحديثة، وكانت آراؤها في العقيدة تركز على الثالوث المكون من الله والعقل والروح، وقد امتدت جذور ذلك الثالوث الأفلوطيني حتى عقيدة المصريين القدماء، وقد أشار إلى ذلك (المستر وليم أوكسلي) في كتابه (مصر وعجائب أرض الفراعنة) بأن بعض قدماء المصريين كانوا يعتقدون بأوزوريس كاعتقاد المسيحية بالمسيح تقريباً، أي أنه ولد بالروح، وكان والده ووالدته إلهاً واحداً بثلاثة أقانيم، وأنه بعد ما قتل وقطع جسمه قطعاً عاش ثانية، وانتهى المؤلف إلى القول بأن الديانة النصرانية هي نوع مما كان يعتقد به القدماء، واستشهد المؤلف بصور وكتابات قال إنها كانت موجودة في قصر أنس الوجود بأسوان، التي تقع في جنوب مصر، وقد نشأ بطريرك الإسكندرية في هذه البيئة التي انتعش فيها مذهب أفلوطين، لذلك لم يكن عجباً منه عند تواجده في مجمع نيقية سنة ٣٢٥ م أن يكون من المدافعين عن عقيدة التثليث.

ما هو سبب مناصرة بابا روما وقتئذ لعقيدة التثليث؟

إن سبب ذلك أن الديانة الميترية كانت سائدة على روما، منذ أن نزحت إليها حوالي سنة ٧٠ قبل الميلاد، ومن هناك انتشرت في جميع بلاد الرومان، وصعدت إلى شمال إيطاليا، حتى وصلت إلى بريطانيا، ولقد تأثر بابا روما وقت حكم الامبراطور قسطنطين بهذه الديانة، لأن اعتقادها في الإله ميتر هو نفس ما يعتقد النصارى حالياً في المسيح، لذلك تلاقت أهدافه مع أهداف بطريرك الإسكندرية عند انعقاد مؤتمر نيقية سنة ٣٢٥ ميلادية لتقرير عقيدة التثليث.

ما هو السر في تدخل الامبراطور

قسطنطين شخصياً لتأييد عقيدة التثليث؟

تناقل الرواة والمؤرخون أن قسطنطين امبراطور الدولة الرومانية، وهو الذي دعا إلى عقد مؤتمر نيقية سنة ٣٢٥ م يضم ممثلين لجميع الكنائس في العالم النصراني، لتقرير مبدأ في العقيدة النصرانية بالنسبة للمسيح، كان نفسه ممن يميل مع القائلين بالوهمية

المسيح، وعقيدة التثليث، لذلك اختار من الأساقفة المجتمعين ٣١٨ أسقفاً ممن يميلون إلى رأيه، وألف منهم مجلساً خاصاً، خوله إصدار تلك العقيدة، وذلك أنه وقت انعقاد المؤتمر كان وثنياً ولم يكن قد دخل النصرانية بعد، فأيد الرأي المناصر للعقيدة المشار إليها، وذلك حتى يقرب النصرانية من وثنيته التي كان يعتنقها، حيث كانت ديانة ميترا إله الرومان واليونان منتشرة في أرجاء الامبراطورية الرومانية في هذا الزمان.

ويقول عن ذلك (المستر جون روبرتس): إن الميترائزية لم تمت باعتراف الرومان للنصرانية لكنها تقمصت في النصرانية.

وهل سلمت تلك الكتب التي تقررت قدسيتها من التغيير والتبديل؟

١ - يقول هاورن في الباب الثاني من القسم الثاني من المجلد الرابع من تفسيره المطبوع سنة ١٨٢٢ ما نصه:

(الحالات التي وصلت إلينا في بادئ زمان تأليف الأناجيل من قدماء مؤرخي الكنيسة بتراء، وغير معينة لا توصلنا إلى أمر معين، والمشايخ الأقدمون صدقوا الروايات الواهية، وكتبوها وقبل الذين جاءوا من بعدهم مكتوبهم تعظيماً لهم، وهذه الروايات الصادقة والكاذبة وصلت من كاتب إلى كاتب آخر وتعذر نقدها بعد انقضاء المدة).

٢ - ويقول (لاردنر) في تفسيره في المجلد الخامس: (هكذا حكم على الأناجيل المقدسة، لأجل جهالة مصنفها بأنها ليست حسنة بأمر القيصر (أناسطيوس) في الأيام التي كان حاكماً فيها على القسطنطينية فصححت مرة أخرى).

٣ - ويقول (أكهارت) العالم الألماني في مقدمة أبحاثه: إن كثيراً من القدماء كانوا شاكين في الأجزاء الكثيرة من أناجيلنا.

٤ - أما المؤرخ (سلسوس) فإنه يقول: إن النصارى بدلوا أناجيلهم ثلاث مرات أو أربع مرات أو أزيد من هذا تبديلاً، كأن مضامينها أيضاً بدلت، ويعلل سلسوس سبب ذلك في كتبه بأن الكذب والخداع كانا بمنزلة المستحبات الدينية وقتئذ.

٥ - بل إن أرجن كان من الذين أفتوا بجواز الكتب الكاذبة، ونسبتها إلى الحواريين أو التابعين أو إلى قسيس من القسس المشهورين، ومصرح ذلك في الحصة

الثانية من الباب الثالث من تاريخ كليسيا المطبوع سنة ١٨٤٨ (لوليم سيور) باللغة الأوردية، وهي إحدى لهجات الهند.

القرآن الكريم ينمى على النصارى ابتعادهم
عن التوحيد ويرد بالحجة على تلك الفرق
السابقة التي اعتنقت فكرة تعدد الإله طبقاً للآتي:

١ - قال الله تعالى:

﴿وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين، إنما هو إله واحد، فيأي فارهبون﴾ [سورة النحل: الآية ٥١].

فهنا زجر ونهي من الله عن اعتناق عقيدة ثنائية الإله، سواء كانت هذه الثنائية عن إلهين هما: إله الخير وإله العدل كما يزعم المرقيونيون، أم كانت الثنائية عن إلهين آخرين هما المسيح وأمه، كما تزعم بذلك فرقة البريدانية.

ثم استكملت الآية بيانها مؤكدة في ذلك إثبات الألوهية والوحدانية لله سبحانه وتعالى وحده.

٢ - وقال سبحانه:

(أ) ﴿بديع السموات والأرض، أنى يكون له ولد، ولم تكن له صاحبة، وخلق كل شيء﴾ [سورة الأنعام: الآية ١٠١].

(ب) ﴿وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله؟ قال: سبحانه ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق﴾ [سورة المائدة: الآية ١١٦].

فمقام الألوهية منزّه عن أن يكون للإله ولد، أو تكون له صاحبة، لأنه خالق كل شيء، والصاحبة والولد والتوالد من مقتضيات البشر وصفاتهم. وفي يوم القيامة يسأل الله سبحانه وتعالى المسيح عن دعوى الألوهية التي ألصقها النصارى به، وكذلك بأمه فيرد المسيح توبيخاً لهؤلاء الذين يزعمون أنهم قومه متبرئاً من دعواهم وذلك على رؤوس الأشهاد.

٣ - وقال تعالى :

﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم، وقال المسيح يا بني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم، إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة، ومأواه النار وما للظالمين من أنصار﴾ [سورة المائدة: الآية ٧٢].

فمن ادعى بأن الله هو المسيح ابن مريم ابتعد عن حظيرة الإيمان ودخل في زمرة الكافرين، لأن المسيح بشر والبشر لا يصح أن يكون إلهاً، ونسبة المسيح إلى مريم للإيذان بأنه ليس له حظ من الألوهية.

وزعم النصارى ألوهية المسيح على الرغم من أن المسيح نفسه قال لهم: اعبدوا الله ربي وربكم، وقدم ربوبية الله تعالى إليه على ربوبيته عز وجل إليهم للدلالة على أنه بشر مثلهم ولهذا أعطفهم عليه.

ونحن مع أننا نؤمن بأن الكتب المقدسة المتداولة بين أيدي النصارى، كما قدمنا، قد تطرق إليها التحريف والتغيير والتبديل، وزخرت بالمتناقضات، ولكنها بقيت فيها - مع هذا - بقية ناطقة بالتوحيد، تؤيد ما قررته الآية السابقة، ومثال ذلك تلك الأقوال المنسوبة إلى المسيح عليه السلام قوله:

(أ) (وأنا إنسان قد كلمكم بالحق الذي سمعته من الله) [إنجيل يوحنا: إصحاح ٨، عدد ٤٠].

(ب) (للرب إهك تسجد وإياه وحده تعبد) [إنجيل متى: إصحاح ٤، عدد ١٠].

(ج) (ليس لأعمل مشيئتي بل مشيئة الذي أرسلني) [إنجيل يوحنا: إصحاح ٦، عدد ٣٨].

وفي الآية القرآنية المشار إليها أنذرهم المسيح عليه السلام بأن الله قضى ولا راد لقضائه أن الله حرم دخول الجنة على من أشرك في عبادته أحداً من خلقه، وأن مقرر المشركين جميعاً في نار جهنم.

٤ - وقال سبحانه :

﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة، وما من إله إلا إله واحد، وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم﴾ [سورة المائدة: الآية ٧٣].

فمن قال بالتثليث وهو العقيدة السائدة حالياً بين الطوائف النصرانية، كان من الكافرين، ولقد اعترف كبار علماء اللاهوت، في قاموس الكتاب المقدس:

(أنها لم ترد في الكتاب المقدس، ويظن أن أول من صاغها واخترعها واستعملها هو ترتليان في القرن الثاني للميلاد، وقد خالفه كثيرون ولكن مجمع نيقية أقر التثليث سنة ٣٢٥ ميلادية، ثم استقر التثليث بعد ذلك عند الكنيسة المسيحية على يد أوغسطينوس في القرن الخامس الميلادي) [انتهى ما ورد بقاموس الكتاب المقدس، ص ٢٣٢، ٢٣٣].

ومن هذا يتضح أن التثليث ابتدع رسمياً بعد المسيح عليه السلام بأكثر من ثلاثة قرون وربيع القرن، وأنه دخيل على النصرانية الحقّة الموحدة، وبهذا استحق القائلون به الحكم عليهم بالكفر الصريح، ولقد أيد كبار الباحثين — كما قدمنا سابقاً — أن التثليث تسرب إلى النصرانية من العقائد الوثنية التي كانت سائدة قديماً.

والحق أنه لا يمكن عقلاً أن يكون الإله إلأً واحداً، أما تعدد الآلهة فهو وصم لها بالقصور، لأن قدرة كل منهم تكون حينئذ مقيّدة بقدرة الآخرين، والإله لا يكون محدود القدرة والسلطان فضلاً عما يصيب ملكوت السموات والأرض من فساد بهذا التعدد. قال تعالى:

﴿لو كان فيهما آلهة إلاّ الله لفسدتا﴾ [سورة الأنبياء: الآية ٢٢].

**

(٣)

كيف أُلِّفَتْ كتب ورسائل النصارى المقدسة وما هي اللغة التي كُتبت بها

إن اللغة التي كان يتكلم بها المسيح عليه السلام هي اللغة الآرامية، لأنه ولد في فلسطين حيث كان سكانها يتكلمون تلك اللغة في عهده، ولقد سادت تلك اللغة في أواخر القرن الرابع قبل الميلاد لا على فلسطين وحدها، بل على سوريا وبلاد العراق، ثم انقسمت اللغة الآرامية إلى مجموعتين:

إحداهما: مجموعة اللهجات الآرامية الشرقية وتشمل اللهجات الآرامية ببلاد العراق، والأخرى: مجموعة اللهجات الآرامية الغربية وتشمل اللهجات الآرامية بسوريا وفلسطين وشبه جزيرة سيناء، وهذه تنقسم إلى لهجات كثيرة منها: اللهجة التي يطلق عليها علماء اللغة اسم (الآرامية الفلسطينية الحديثة).

فهل حررت أناجيل النصارى الأربعة ورسائلها المقدسة باللغة الآرامية لغة المسيح التي كان يتكلم بها؟

والجواب عن ذلك بالنفي، لما ثبت من أن جميع تلك الكتب والرسائل المقدسة لديهم حررت باللغة اليونانية، اللهم إلا كتاب موعظة متى فهو الذي قيل أنه تم تأليفه باللغة الآرامية الفلسطينية الحديثة، ويرجعون تاريخه إلى سنة ٤٠ بعد الميلاد لكن الموجود من هذا الكتاب هو ترجمته اليونانية، إذ أن نسخته الأصلية المحررة باللغة الآرامية الفلسطينية الحديثة لم يصل إليها الباحثون، ويقرون بفقدائها، وكل ما وصل إليهم تلك المترجمة إلى اللغة اليونانية بعد تأليفه وذلك حوالي سنة ٦٠ ميلادية، ولا يظهر في الترجمة المذكورة إلا آثار ضئيلة للهجة الآرامية التي سبق تحريره بها، وتتمثل في عدد قليل من الكلمات الآرامية مدونة بحروف يونانية.

ومما تجدر الإشارة إليه أن متى المنسوب إليه ذلك الكتاب، لم يكن أصلاً من

حَوَارِيِّي، المسيح الاثني عشر، وقد تم اختياره استكمالاً لهذا العدد بعد ذهاب المسيح عليه السلام عن هذا العالم، وهلاك يهوذا الاسخريوطي، والذي كان من الاثني عشر حوارياً، لكنه خان المسيح، وأرشد أبحار اليهود وجنود الرومان إلى مقره وسهل لهم عملية القبض عليه، فتمكنوا - كما تزعم بذلك مراجعهم - من محاكمته وصلبه، لذلك اجتمع نحو مائة وعشرين من كبار رجال النصرانية وقتئذ تحت رئاسة بطرس فوق موقع اختيارهم على اثنين، يكمل أحدهما عدة الحواريين الاثني عشر وهما (برساياس) الملقب جوستنوس ومتى، ثم ضربوا القرعة بينهما فخرج سهم متى فاختر بمعرفتهم حوارياً.

ولم يعلم إلى الآن كيف ترجم هذا الإنجيل، ولا من هو المترجم له، وما هو حال هذا المترجم في القوة أو الضعف في النصرانية، وهل هو من النصارى أم من اليهود، أو من الوثنيين أو من غيرهم، ثم أين ذلك الأصل الذي تمت الترجمة منه، حتى تتم المقارنة بينهما، كل ذلك ليس له عند النصارى جواب، فأية قيمة علمية إذاً لوثيقة لا يعرف أصلها، ولا مترجمها، ولا سند لها متصل بالمسيح عليه السلام أو تلامذته.

ومع كل ذلك فالنصارى تجزم بأنه كتاب معتمد لديهم، وتتخذة دستوراً مقدساً ترجع إليه في عقائد دينها وأصوله، مع أنه لا توجد جرثومة دليل على أنه لمتى الحواري.

أما عن كتاب مرقص فإنه ينسب إلى مرقص أحد تلاميذ المسيح، أو الأنصار أي الأنصار الاثني والسبعين، وقد أطلق عليهم اسم التلاميذ أو الأنصار لأنهم كانوا ملازمين لصحبة المسيح عليه السلام، والأخذ عنه، أو الأخذ عن الحواريين الاثني عشر، كما أنهم قاموا بنشر النصرانية والدعوة إليها وقتئذ، ومن هؤلاء التلاميذ كان أيضاً القديس برنابا المنسوب إليه (إنجيل برنابا) والذي تنكره الكنائس النصرانية حالياً؛ لاشتماله على عقيدة التوحيد والبشارة بالنبي محمد ﷺ.

ولقد صاحب مرقص الحواري بطرس وتبعه عند ذهابه إلى روما، وبعد مقتل بطرس في سجون روما توجه مرقص إلى الاسكندرية، ونشر فيها النصرانية، وأنشأ بها الكنيسة المسماة باسم بطرياركية الاسكندرية، كما تدعى أيضاً (بالكراسة المرقسية) ثم قتل سنة ٦٨ بعد الميلاد في أحد سجون الاسكندرية.

ويقولون إن مرقص قام بتأليف هذا الإنجيل، بطلب من أهالي روما حوالي سنة ٦٣ أو ٦٥ بعد الميلاد باللغة اليونانية تحت إشراف أستاذه بطرس وإرشاده، وقد رجع إليه في

بعض أموره، واستمد منه بعض الذكريات، وقال بعض المؤرخين: إن القديس بطرس هو المحرر له، وإن نسب إلى مرقص، ومما تجدر ملاحظته أن مرقص وأستاذه بطرس كانا ينكران ألوهية المسيح التي هي حالياً مدار الاختلاف بين معتنقي النصرانية وغيرهم، وإذا كان الأمر كذلك فكيف يستقيم هذا مع ما ورد فيه من عبارات (يسوع المسيح ابن الله) كما هو وارد مثلاً في بداية الإصحاح الأول منه، فالجواب عن ذلك أن مثل هذه الكلمات بالقطع إلحاقية ولا توجد في أصوله القديمة.

وشبيه من هذا ما ورد في تفسير الكتاب المقدس، للدكتور جورج بوست الأمريكي بأن ما جاء في إصحاح ١٦ من هذا الإنجيل، من عدد ٩ إلى عدد ٢٠، لم يكن في النسخ الأصلية القديمة بل أضيفت إليه فيما بعد فقرات، وتلك الفقرات هي الآتي:

(وبعد ما قام باكراً في أول الأسبوع ظهر أولاً لمريم المجدلية التي كان قد أخرج منها سبعة شياطين، فذهبت هذه وأخبرت الذين كانوا معه، وهم ينوحون ويبكون، فلما سمع أولئك أنه حي وقد نظرته لم يصدقوا).

وبعد ذلك ظهر بهيئة أخرى لاثنتين منهم وهما يمشيان منطلقين إلى البرية، وذهب هذان وأخبرا الباقيين فلم يصدقوا.

أخيراً ظهر للأحد عشر وهم مُتَكُثُّون ووبخ عدم إيمانهم وقساوة قلوبهم لأنهم لم يصدقوا الذين نظروه.

ويقول مارغوسطينوس: (إني لم أكن أؤمن بإنجيل لوقا لو لم تسلمني إياه الكنيسة المقدسة). مما يفهم منه أنه لولا أن الكنيسة تعتبر ذلك الكتاب قانوني في الإيمان لرفض مارغوسطينوس قبوله.

أما عن كتاب يوحنا فهو منسوب إلى القديس يوحنا، والذي كان من كبار الحواريين الاثني عشر، وهو شقيق الحواري يعقوب الكبير، وهما ابنا زبدي، كانا من الدعاة الأولين للنصرانية، وتقول عنه مراجع النصرانية إنه كان من أحب الحواريين إلى المسيح عليه السلام وأقربهم إلى قلبه.

وقد تم تأليف ذلك الكتاب باللغة اليونانية سنة ٨٩ أو سنة ٩٨ ميلادية، ومنها إلى اللاتينية والتي ترجم منها إلى لغات العالم المختلفة.

ومما يلاحظ على هذا الكتاب الآتي:

١ - انفرد في صدر إصحاحه الأول بالعبارات الآتية:

(في البدء كان الكلمة، والكلمة كان عند الله، وكان الكلمة الله، هذا كان في البدء عند الله).

وهذه الفقرات متناقضة المعنى، لا تتفق مع مفهوم العقل فإن قوله: (والكلمة كان عند الله) لا يلتزم مع قوله: (وكان الكلمة الله) فإذا كان الله عين الكلمة، لا يصح أن تكون الكلمة عنده، لأن العندية تقتضي المغايرة، لأنها عبارة عن حصول شيء عند شيء كحصول المال عند زيد، ولا شك أن المال غير زيد، وزيد غير المال، وهذا ظاهر لا جدال فيه، فكيف تكون الكلمة عند الله، وأيضاً تكون عين ذاته، ثم تتجسد، وتكون ابنه، والابن عين أبيه، والأب عين الابن؟.

والكلمة والكلام هنا صفة للمتكلم، والصفة لا تكون عين الموصوف، فكلمة الله إذاً ليست ذات الله تعالى.

ولم ير في شرائع الأنبياء أو في كتبهم إطلاق الكلمة على ذات الله تعالى، والقول بخلاف ذلك هو مخالفة لشرائع الأنبياء والمرسلين وتجاوز على مقام رب العالمين.

٢ - ولقد قال استاولن في العصور المتأخرة، ونقله عن صاحب كاتلك في صحيفة ٢٠٥ من المجلد السابع المطبوع سنة ١٨٤٤ إن كافة إنجيل يوحنا تصنيف طالب من طلبة مدرسة الاسكندرية صنفه باللغة اليونانية (تلك المدرسة التي اعتنقت مبادئ الثالث وألوهية المسيح والروح القدس وبشرت بها).

ولقد كانت فرقة (ألوجين) في القرن الثاني تنكر هذا الكتاب وجميع ما أسند إلى يوحنا من تصانيف، ويقول بذلك أيضاً المحقق (برطشنيذر).

٣ - جاء في دائرة المعارف البريطانية التي اشترك في تأليفها خمسمائة من علماء النصرانية ما نصه:

(أما إنجيل يوحنا فإنه لا مزية ولا شك كتاب مزور، أراد به صاحبه مضادة اثنين من الحواريين بعضهما لبعض وهما يوحنا ومتى، وقد ادعى هذا الكاتب المزور في متن الكتاب أنه هو الحواري الذي يحبه المسيح، فأخذت الكنيسة هذه الجملة على علاقتها وجزمت بأن الكاتب هو يوحنا الحواري، ووضعت اسمه على الكتاب نصاً مع أن صاحبه

غير يوحنا يقيناً، ولا يخرج هذا الكتاب عن كونه مثل بعض كتب التوراة التي لا رابطة بينها وبين من نسبت إليه، وإنا لنرأف ونشفق على الذين يبدلون منتهى جهدهم ليربطوا ولو بأوهى رابطة ذلك الرجل الفلسفي، الذي ألف هذا الكتاب في الجيل الثاني، بالحواري يوحنا الصياد الجليلي، فإن أعمالهم تضيع عليهم سدى لخطبهم على غير هدى).

ويقول الأب عبد الأحد داوود الآشوري في كتابه (الإنجيل والصليب) أنه يلاحظ على الكتب الأربعة السابقة والمعتمدة لدى طوائف النصارى الآتي:

* الملاحظة الأولى:

أن هناك تيارين مختلفين:

أحدهما: يصور المسيح بسيرته الحقيقية، وواضح هذا في كتب متى ومرقس ولوقا، ويظهر ذلك في الطبقات الأولى لها، لكنه تغير في الطبعة الثانية والثالثة وما بعدها، فقبلوا المعلم وجعلوه رباً وإلهاً نازلاً من السماء إلى الأرض.

ثانيهما: تيار يصور المسيح بأنه كلمة الله وابن الله، تجسد وصار إنساناً وهذا ما سطره كتاب يوحنا.

مع أن المهمة التي أرسل الله لها المسيح عليه السلام هي:

١ - إصلاح بني إسرائيل.

٢ - شرح الشريعة الموسوية لبث الروح الجديدة فيها.

٣ - إعداد كل شيء لمحبي ملكوت الله الذي سيأتي فيما بعد، والذي أرسل هو بصورة خاصة لأجل البشارة عنه. وذكر أن ملكوت الله هذا يعني دين الإسلام ورسالة النبي محمد ﷺ بوصفها ختام رسالات السماء.

وكل ما يخالف المعاني السابقة ليس بصحيح، وليس بصحيح أيضاً أن الحق بتلك الكتب الأربعة (المدعاة أناجيل).

ومثال ذلك فإن من يقول: (لم أرسل إلا لخراف بني إسرائيل الضالة)، لا يقول: (أنا نور العالم)، ولا يقول: (اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم). فالعبارة الأولى هي الأخرى بالاعتماد عليها أما العبارات الأخرى المخالفة فيجب طيها.

* الملاحظة الثانية:

إنه من المسلّم به أنه كان هناك إنجيل أنزله الله على المسيح عليه السلام، ولكن

ماذا كان ذلك الإنجيل؟ وماذا صار إليه أمره؟ لا أحد يعرف الإجابة على هذا السؤال، لأن المسيح لم يترك سطوراً واحداً بهيئة كتاب.

* الملاحظة الثالثة:

أن العالم النصراني بقي حتى نهاية الربع الأول من القرن الرابع الميلادي بغير ما كتاب مقدس معتمد، أي حتى انعقاد مجمع نيقية سنة ٣٢٥ ميلادية بأمر الأباطور قسطنطين، بل كان هناك شتات من الكتب والرسائل المختلفة مع فئات النصارى الكثيرة، وطوائفهم المختلفة، وهناك في مدينة نيقية بعد طرد أنصار التوحيد من المؤتمر، وعلى رأسهم (أريوس)، وقد كانوا أغليبيته ثم انتخاب أربعة كتب، خلعوا على كل منها اسم إنجيل، كما تم انتخاب الرسائل المعتمدة لديهم حالياً وضموها إلى تلك الكتب الأربعة الأخرى.

* الملاحظة الرابعة:

أن الكتب الأربعة المتداولة مع كونها ليست تأليف المسيح ذاته، لم توجد في زمانه بل وجدت بعد وفاة تلاميذه بزمان طويل، ووصلت محرقة بعد أن عبث بها أقلام كثيرة.

ويقول (لاوتر) في تفسيره في المجلد الخامس: (هكذا حكم على الأناجيل المقدسة لأجل جهالة مصنفها بأنها ليست حسنة بأمر القيصر أغسطينوس في الأيام التي كان حاكماً في القسطنطينية فصحت مرة أخرى).

ويقول أكهارت أحد العلماء الألمان: إن كثيراً من القدماء كانوا شاكين في الأجزاء الكثيرة من أناجيلنا هذه.

ويقول المستشرق الفرنسي (إيتين دينيه): إن نصوص الإنجيل تبعت في النفس الشك في صحة تلك الأناجيل التي بين أيدينا، لأن الإنجيل الموحى من الله إلى المسيح عليه السلام بلغته وبلغه قومه ضاع واندر ولم يبق له أثر.

وقد نقل المرحوم الشيخ محمد رشيد رضا صاحب مجلة «المنار» عن دائرة المعارف الفرنسية أن الأناجيل الأربعة المعتمدة لدى النصارى ما ظهرت إلا بعد ثلاثة قرون من تاريخ المسيح، وهي متعارضة متناقضة مجهولة الأصل والتاريخ بل وقع الخلاف بينهم في مؤلفيها، واللغات التي ألفوا بها، وأن نسخها الأصلية فقدت.

أما عن الرسائل الملحقة بكتب النصرانية فتنقسم إلى الأقسام الآتية:

– القسم الأول: هو سفر أعمال الرسل، ويقصد بهؤلاء الرسل الحواريون والأنصار تلاميذ المسيح عليه السلام، وهذا الكتاب ألفه لوقا صاحب كتاب لوقا باللغة اليونانية.

– القسم الثاني: رسائل بولس وعددها (١٤) رسالة حررت كلها باللغة اليونانية.

– القسم الثالث: الرسائل الكاثوليكية وعددها سبع رسائل، وهي رسائل يعقوب ويهوذا وبطرس الأولى وبطرس الثانية ويوحنا الأولى ويوحنا الثانية ويوحنا الثالثة ومحرة جميعها باللغة اليونانية.

– القسم الرابع: رؤيا يوحنا اللاهوتي وقد حرر هذا الكتاب باللغة اليونانية.

والملاحظ على تلك الرسائل السابقة أن كتابها لم يدعوا لأنفسهم أنهم رسل من الله لذلك لا يمكن القول بأن ما حرروه هو وحي من الله، أو بإلهام منه، فمثلاً بطرس في رسالته يقدمها بأنه رسول يسوع المسيح، ولم يذكر لنفسه وصف الرسالة المطلقة من الله.

ولم يشذ عن هذه القاعدة إلا بولس فهو الذي يذكر في رسائله أنه يتكلم عن الله، وأحياناً يقول إنه يتكلم عن نفسه، مع أنه لا يوجد في كتب النصرانية ما يشهد له بالرسالة، أو الإلهام أو الإيمان، إلا سفر أعمال الرسل، وسفر أعمال الرسل هذا محرر بمعرفة لوقا صاحب الكتاب السابق الإشارة إليه، ولم تثبت له معجزة إلهامية حتى يمكن التصديق بكل ما كتب، كما أنه لم يرد عنه في كتب النصرانية أنه كان من السبعين الذين أرسلهم المسيح، وأخبرهم بأن أسماءهم كتبت في السماء، أو أنه كان من أولئك المائة والعشرين الذين ألقى فيهم بطرس خليفة المسيح خطبته وامتلاؤا بالروح القدس على (حد اعتقادهم)، هذا فضلاً عما ثبت عن بولس هذا أنه لم ير المسيح ولم يتلمذ عليه، بل ثبت بسفر الأعمال المذكور أنه كان عدواً للمسيح ودعوته، ويسوم أتباعه صنوف الاضطهاد والعذاب.

هل كتب النصارى الأربعة ورسائلهم الثلاث والعشرون المقدسة هي ما أنزله الله على المسيح عليه السلام كما حكاها القرآن الكريم؟

والجواب عن ذلك بالنفي طبقاً للآتي :

أولاً: إن تلك الكتب والرسائل تختلف كل الاختلاف عن الإنجيل الذي يذكر القرآن الكريم أنه كتاب مقدس أنزله الله سبحانه وتعالى على المسيح عليه السلام قال تعالى :

﴿ثم قفينا على آثارهم برسلنا وقفينا بعيسى ابن مريم وآتيناه الإنجيل﴾ [سورة الحديد: الآية ٢٧].

ثانياً: وقد أشار القرآن الكريم في أكثر من موضع إلى أن هذا الإنجيل قد حرف وبدل وزيد عليه، ونسي النصارى كثيراً منه في الأسفار التي يتداولونها باسم العهد الجديد.

قال تعالى:

﴿ومن الذين قالوا إنا نصارى أخذنا ميثاقهم فنسوا حظاً مما دُكِّروا به فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون﴾ [سورة المائدة: الآية ١٤].

ثالثاً: وقد أشار كتاب يوحنا إلى ذلك أيضاً، أو ما يقرب منه إذ يقول عنه:
(وآيات أخر كثيرة صنع يسوع قدام تلاميذه لم تكتب في هذا الكتاب).
ويقول أيضاً:

(وأشياء أخر كثيرة صنعها يسوع إن كتبت واحدة واحدة فلست أظن أن العالم نفسه يسع الكتب المكتوبة).

[انظر إنجيل يوحنا: إصحاح ٢٠، عدد ٣٠، وإصحاح ٢١، عدد ٢٥].

وإرجع إلى بحثنا تحت عنوان: «كتب النصارى المقدسة وعقيدتهم»، وفيه أن كتب النصارى الأربعة المعتمدة لديهم هي مواعظ وليست الإنجيل الذي أنزله الله على المسيح عليه السلام، وذلك طبقاً لما حققه الأب عبد الأحد داود الآشوري مطران بلدة نصيبين بالعراق في القرن الماضي في أبحاثه المدونة بكتابه (الإنجيل والصليب)^(١).

**

(١) انظر البحث في أول الفصل الثالث من هذا الكتاب.

(٤)

عقيدة التوحيد وعبودية المسيح^(١)

النصرانية في مبدأ أمرها كما يحدثنا القرآن الكريم كانت ديانة توحيد، تدعو بني إسرائيل إلى عبادة الله وحده، وتقرر أن المسيح عليه السلام إنسان من البشر أرسله الله تعالى كما أرسل الأنبياء والمرسلين قبله، لتبليغ رسالة الله إلى من أرسل إليهم.

قال تعالى:

﴿وقال المسيح يا بني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم، إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار، وما للظالمين من أنصار﴾ [سورة المائدة: الآية ٧٢].

وقال سبحانه:

﴿إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كُنْ فيكون، الحق من ربك فلا تكن من الممترين﴾ [سورة آل عمران: الآيتان ٥٩، ٦٠].

لفظ كُنْ أي بإرادة الله سبحانه وتعالى، خلقه كما خلق السموات والأرضين والأفلاك والكواكب والبحار والأنهار، فليس ميلاد المسيح من عذراء وهي السيدة مريم مبرراً للقول بالوهيته وأنه ليس من جنس الناس، كما تقول النصراني؛ فإن خلقه لا يقاس بجانب قدرة الله سبحانه، ولا يرفع من قدره إلى مقام الألوهية ويسلخه من جنس الأدمية، ذلك أن المتتبع لدورة الخلق يرى أن الله جلَّتْ قدرته قادر على كل شيء.

١ - فآدم: أبو البشر عليه السلام خلق من العدم دون ذكر أو أنثى، رجلاً كاملاً من تراب الأرض، ولم يتوسط في خلقه بشر ودون أن يمر بدور الطفولة.

٢ - وحواء: زوجة آدم خلقت من آدم وهو ذكر، وذلك بلا أنثى تتوسط هذا

(١) نشر بمجلة منار الإسلام العدد السابع السنة الثانية رجب سنة ١٣٩٧هـ يوليو سنة ١٩٧٧م.

الخلق، بل إنها خلقت امرأة كاملة التكوين نامية الجسم والعقل دون أن تمر بدور الطفولة والمراهقة التي تمر بها سائر الفتيات.

٣ - أما المسيح عليه السلام: فقد خلق طفلاً رضيعاً تربى في حجر أمه حتى نضج شاباً، ثم رجلاً مع مرور الأيام والشهور والسنين، وقبل ذلك كان جنيناً في بطن أمه تسعة أشهر كاملة.

٤ - ثم باقي البشر خلقوا ويخلقون من أب وأم عن طريق الاتصال الجنسي بالزواج الشرعي أو بنحو ذلك.

فإذا كان النصارى يزعمون عجباً أن المسيح قد صار إلهاً لولادته من أم دون أب فأدم أبو البشر حال خلقه كان أعجب إذ وجد دون أب وأم، وكان خليقاً طبقاً لمنطق النصارى أن يكون أخرى بالألوهية من المسيح الذي خلق من أم فقط، ولا أحد من الناس ادعى ألوهية آدم عليه السلام لذلك السبب، وإلى هذا يشير القرآن الكريم لافتاً الأنظار في الآية الكريمة السابقة.

ما ورد في الكتاب المقدس على لسان المسيح مشيراً إلى الوجدانية:

أورد مرقس في إنجيله ما يؤيد دعوة المسيح عليه السلام إلى وجدانية الله صراحة عندما جاءه أحد الكتبة:

(فجاء واحد من الكتبة وسمعهم يتحاورون فلما رأى أن إجابتهم حسناً سألته آية وصية هي أول الكل؟ فأجابه يسوع أن أول كل الوصايا هي: اسمع يا إسرائيل الرب إلهنا رب واحد، وتحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك ومن كل قدرتك، هذه هي الوصية الأولى، وثانية مثلها هي أن تحب قريبك كنفسك؛ ليس وصية أخرى أعظم من هاتين، فقال له الكاتب: جيداً يا معلم، بالحق قلت لأن الله واحد وليس آخر سواه)^(١) [انظر إنجيل مرقس: إصحاح ١٢، عدد ٢٨ - ٣٢].

(١) انظر في باب وثائق: الوثيقة الخامسة مما أورده العالم الأمريكي مايكل هارت عن المسيح عليه السلام في كتابه الخالدون مائة أعظمهم محمد ﷺ.

ولفظ يسوع يعني باللغة العربية عيسى أو المسيح .

وعبارة (هي أول الكل) التي وردت في هذا النص تشير على ما يبدو إلى أن هذه الوصية تعني المبدأ المحكم الواضح لحقيقة التوحيد الذي لا لبس فيه ولا التواء مما يقتضي مراعاة تأويل ما عده من النصوص الأخرى في الكتاب المقدس ، والتي توهم بالتشابه أو التشبيه على ضوء هذا النص المحكم ، والذي يجب أن تكون له البينة على ما عده من نصوص .

ما ورد في الكتاب المقدس على لسان المسيح مشيراً إلى مجرد الرسالة له :

أورد يوحنا في إنجيله قوله على لسان المسيح عليه السلام :

(وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك، ويسوع المسيح الذي أرسلته) [انظر إنجيل يوحنا: إصحاح ١٧، عدد ٣].

هذا النص هو المبدأ المحكم الثاني، وبه تتم حقيقة المبدأ المحكم الأول السابق الإلماع إليه، فلقد حدد السيد المسيح بدقة تامة وبألفاظ واضحة طريق الحياة الأبدية، والذي بغيره لا تكون حياة أخرى بل يكون الهلاك لا محالة وهو:

١ - الشهادة بوحداية الله سبحانه وتعالى وأن معرفته هي الحقيقة الكبرى .

٢ - الشهادة بأن يسوع المسيح مجرد رسول كلفه الله بالرسالة مثل غيره من المرسلين والأنبياء السابقين .

فرق من النصارى استمرت في حفاظها على عقيدة التوحيد :

لقد ظلت بعض فرق من النصارى محافظة على عقيدة التوحيد، وظل لبعضها أتباع كثيرون حتى أواخر القرن السادس الميلادي، ثم انقرضت كلها بعد ذلك بسبب اضطهاد الدولة الرومانية لهم بعد أن قضت على عقيدة التوحيد، واعتمدت عقيدة التثليث رسمياً في مؤتمر نيقية سنة ٣٢٥ ميلادية، ومن أهم هذه الفرق الفرق الآتية :

١ - الأريوسيون: وهم أتباع أريوس وإليه ينسبون، وأريوس هذا كان قسيساً في مدينة الإسكندرية في أوائل القرن الرابع الميلادي، وبعض المؤرخين يقول إنه كان قسيساً

في كنيسة تبقوميديا - وكان داعياً قوياً التأثير في سامعيه واضح الحجة جريئاً في المجاهرة برأيه، وقد قاوم وقتئذ ما ذهب إليه بطريرك الإسكندرية من القول بألوهية المسيح وبنوته لله، إذ قام أريوس يقرر ويعلن أن المسيح ليس إلهاً ولا ابناً للإله، وإنما هو بشر مخلوق ومجرد رسول فقط، وأنكر كل ما جاء في جميع الكتب الأربعة المعتمدة الآن لدى طوائف النصرانية (وهي أناجيل متى ومرقس ولوقا ويوحنا وما ألحق بها من رسائل) من العبارات التي توهم في مظهرها إلى ألوهية المسيح، وقد انقرضوا في أواخر القرن الخامس الميلادي.

٢ - فرقة ميلتوس: كان ميلتوس قسيساً في كنيسة أسبوط، وكان يرى ما يراه الأريوسيون من أن المسيح عليه السلام ليس إلهاً ولا ابناً للإله، وإنما هو بشر رسول ومخلوق، وقد انقرضت فرقته بعد تقرير مجمع نيقية ألوهية المسيح سنة ٣٢٥م.

وقد ذكر ابن البطريق في تاريخه (وهو نصراني من رجال القرن الثالث الهجري كان من أشهر مترجمي الخليفة المأمون، وقد ترجم له كتابي المجسطي لبطليموس وأقليدس) في بيان مذهب أريوس: (أنه كان يقول: إن الأب وحده هو الله، وإن الابن مخلوق مصنوع، وقد كان الأب حينما لم يكن الابن)، وقد تبعه مشايعون كثيرون، فقد كانت كنيسة أسبوط على هذا الرأي وعلى رأسها ميلتوس، وكان أنصاره في الإسكندرية نفسها كثيرين في العدد أقوياء في المجاهرة بما يعتقدون، كما تبعه خلق كثير في فلسطين، وفي مقدونية والقسطنطينية، وذلك على الرغم من أن كنيسة وبطريك الإسكندرية لم يألأ جهداً في محاربته ومحاربة آرائه، وعلى الرغم من الحكم عليه بالطرد من الكنيسة في مجمع نيقية سنة ٣٢٥م وتكفيره بعد أن أصدر ذلك المجمع قراره بألوهية المسيح، ثم أخذ الأريوسيون يضمحلون ويتناقصون حتى انقرضوا في أواخر القرن الخامس الميلادي.

٣ - فرقة بولس الشمشاطي: كان بولس الشمشاطي أسقفًا لإنطاكية سنة ٢٦٠م وكان ينكر ألوهية المسيح وقرر أنه مجرد بشر رسول، وقد عقد بإنطاكية من ٢٦٤م إلى ٢٦٩م ثلاث مجامع للنظر في شأنه، وانتهى الأمر فيها بحرمانه وطرده، ولكن بقي لمذهبه أتباع حتى انقرضوا في القرن السابع الميلادي قبل بعثة النبي محمد ﷺ.

ويقول الإمام ابن حزم الفقيه والعالم الأندلسي المسلم عن بولس الشمشاطي في كتابه (الفصل في الملل والأهواء والنحل): (كان قوله التوحيد المجرد الصحيح وأن عيسى

عبد الله ورسوله كأحد الأنبياء عليهم السلام، خلقه الله في بطن مريم من غير ذكر وأنه إنسان لا إلهية فيه).

أما ابن البطريق المؤرخ النصراني الذي أشرنا إليه فيما سبق فيقول في بيان مذهب فرقة الشمشاطي: (إنها كانت تقول): إن المسيح إنسان خلق من اللاهوت كواحد منا في جوهره، وإن ابتداء الابن من مريم، أي أنه محدث وليس قديماً، ويقولون إن الله جوهر واحد وأقنوم واحد ولا يؤمنون بالكلمة (أي الابن) ولا بروح القدس).

٤ - فرقة أبيون: تنسب هذه الفرقة إلى زعيمها أبيون، وكانت تقر شريعة موسى عليه السلام وتعتبر عيسى عليه السلام هو المسيح المنتظر الذي تحدثت عنه أسفار العهد القديم، وتنكر ألوهية المسيح، وترى أنه مجرد بشر رسول، وكان لهذه الفرقة في تفاصيل عقائدها إنجيل خاص محرر باللغة الآرامية، لا يوجد حالياً شيء من نصوصه، وإن كان التاريخ أورد ذكره، وهذه الفرقة انقرضت هي الأخرى في أواخر القرن الرابع الميلادي.

وهذه الفرق التي أشرنا إليها كانت على ما يبدو تعتمد في عقائدها هذه على ما انتقل إليها من حقائق الإنجيل الصحيح الذي أنزله الله على المسيح عيسى عليه السلام، وعلى بعض الكتب الأخرى من تأليف الحواريين، وتلاميذ المسيح ومن تبعهم، غير تلك الأناجيل الأربعة التي اعتمدها مجمع نيقية سنة ٣٢٥م، والتي يستند عليها النصارى في تقرير عقيدة التثليث وألوهية المسيح. (كتاب الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام للدكتور علي عبد الواحد وافي).

القرآن الكريم يشير إلى معتنقي

التوحيد ويبشرهم بالنجاة من العذاب:

لعل تلك الفرق النصرانية التي حافظت على عقيدة التوحيد النقي وانقرضت قبل ظهور الإسلام هي التي أشار إليها القرآن الكريم وأثنى عليها، وحكم بنجاة أفرادها من العذاب، أما من أدرك الإسلام وسمع به وبرسالة النبي محمد ﷺ من أفراد النصارى، ولم يؤمن بها فإن هذه الأحكام لا تصدق عليه، ومصيره إلى النار كالكافرين والمشركين سواء بسواء.

ويؤكد هذا المعنى أن القرآن الكريم حينما يصدر هذه الأحكام يقرر أنها لا تصدق إلا على ﴿من آمن منهم بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً﴾:

- ١ - أي حافظ على عقيدة التوحيد الخالص النقي .
 - ٢ - وحافظ على شريعة رسوله الذي آمن به دون زيادة أو نقصان .
 - ٣ - وكان على ذلك قبل ظهور الإسلام وبعثه نبيه ﷺ .
 - ٤ - أو أدرك الإسلام وآمن به وبالرسول محمد ﷺ أياً كان حاله قبل ذلك .
- قال تعالى :

١ - ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ . يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [سورة آل عمران : الآيتان ١١٣ ، ١١٤] .

٢ - ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مِنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلُوا صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ ، وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [سورة البقرة : الآية ٦٢] .

٣ - ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [سورة آل عمران : الآية ١٩٩] .

وقوله سبحانه :

٤ - ﴿لَكِنَّ الرَّاَسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ ، وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [سورة النساء : الآية ١٦٢] .

٥ - ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ ، لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمَنْ تَحْتَ أَرْجُلِهِمْ ، مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ ، وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾ [سورة المائدة : الآية ٦٦] .

٦ - ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِثُونَ وَالنَّصَارَى مِنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلُوا صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [سورة المائدة : الآية ٦٩] .

التوحيد الخالص وعلماء الغرب في زماننا المعاصر:

١ - إن المتتبع لأراء علماء الغرب في وقتنا الحالي يرى أن تصورهم الفكري بالنسبة للإله قد تطور، فبعد أن كانت أفكارهم عن الله سبحانه وتعالى مكانية (فوق العالم) نراهم يقولون إن هذه الفكرة قد خالفت الحقيقة منذ مدة طويلة، بل إن بعض علماء النصرانية مثل كارل رانر ينادي بضرورة أن يؤمن المسيحيون (النصارى) بالله الواحد ذي الصفات الحسنى التي توجد في تعاليم الإسلام.

٢ - ويقول الأستاذ الجامعي (الدكتور دانتيني) ممثل الكنيسة البروتستنتية في إحدى الجلسات التي عقدت في فيينا في خلال شهر مارس سنة ١٩٧١ بين ممثلي الديانات المختلفة: (إن متابعة إرسال البعثات التبشيرية المسيحية إلى الدول الإسلامية طريق خاطئة)... وطالب باحترام وتفهم أكثر للإسلام^(١).

**

(١) يرجع في ذلك إلى البحث الممتع تحت عنوان أفكار إسلامية دخلت مسيحية عصرنا للدكتور إسماعيل بالك مدرس اللغات الشرقية بجامعة فيينا بدولة النمسا - وهو من أبحاث مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر في المؤتمر السادس؛ المحرم سنة ١٣٩١هـ - مارس سنة ١٩٧١م.

(٥)

المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام

مما لا جدال فيه أن الإنسان عندما يذهب بعيداً عن مصدر النور كثيراً ما تختلط عليه الأمور المتعارفة له، فإذا ما أغرق في البعد عن النور ومصدره فقد التمييز بين كثير من الحقائق.

وقد قالوا: إن الألوان تتشابه في الظلام.

واختلاف الناس في الرأي الذي كان قبل مُسْلِماً به وواضحاً إنما هو وليد بُعْدِهِم عن المصدر الأساسي كما بعد صاحب الألوان المتعددة عن النور، فرآها كلها في الظلام لوناً واحداً، ومن هنا تكمن الحكمة الربانية في إنزال الله للكتب السماوية على رسله حتى تكون مصدر ذلك النور الإلهي، الذي يهتدي به البشر وتوصية الأنبياء والرسل لأتباعهم والمؤمنين بهم بالمحافظة عليها نظراً لما تشتمل عليه من عقيدة سوية في التوحيد حتى لا يبتعدوا عنها فتختلط عليهم الأمور، ويتيهوا في ظلمات الشك والحيرة والاختلاف، كما حدث لأتباع المسيح عليه السلام بعد أن فقدوا إنجيل المسيح نفسه.

كيف كان كتاب السماء في دعوة المسيح عليه السلام:

كان كتاب المسيح عليه السلام هو الإنجيل نزل إليه من عند الله، وهو مصدق للتوراة كتاب موسى عليه السلام، وإذا قلنا: «التوراة» فإنما نعني التوراة المنزلة من عند الله، فالإنجيل المنزل – أيضاً – مؤيد لها قال تعالى:

﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾^(١).

(١) سورة المائدة: الآية ٤٦.

ولكن أين هذا الإنجيل ذلك الذي نزل على المسيح عيسى عليه السلام؟
هذا الإنجيل ضاع واندثر ولم يبقَ له أثر وعن ذلك يقول نورتن في كتابه الذي طبع في مدينة بوسطن سنة ١٨٣٧ وقد نقل فيه بعد المقدمة عن العالم الألماني أكهارن:
(إنه كان في ابتداء الملة المسيحية توجد رسالة مختصرة، يجوز أن يُقال إنها هي الإنجيل الأصلي، وأنها وضعت للمريدين الذين لم يسمعوأ أقوال المسيح بأذانهم ولم يروا أحواله بأعينهم، وكان هذا الإنجيل بمنزلة القلب، وما كانت الأحوال المسيحية مكتوبة فيها على الترتيب).

ويستطرد العالم الألماني أكهارن في مقدمته إلى أن يقول:

(كثيراً من القدماء كانوا شاكين في الأجزاء الكثيرة من أناجيلنا هذه)^(١).

ومن ذلك يتبين احتمال أن هذه الرسالة كانت المرجع لجميع الأناجيل التي كانت رائجة في القرن الأول والقرن الثاني الميلادي، ومنها الأناجيل المتداولة حالياً، لكن هذه الرسالة (التي أشار إليها العلامة أكهارن) فقدت، بمعنى أنها إذا كانت الإنجيل الأصلي فقد فقدت ولم يعثر لها على أثر، وبعدها بقيت تلك الكتابات التي حررها أصحابها وأسبغوا عليها من أنفسهم كلمة إنجيل ووصل عددها حتى أوائل القرن الرابع الميلادي إلى أكثر من سبعين كتاباً أو إنجيلاً وأوصلها البعض إلى ١٠٠ مائة كتاب^(٢).

كيف كانت العقيدة في دعوة المسيح عليه السلام؟

إن المتتبع لتاريخ المسيحية حتى تلك الأناجيل الأربعة المتداولة: إنجيل متى، ومرقس، ولوقا، ويوحنا يتبين أن المسيح كان يبشر بدعوة التوحيد للإله الواحد، وأنه بشر رسول فقط شأنه شأن من سبقه من المرسلين، كإبراهيم ونوح وموسى على نبينا وعليهم أفضل الصلاة والسلام، وقد ورد ذلك صراحة في قوله بإنجيل يوحنا:

(١) عن «إظهار الحق»، للإمام رحمة الله الهندي ص ١٠٦ مكتبة الشيخ أحمد المليجي وأخيه الشيخ محمد المليجي.

(٢) عن «مقارنة الأديان» - المسيحية، للدكتور أحمد شلبي ص ٩٨.

(وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته)^(١).

وهذا مثل ما نقول نحن المسلمون:
(لا إله إلا الله محمد رسول الله).

ومفهوم المخالفة لنص إنجيل يوحنا أن من يقول بخلاف ذلك كمن يؤله المسيح أو يقول: إنه ثالث ثلاثة (الأقانيم المقدسة) لا تكون له الحياة الأبدية، بل تكون له حياة الشقاء والعذاب، كما تكرر ذلك من المسيح في قوله بإنجيل مرقس، لما جاء واحد من كتبة الإسرائيليين وسأله: أية وصية هي أول الكل؟ (فأجابه يسوع إن أول كل الوصايا هي: اسمع يا إسرائيل: الرب إلهنا رب واحد)^(٢).

فأيده ذلك الكاتب بقوله:
(جيداً يا معلم، بالحق قلت، لأن الله واحد وليس آخر سواه).

والمسيح — عيسى ابن مريم، على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام — يكرر في دعوته إلى عقيدة التوحيد لله ما نص عليه «سفر التثنية» وهو أحد أسفار التوراة المتداولة «العهد القديم» في وصاياها لبني إسرائيل، يقول:

(اسمع يا إسرائيل الرب إلهنا رب واحد)^(٣).
(أنا أنا هو وليس إله معي، أنا أميت وأحيي)^(٤).

وكل ذلك اتساق مع كلام المسيح كما هو وارد عنه في إنجيل متى في قوله:
(لا تظنوا أنني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء بل لأكمل، فالحق أقول لكم: إلى أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل)^(٥).

(١) سفر التثنية: إصحاح ٣٢، عدد ١٣٩.

(٢) مرقس إصحاح ١٢ — ٢٩ إلى ٣٢.

(٣) سفر التثنية: إصحاح ٦، عدد ٤.

(٤) سفر التثنية: إصحاح ٣٢، عدد ٣٩.

(٥) إنجيل متى: إصحاح ٥، عدد ١٧ — ١٨.

هل ورد بالتوراة ما يشير إلى ألوهية المسيح والروح القدس؟

بتقليد صفحات التوراة المتداولة وما ألحق بها من أسفار الأنبياء العبرانيين والذي يطلق عليه العهد القديم يتبين أنه لا يوجد فيها قصص الأب والابن والثالوث ولا ألوهية المسيح أو الروح القدس، ولا تجسد الابن وصلبه تكفيراً عن خطيئة البشر، أو موت الابن وقيامه... إلخ تلك العقائد التي تمتلئ بها ملة النصرانية.

كما أن بشائر الأنبياء التي قيل إنها أعلنت عن مجيء المسيح في العهد القديم ما ذكرت إلا كونه نبياً من البشر دون أي إشارة إلى أنه سيقتل أو يصلب، بل على العكس من ذلك، فإنها تشير إلى أن الله تعالى يحميه ويعصمه من كيد اليهود ويحفظه من شرورهم.

ولندلل على ذلك بأقوال بعض علماء مقارنة الأديان المسيحيين في دول الغرب.

ما يقرره الكاتب المسيحي الفريد آي^(١):

يقرر ذلك الكاتب أن تعاليم المسيح تجمعها العناصر الآتية:

- ١ - قيام مملكة الله حيث المساواة والعدالة.
- ٢ - الله هو أبو البشر وهو الأمل الذي تهفو نحوه أرواح العباد جميعاً.
- ٣ - الكمال التام والحب الشامل لله.

تلك هي تعاليم النصرانية أو المسيحية لا أكثر ولا أقل، أما ما سوى ذلك من أسس دينية فقد اعتمدت المسيحية فيها على التوراة، وقد مدح المسيح على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام نفسه بأنه إنما جاء ليتمم التوراة لا ليبدأ ديناً جديداً وذلك في قوله:

(لا تظنوا أنني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء، ما جئت لأنقض بل لأكمل)^(٢).

أما المؤرخ الشهير ويلز (Wells) فيقول:

(كان القديس بولس من أعظم من أنشأوا المسيحية الحديثة وهو لم ير المسيح قط)

(١) كتاب النصرانية والإسلام عالمية الإسلام ودوامه إلى قيام الساعة للمؤلف ص ١٢، ١٣.

(٢) إنجيل متى: إصحاح ٥، عدد ١٧.

ولا سمعه يبشر الناس، وكان في بداية أمره من أبرز وأنشط المضطهدين لتلاميذ المسيح قليلي العدد، ثم اعتنق المسيحية فجأة وغير اسمه من شاؤول، وجعله بولس، وقد أوتي ذلك الرجل قوة عقلية عظيمة، كما كان شديد الاهتمام بحركات زمانه الدينية، فنراه على علم عظيم باليهودية والميتراسية - وهي ديانة (ميترا) إله الرومان المكون من ثلاث - وكذلك ديانة مدينة الاسكندرية - وهي ديانة المصريين القدماء المكونة من الثلاث أيضاً - فنقل إلى المسيحية التي كان يبشر بها في الأقاليم الوثنية من حوض البحر الأبيض المتوسط كثيراً من أفكار معتنقي الديانات السابقة ومصطلح تعبيراتهم، ولم يهتم بتوسيع فكرة المسيح الأصلية وتمييزها وهي فكرة ملكوت السموات، ولكنه علم الناس أن المسيح هو ابن الله نزل إلى الأرض ليقدم نفسه قرباناً ويصلب تكفيراً عن خطيئة البشر، فموته كان تضحية مثل موت الضحايا القديمة من الآلهة في أيام الحضارات البدائية من أجل خلاص البشرية، وقد استعارت المسيحية أشياء كثيرة من هذه الديانات:

١ - كالقيس الحليق.

٢ - وتقديم النذور.

٣ - والهيكل والشموع.

٤ - والترتيل والتماثيل التي كانت لعقيدة ميترا وعقيدة الاسكندرية.

٥ - بل تبنت أيضاً حتى عباراتها في عباداتها وأفكارها اللاهوتية.

٦ - وراح بولس يقرب إلى عقول تلاميذه الفكرة الذاهبة إلى أن شأن المسيح كشأن أوزوريس كان رباً مات ليبعث حياً ولينمخ الناس الخلود^(١). انتهى كلام المؤرخ ويلز.

ويقول العالم الأمريكي المعاصر مايكل هارت عن المسيح وعن بولس الآتي:

أولاً - عن المسيح عليه السلام:

إن المسيح أرسى المبادئ الأخلاقية للمسيحية، وكذلك نظراتها الروحية، وكل ما يتعلق بالسلوك الإنساني، فهو صاحب الرسالة الروحية. لكن مما تجدر الإشارة إليه أن قصة حياة المسيح وإن كانت وردت في العهد الجديد إلا أن أكثر تلك المعلومات ليست

(١) كتاب مقارنة الأديان «المسيحية»، للدكتور أحمد شلبي ص ١١٩، ص ١٢٠ نقلاً عن كتاب (A Short History of the World pp. 178 - 179.)

مؤكد، فلا يقين على اسمه الحقيقي، وأغلب الظن أنه يحمل الاسم اليهودي المعروف (يشوع)، وسنة ميلاده ليست مؤكدة وإن كان يقال إنه قد ولد قبل السنة التي أجمع عليها رجاله بست سنوات، حتى سنة وفاته التي أجمع عليها حواريوه ليست معروفة ولا مؤكدة، كما أن المسيح لم يترك وراءه ورقة واحدة مكتوبة.

ومما يؤسف له حقاً أن الأناجيل المتداولة يناقض بعضها بعضاً، فمثلاً إنجيل متى وإنجيل لوقا يتناقضان في إيراد الكلمات الأخيرة للمسيح، وقد أشير كثيراً إلى أن المسيح كان يشبه من وجوه كثيرة أنبياء اليهود الذين جاءوا في التوراة، كما أنه كان قد تأثر بهم أعماق الأثر.

ثانياً - عن بولس:

بولس هذا هو الذي ألف جانباً كبيراً من الرسائل، فمن بين السبعة والعشرين سفرًا من كتاب العهد الجديد ألف أربعة عشر سفرًا، ومن أهم أفكاره.

١ - أن يسوع المسيح لم يكن نبياً بشرياً بل كان إلهاً.

٢ - وأنه مات من أجل التكفير عن خطايا البشر.

٣ - وأن الإنسان لا يستطيع أن يحقق هذا الخلاص من الخطايا بالإيمان بالكتب المقدسة فقط وإنما بالإيمان بيسوع، وإذا آمن بيسوع المسيح فسوف تغفر خطاياهم.

٤ - وبولس هذا هو الذي أوضح فكرة الخطيئة الأولى.

٥ - كما أن بولس هو الذي أعلن أنه لا داعي للتمسك بكثير من الشعائر اليهودية في الطعام والطهارة، ولا التمسك بتعاليم موسى عليه السلام لأن تطبيق هذه الشعائر ليس كافياً لخلاص الإنسان. وإنما الإيمان الحق هو الذي يحقق للإنسان خلاص روحه، وجسده.

وبولس في تعاليمه وأفكاره:

١ - إنما يردد أفكاراً كانت شائعة في زمانه، ولكن المسيح لم يكن يبشر بشيء من هذا الذي قاله بولس.

٢ - وبولس هذا هو المسؤول الأول عن تحويل الديانة المسيحية عن مجرد ملّة لطائفة يهودية إلى ديانة كبرى.

٣ - وهو المسؤول عن (تأليه المسيح).

٤ - بل إن بعض فلاسفة المسيحية يرون أنه هو الذي أقام المسيحية وليس المسيح^(١).

كيف تقررت ألوهية المسيح؟

قلنا فيما سبق: إن المسيح عليه السلام ما كان يبشر في دعوته إلا بعقيدة التوحيد للإله الواحد، وأنه بشرٌ رسول فقط، إلا أنه بعد ذهابه عن هذا العالم لقي المؤمنون به صنوفاً من الاضطهادات المدمرة على يد اليهود والرومان الوثنيين قرابة ثلاثة قرون، حتى لقد فقد الكثير من كتب المسيحية ومراجعها خصوصاً إنجيل المسيح نفسه، كما قضى على أتباع المسيحية الحقيقيين، ففقدت المسيحية طابعها البسيط السهل وامتلات - نتيجة أفكار بولس وما شابهها - بكثير من المعتقدات الممزوجة بالثقافات المحيطة التي كانت تسود الشعوب التي دخلت في المسيحية وقتئذ كالصيريين واليونانيين والرومان خصوصاً ما اتصل بالمسيح نفسه، فبينما كان بعضهم يراه رسولاً مثله كمثل من سبقه من المرسلين والأنبياء رآه آخرون إلهاً، ورأى فريق ثالث أنه ابن الله له صفة القدم فهو أكبر من رسول وله صلة خاصة بالله كأنه وسيط بين الله والناس، وهكذا تباينت نحلهم واختلفت مذاهبهم في شخص المسيح. وكل واحدة تدعي أنها هي المسيحية الحقّة، واختلفوا في ذلك اختلافاً كبيراً وتعاركوا عراكاً شديداً، مما اضطر الأمباطور قسطنطين امباطور الدولة الرومانية الذي قيل إنه اعتزم الدخول في المسيحية إلى عقد مجمع مسكوني في مدينة نيقية سنة ٣٢٥ ميلادية، وقد تصادف في ذلك الوقت أن كان الخلاف على أشده بين كنيسة الاسكندرية وعلى رأسها بطيركهها وبين القسيس آريوس المصري راعي كنيسة بوكاليس، إذ كان هذا الأخير داعية قوي الحجة فقاوم كنيسة الاسكندرية فيما تبثه بين المسيحيين من أفكار تقوم على ألوهية المسيح، وأنه أحد أركان ثلاث الألوهية المقدس نتيجة تأثر بطيركهها بمدرسة أفلوطين الفلسفية الأغريقية، فحارب آريوس تلك الأفكار ناشراً فكرة الوجدانية مقررّاً وحدة المعبود وأن المسيح عبد الله ومخلوق له، وفي ذلك يقول ابن البطريق وهو مؤرخ مسيحي عن آريوس إنه كان يقول:

(١) كتاب الخالدون مائة أعظمهم محمد ﷺ، تأليف العالم الأميركي مايكل هارت، نشر دار المعارف بالقاهرة.

(إن الآب وحده هو الله وإن الابن ويعني به المسيح مخلوق مصنوع وقد كان الآب إذ لم يكن الابن)^(١).

ويعلق على ذلك الدكتور أحمد شلبي، أستاذ الحضارة ومقارنة الأديان بكلية دار العلوم سابقاً، بقوله:

(وهكذا وضع بولس بذرة ألوهية المسيح وصادفت البذرة أرضاً خصبة في عقول أولئك الذين لهم معرفة بالفلسفات والاتجاهات التي سبقت ظهور المسيحية، وساعد على نمو هذه الأفكار ما صادفه المسيحيون الأول من الاضطهادات التي التهمت كثيراً من مراجعهم وقضت على أتباع المسيحية الحقيقيين أو كادات، وقد استمرت هذه الاضطهادات أكثر من ثلاثة قرون أي حتى سنة ٣١٣ ميلادية، وفي خلال هذه القرون فقدت المسيحية طابعها (العقدي)^(٢) البسيط من كثرة ما تأثرت بالثقافات المختلفة بل بالخرافات المتعددة، وخرجت إلى الناس بعد هذه المدة وبعد تلك الأجيال، وفيها تناقض ظاهر في تعاليمها، وأشد أنواع التناقض قائم فيما اتصل بالمسيح نفسه، فقد كان بعضهم يراه رسولاً ككل الرسل ورآه آخرون إلهاً، واشتدت الاضطرابات بين الجماعات المسيحية مما أدى إلى أن يأمر قسطنطين أمبراطور الرومان بدعوة مجمع البطارقة والأساقفة من أنحاء الأمبراطورية فيما يسمى بمجمع نيقية سنة ٣٢٥ ميلادية، ليضع حداً لتلك الاختلافات وليقرر حقيقة المسيح التي كانت محل تلك الاختلافات الشديدة)^(٣).

كيف انعقد مجمع نيقية سنة ٣٢٥م؟

اجتمع في مدينة نيقية نفر من الأساقفة والبطارقة من جميع أنحاء الأمبراطورية الرومانية وصل عددهم إلى (٢٠٤٨) أسقفًا وبطريقاً مسيحياً، وقد اختلفوا اختلافاً شديداً ولم يتفقوا على رأي مما أثار عجب الأمبراطور قسطنطين، إلا أن الرواة يقولون: إن آريوس لما اجتمع بهم وألقى بدعوته ونحلته إليهم انضم إلى آرائه أكثر من (٧٠٠) أسقف، وذلك العدد - وإن كان أكبر عدد نالته نحلة من النحل المشاركة في ذلك

(١) عن كتاب محاضرات في النصرانية، للمرحوم الشيخ محمد أبوزهرة ص ٣٩، ٤٠ وص ١٣٦.

(٢) نسبة إلى العقيدة.

(٣) كتاب مقارنة الأديان «المسيحية»، للدكتور أحمد شلبي ص ١٢٠، ١٢١.

المجمع - إلا أنه لم يلق هوى وقبولاً من امبراطور الدولة الرومانية فقرر أن يفصل في الأمر بتدبير السلطة الشديدة، بعد أن تبطن رأي صديقه كاهن روما، هذا الكاهن الذي انضم إلى بطريك الاسكندرية في رفض عقيدة التوحيد، واعتناق القول بالوهية المسيح بل بالتثليث أيضاً، لذلك أصدر الأمبراطور قسطنطين أمره بطرد الأساقفة الموحدين من دائرة المجمع، وكوّن مجمعاً صغيراً بمعرفته من (٣١٨) أسقفاً فقط ممن يقولون بالوهية المسيح واتخذوا قراراً بذلك، وتحت سلطان الترغيب والترهيب وضعوا توقيعاتهم على الوثيقة المشتملة على عدة أمور من أهمها الآتي:

١ - القول بالوهية المسيح ونزوله ليصلب تكفيراً عن خطيئة البشر.

٢ - القول بالتثليث.

٣ - اختبار الكتب والرسائل التي لا تتعارض مع الأمور السابق الإشارة إليها وتدمير ما عداها من كتب وأناجيل ورسائل خصوصاً تلك التي تنادي بالتوحيد وبشرية المسيح^(١).

محاولة دعاة التوحيد حمل الدولة

على عقيدة التوحيد وفشلهم بعد ذلك:

رغم تقرير مؤتمر نيقية لألوهية المسيح وعقيدة التثليث إلا أن دعاة التوحيد لم ينخلدوا عن التمسك بعقيدتهم وتخطئة قرارات مؤتمر نيقية، وقد أفلحوا في عقد مجمع إقليمي في مدينة (صور) وفيه قرروا: سلامة عقيدة التوحيد، ورفض عقيدة الثالوث، إلا أن الدولة الرومانية سرعان ما ارتدت إلى عقيدة الثالوث مرة أخرى، وقد استعانت بقوة السلطان لطمس عقيدة التوحيد، لذلك فإنها صارت تعين في منصب الأساقفة في كنائسها فقط الرافضين لعقيدة التوحيد، وتدرجياً ومع مرور الوقت أخذ هؤلاء يسيطرون على قلوب العامة ونزع بقايا التوحيد حتى اختفى المذهب الحق في لجة التاريخ، ولم يبد على السطح إلا ألوهية المسيح وعقيدة الثالوث في جميع كنائس الدولة الرومانية^(٢).

(١) كتاب مقارنة الأديان، للدكتور أحمد شلبي ص ١٦٥.

(٢) كتاب محاضرات في النصرانية، للمرحوم الشيخ محمد أبوزهرة.

أعجوبة عن شغف النصارى بذكر التوحيد بجوار التثليث :

رغم أن النصارى - وقد غلبت عليهم التسمية بالمسيحيين في زماننا المعاصر - يؤمنون بالوهية المسيح ويقدمون عقيدة الثالث التي تلخص في قولهم :

١ - إن الله هو الأقنوم الأول ويدعونه الأب .

٢ - إن المسيح هو الأقنوم الثاني ويدعونه الابن وقد قدم نفسه ذبيحة ليقتل ويصلب فداء للبشرية .

٣ - وروح القدس هو الأقنوم الثالث ويدعونه روح الله .

إلا أن بعض رؤسائهم يعلنون في بياناتهم أنه لا منافاة بين التوحيد والتثليث، ولعل الذي يدفعهم إلى ذلك هو اعتبارهم التوراة (كتاب اليهود) وهو ما يطلقون عليه (العهد القديم) كتاباً مقدساً عندهم أيضاً، فكيف يكون ذلك وينسجم وهذا العهد القديم يصرح بالتوحيد ويدعو إليه ويشدد في النهي عن الشرك بكل شعبه وكل أحواله، بل إنه يدعو إلى البراءة من المشركين أينما كانوا وحيثما حلوا. مثال ذلك قوله في سفر التثنية :

(أنا هو الرب إلهك... لا يكن لك آلهة أخرى أمامي، لا تصنع لك تمثالاً منحوتاً صورة ما مما في السماء من فوق وما في الأرض من أسفل وما في الماء من تحت الأرض، لا تسجد لهن ولا تعبدن لأنني أنا الرب إلهك إله غيور)^(١).

وقوله : (لا تسيروا وراء آلهة أخرى من آلهة الأمم التي حولكم لأن الرب إلهكم إله غيور)^(٢).

وقوله : (وراء الرب إلهكم تسرون، وإياه تتقون، ووصاياهم تحفظون، وصوته تسمعون، وإياه تعبدون، وبه تلتصقون)^(٣).

ماذا يعمل رؤساء النصارى الروحانيون أمام صراحة نصوص التوحيد في العهد القديم؟

(١) سفر التثنية من كتاب العهد القديم الإصحاح الخامس، عدد ٦ - ٩.

(٢) سفر التثنية من كتاب العهد القديم الإصحاح السادس، عدد ١٤ - ١٥.

(٣) سفر التثنية من كتاب العهد القديم الإصحاح الثالث عشر، عدد ٤.

انظر:

أولاً: إنهم يجتهدون في أن يستنبطوا من نصوص التوراة – أي العهد القديم – ما يحملونه معنى الإشارة إلى التثليث كعبارة (كلمة الله) أو عبارة (روح القدس).

ثانياً: كذلك يحاولون أن يرجعوا التثليث إلى الوجدانية لتلقي التوراة وهي العهد القديم مع كتابهم وهو العهد الجديد بأناجيله الأربعة، وما ألحق به من رسائل فيقربوا التوراة إليهم بتحميل عبارتها ما لا تحتل ويقربوا عقائدهم من التوراة بتضمين ثالوثهم معنى التوحيد، وإن كان التوحيد لا يحتمل ذلك في أي وجه من الوجوه.

ثالثاً: وإنما يحاولون ذلك للرد على المسلمين الذين يعتقدون في المسيح – على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام – عقيدة القرآن الكريم، بينما جعل المسيحيون عيسى المسيح – وهو بشر رسول – إلهاً مع الله بل جزءاً من شركة الثالوث.

قال تعالى:

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾^(١).

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾^(٢).

وقوله سبحانه وتعالى:

(اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهاً وَاحِداً لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ)^(٣).

واعتماد النصارى على إيراد نصوص العهد القديم في إثبات التثليث فيه من تحميل تلك النصوص ما تنوء به من أثقال المعاني المخالفة لها ولا تحتملها أبعد الإشارات إليها، فضلاً عما يصاحب ذلك من طرح العقل طرْحاً تاماً عن ميدانها، إذ ليس في قدرته جمع النقيضين في قرن.

(١) سورة المائدة: الآية ٧٢.

(٢) سورة المائدة: الآية ٧٣.

(٣) سورة التوبة: الآية ٣١.

قاموس الكتاب المقدس وما يذكره عن التثليث :

هذا القاموس ألفه نخبة من الأساتذة ذوي الاختصاص ومن اللاهوتيين المسيحيين
فهيئة تحريره مكونة من :

- الدكتور بطرس عبد الملك أستاذ الدراسات الشرقية بالجامعة الأمريكية بالقاهرة.
- والدكتور جون ألكسندر طمس.
- والأستاذ إبراهيم مطر.

وقد قدم له الدكتور فيليب حتي الأستاذ الشرقي في جامعة برتسون.

وقد ورد في هذا القاموس تحت كلمة التثليث الآتي :

(اعترف كبار علماء اللاهوت أنها لم ترد في الكتاب المقدس، ويظن أن أول من صاغها واخترعها واستعملها هو (ترتليان) في القرن الثاني للميلاد، وقد خالفه كثيرون ولكن مجمع نيقية أقر التثليث سنة ٣٢٥ ميلادية.

ثم استقر التثليث — بعد ذلك — عند الكنيسة المسيحية على يد (أوغسطينيوس) في القرن الخامس الميلادي^(١). انتهى ما جاء في قاموس الكتاب المقدس.

ومما تقدم يتبين أن التثليث نبت بعد المسيح عليه السلام، وأنه دخيل على دعوة المسيح التي أخلصت الدعوة في عبادة الله واحداً لا شريك له ولا ند ولا ولد^(٢).

● الأدلة على حفظ المسيح عليه السلام وعدم الإضرار به أو حتى إصابته بسوء :

أولاً — في كلام الأنبياء السابقين المثبت في الكتاب المقدس لدى المسيحيين :

١ — ورد في نبوة أشعيا الإصحاح ٤٩ عدد ٢ قوله وهويحكي عن المسيح :

(في كنيسته أخفاني).

٢ — ورد في المزمور ٣ عدد ٢، ٣ قوله عن المسيح :

(كثيرون يقولون لنفسي ليس له خلاص بإله سلاه، أما أنت يا رب فترس لي).

(١) قاموس الكتاب المقدس ص ٢٣٢، ٢٣٣.

(٢) راجع مجلة الأزهر — جمادى الأولى ١٤٠٥ هـ.

٣ - ورد في المزمور ٩١ عدد ١٠ ، ١١ ، ١٢ قوله عن المسيح :

(لا يلاقيك شر ولا تدنو ضربة من خيمتك لأنه يوصي ملائكته بك لكي يحفظونك في كل طرقك، على الأيدي يحملونك لئلا تصدم بحجر رجلك).

ثانياً - في الأناجيل المتداولة :

١ - في إنجيل متى إصحاح ٤ عدد ٦ وفي إنجيل لوقا الإصحاح ٤ عدد ١٠ وصف لكيفية حفظه من أعدائه قوله :

(مكتوب أنه يوصي ملائكته بك فعلى أياديهم يحملونك لكي لا تصدم بحجر رجلك).

٢ - ووردَ بصريح العبارة عن نجاته من الاعتداء عليه في الإصحاح ٨ عدد ٢١ من إنجيل يوحنا قوله للفرسيين من اليهود عندما كانوا يسألونه :

(قال لهم يسوع : أيضاً أنا أمضي وستطلبوني وتموتون في خطيتكم، حيث أمضي أنا لا تقدرون أنتم أن تأتون).

٣ - وقد روى يوحنا في إنجيله في الإصحاح العاشر عدد ٣١ وما بعده كيف أن اليهود تناولوا حجارة ليرجموه وهو في هيكل المعبد بأورشليم، وحاولوا الإمساك به لكنه خرج من أيديهم ولم يستطيعوا الإمساك به، ومضى آمناً إلى عبر الأردن إلى المكان الذي كان يوحنا يعمّد فيه .

ومما يؤيد واقعة عدم صلب المسيح أو قتله شهادة بعض علماء النصرانية .

أولاً : المسيو أدوار سيوس أحد أعضاء الأنستودى فرانس في باريس في كتابه (عقيدة المسلمين في بعض المسائل النصرانية، في صحيفة ٤٩) قال : إن القرآن ينفي قتل عيسى وصلبه، ويقول بأنه ألقى شبهه على غيره فغلط اليهود وظنوا أنهم قتلوه وما قاله القرآن موجود عند طوائف نصرانية .

١ - منهم الباسيليديون كانوا يعتقدون أن المسيح وهو ذاهب لمحل الصلب ألقى شبهه على سيمون السيرناي تماماً، وألقى شبه سيمون عليه ثم أخفى نفسه ليضحك على مضطهديه اليهود الغالطين .

٢ - ومنهم السيرنتيون فإنهم قرروا أن أحد الحواريين صلب بدل عيسى، وقد عثر

على فصل من كتب الحوارين، وإذا كلامه نفس الباسيليديين وقد صرح إنجيل القديس برنابا باسم الذي صلب بدل عيسى أنه يهوذا^(١).

ثانياً: قال باسيليوس الباسليدي إن نفس حادثة القيامة (أي دعوى قيام المسيح من الأحداث) المدعى بها بعد الصلب الموهوم هي من ضمن البراهين الدالة على عدم حصول الصلب على ذلك المسيح، وبالجمله فإن الشعوب الشرقية قبل الإسلام كانت ترفض قبول مسألة الصلب والقتل للمسيح (على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام).

ثالثاً: أورد موسيهيم في تاريخه أن كثيراً من طوائف النصارى كانت ترفض حصول الصلب رفضاً كلياً لأن البعض منهم كان يعده إهانة لشرف المسيح، ونقصاً وأي نقص أعظم من نقص الإله الذي تلحقه مثل هذه الإهانات، والبعض الآخر كان يرفضه استناداً على الأدلة التاريخية وهؤلاء الأقوام الجاحدون للصلب طوائف كثيرة منهم:

- | | |
|----------------------|----------------------|
| ١ - الساطرينوسيون. | ٧ - والبارسكالينيون. |
| ٢ - والكاربوكراتيون. | ٨ - والبوليسيون. |
| ٣ - والمركبونيون. | ٩ - الدوسيتية. |
| ٤ - والباديسيانيون. | ١٠ - والمرسيونية. |
| ٥ - والتابانيسيون. | ١١ - والفلنطانياتية. |
| ٦ - والمانيسون. | |

والفرق الثلاث الأخيرة وإن كانت تعتقد أن الشخص المصلوب غير المسيح لأن المسيح لم تسلط عليه أيدي مضطهديه لكنها تضيف إلى ذلك بأنه رفع إلى السماء.

تبعثرت تلك الطوائف وضعف شأنها بعد اعتناق الدولة الرومانية لملة النصرانية وتبنيها لعقيدة الثالوث منذ ٣٢٥ م وانتهى الأمر بتلك الطوائف إلى الانتهاء والانقراض، حتى لم يبق لها وجود في زماننا المعاصر، ومع ذلك فلا بأس بأن نورد شهادة أحد العلماء

(١) كتاب الفارق بين المخلوق والخالق، تأليف الحاج عبد الرحمن بك أفندي باجة جي زادة ص ٢٨٠، ٢٨١، ص ٢٨٠ في رد دعوى صلب ذات المسيح بالأخبار التاريخية والأدلة العقلية. نشر في الجزء السابع من مجلة الأزهر، رجب سنة ١٤٠٥ هـ إبريل ١٩٨٥ م السنة السابعة والخمسون.

الألمان في هذا الموضوع، وهو المونسيو أرنتست ذي بونسن الألماني في كتابه المسمى (الإسلام أي النصرانية الحقّة) أن جميع ما يختص بمسائل الصلب والفداء هو من مبتكرات ومخترعات بولس - ومن شابهه من الذين لم يروا المسيح - لا من أصول النصرانية الأصلية^(١).

وبعد:

فإنما الله إله واحد لم يتخذ صاحبة ولا ولداً، وليس بينه وبين عباده وسيط ولا شريك، وإن من هداية البشر أن لهم عقولاً يفقهون بها لو أنهم اتخذوها وحدها سبيلاً للهدى. يقول بارتلمي سانتهلر، وهو أحد مفكري الغرب:

(إن الإسلام أحدث رقيّاً عظيماً فقد أطلق العقل الإنساني من قيوده التي كانت تأسره حول المعابد، وبين أيدي الكهنة من ذوي الأديان المختلفة، فارتفع إلى مستوى الاعتقاد بحياة وراء هذه الحياة، وإنّ محمداً بتحريمه الصور في المساجد، وكل ما يمثل الله، قد خلص الفكر الإنساني من وثنية القرون الأولى واضطر العالم أن يرجع إلى نفسه وأن يفكر في الله خالقه)^(٢).

قال الله تعالى في قرآنه العظيم هادياً ومرشداً:

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾^(٣).

**

(١) كتاب «الفارق بين المخلوق والخالق».

(٢) كتاب النصرانية والإسلام عالمية الإسلام ودوامه إلى قيام الساعة للمؤلف.

(٣) سورة المائدة: الآية ٧٧.

الباب الرابع

- (١) التثليث وكيف انتهت إليه العقيدة في ملة النصرانية.
- (٢) فكرة الصلب والفداء أو الخلاص ومفهومها في عقيدة النصرانية.
- (٣) روح القدس أو روح الله في عقيدة النصرانية.
- (٤) الروح ومفهومها بين أهل الكتاب والإسلام.
- (٥) الهوى كيف انحرف بالصلبية عن طريق الهدى والرشاد.

(١)

التثليث وكيف انتهت إليه العقيدة في ملّة النصرانية

يعتقد النصارى المعاصرون أن الإله وإن كان واحداً لكنه مؤلف من ثلاثة أقانيم، أي ثلاثة أشخاص هي: الآب والابن والروح القدس، وهذه الثلاثة أقانيم هي ظواهر لحقيقة واحدة، أي واحد في ثلاثة وثلاثة في واحد:

١ - فالله هو الآب وهو الخالق.

٢ - والمسيح هو الابن وهو المخلص وهو الفادي وجمع بين اللاهوت والناسوت.

٣ - والروح القدس هو الرب المحيي، لاهوت محض، وهو المظهر المنبثق من الآب في رأي فريق منهم، أو منبثق من الآب والابن في رأي فريق آخر.

والمستع لتاريخ النصرانية منذ نشأتها يجد أن فكرة الألوهية عند النصارى مرت بمراحل ثلاث، برئت فيها العقيدة من الثالوث في المرحلة الأولى والثانية، لكنها في المرحلة الثالثة انحدرت فيها إلى عقيدة الثالوث طبقاً لما يأتي.

المرحلة الأولى:

بدأ المسيح عليه السلام دعوته منذ البداية مختصاً بها بني إسرائيل دون سواهم من الأمم، كما هو مصرح بذلك في الأناجيل المتداولة حالياً بين النصارى من أنه لم يرسل إلا إلى خراف بني إسرائيل الضالة، لكنه مع ذلك كان يبشر بدعوة التوحيد للإله الواحد الأحد، وعن نفسه كان يذكر أنه مجرد رسول بشر كما هو واضح ووارد على لسانه، وإلى هذا يشير إنجيل متى في الإصحاح الخامس عشر من عدد ٢١ - ٢٤ في قوله:

(ثم خرج يسوع من هناك، وانصرف إلى نواحي صور وصيدا، وإذا امرأة كنعانية خارجة من تلك التخوم صرخت إليه قائلة: ارحمني يا سيد يا ابن داود ابنتي مجنونة جداً،

فلم يجيبها بكلمة، فتقدم تلاميذه وطلبوا إليه قائلين اصرفها، لأنها تصيح وراءنا، فأجاب وقال: لم أرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة). أما عن عقيدة التوحيد الخالص ورسالته فقد أشار إليها في قوله الوارد بإنجيل يوحنا بالإصحاح السابع عشر عدد ٣:

(وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته). كما يشير إلى ذلك إنجيل مرقس في الإصحاح الثاني عشر عدد ٢٩ في قوله على لسان المسيح عليه السلام:

(فأجاب يسوع: إن أول كل الوصايا هي: اسمع يا إسرائيل الرب إلها رب واحد).

المرحلة الثانية:

لما مضى عصر المسيح عليه السلام جاء بعده عصر بولس والذي لم ير المسيح ولم يتلمذ عليه بل كان عدواً له ولأتباعه، وبعد ذهاب المسيح عن العالم، انضم إلى تلاميذه وحوارييه بحيلة ابتكرها، ثم زعم أنه رسول مثلهم ثم اختلف معهم، وانفرد بتعاليم خاصة إذ أضاف إلى عقيدة الألوهية التي كانت لدى العبرانيين من ذرية إبراهيم (وهم أولاد إسرائيل أو اليهود كما غلب على تسميتهم) تفسيراً آخر بأن البنوة لإبراهيم عليه السلام لا تتوقف على بنوة الجسد بل إنها بنوة روحية تشمل الغرباء عن اليهود ممن يعتقدون باعتقاد بولس. أما عن المسيح فعقيدة بولس التي بشر بها عنه أنه ابن الله الوحيد، لذلك كانت عقيدة النصرانية وقتئذ في الألوهية فكرة متطورة عن العقيدة اليهودية في الألوهية، فبعد أن كانت العقيدة الإلهية عند اليهود هي الإيمان بالإله لأبناء إبراهيم في الجسد، صارت عند النصارى أتباع بولس الإيمان بالإله لأبناء إبراهيم في الروح، وهذا ما ذكره صراحة برسالته إلى أهل رومية بالإصحاح الرابع عدد ١٣ في قوله:

(فإنه ليس بالناموس كان الوعد لإبراهيم أو لنسله أن يكون وارثاً للعالم بل ببر الإيمان) أي أن الإله طور وعده لهم في إرث العالم فجعله للنصارى أيضاً بعد أن كان قاصراً على شعب بني إسرائيل أبناء إبراهيم، وهذا ما ورد بسفر أعمال الرسل بإصحاح التاسع عدد ١٩، ٢٠ في قوله:

(كان شاول مع التلاميذ... وللوقت جعل يُكرِّز في المجامع بالمسيح أن هذا هو ابن الله) وشاول اسم بولس القديم قبل أن يدخل وينضم إلى تلاميذ المسيح.

المرحلة الثالثة :

لما اتصل النصارى بالأمم الأجنبية بعد ذلك وفي جملتها الأمة المصرية شاعت فيها عقيدة إلهية جديدة هي عقيدة الثالوث المجتمع من الآب والابن والروح القدس، ويتضح من الاطلاع على تاريخ (موسيم) أن التثليث لم يكن معروفاً عند النصارى حتى أواخر القرن الثاني الميلادي، وكان الأب أثيناغوس أول من نطق بكلمة ثالوث، لأنه راعى عادات الرومان أصحاب السلطان على الأباطورية الرومانية وقتئذ، حيث كانوا معتنقين لديانتهم الوثنية، وأنه ما كان هؤلاء الرومان ليعتقدوا النصرانية ويتصوروا معنى الألوهية بغير ما هو ممتزج بأفهامهم، وما هو مغروس في قلوبهم من طقوس الوثنية الشائعة، وفي ارتكازها على عقيدة الثالوث.

ففي مصر في عصر المصريين القدماء نجد أنه :

كان في مدينة طيبة ثلاثة آلهة هي : آمون وموت وحنسو، وفي مدينة أبيدوس كان بها ثلاثة آلهة : إيزيس وأوسيريس وحوريس، وكذلك الإله (رع) مظهر الشمس فإنه سمي في الصباح (هرماخيس) وعند الظهيرة (را) وعند الغروب (أتوم) أو (تمو).

ومن مصر القديمة غزت عقيدة الثالوث حوض البحر الأبيض المتوسط، وكانت صورة إيزيس الأم وهي تحمل الإله الابن هي الصورة السائدة في أنحاء العالم الروماني.

هل هناك أمم أخرى كانت تدين بالثالوث في عقيدتها قبل النصرانية؟

هذا الثالوث المصري لم يكن قاصراً على حوض البحر الأبيض المتوسط، بل شارك المصريين فيه: البوذيون والبراهمة في بلاد الصين وفي بلاد الهند، كما اعتبره أيضاً الآشوريون والبابليون والميثرانزميون أصحاب ديانة ميثرا، والتي كانت في بلاد الفرس قبل ميلاد المسيح بستة قرون ثم نزحت إلى روما حوالي سنة ٧٠ قبل الميلاد المسيحي.

ويعلق (ول ديورانت) مؤلف كتاب «قصة الحضارة» على أسرار النصرانية في أبحاثه التي ضمنها كتابه (قيصر والمسيح): أنه جاءت من مصر إلى النصرانية آراء الثالوث المقدس ويوم الحساب وأبدية الثواب والعقاب وخلود الإنسان، ومنها جاءت عبادة أم الطفل والاتصال الصوفي بالله ذلك الاتصال الذي أوجد الأفلاطونية الحديثة واللاإدارية وطمس معالم العقيدة النصرانية.

ويقول العلامة جار سلاف كريتي، أستاذ اللغويات بجامعة أكسفورد، بانجلترا في

كتابه (ديانة قدماء المصريين) بوجود التماثل والتطابق بين الثالوث النصراني والثالوث الفرعوني، الأمر الذي دعاه إلى التقرير بأن الثالوث النصراني مأخوذ من الثالوث الفرعوني.

أما غوستاف لوبون، فإنه يقرر أن هناك تشابهاً واضحاً بين الديانة البوذية وبين النصرانية المعاصرة مع أن البوذية ظهرت قبل النصرانية بأكثر من خمسة قرون، وهذا التشابه من ناحية الشكل ومن ناحية الموضوع، فيقول في كتابه حضارة الهند:

(إنك تلاحظ تماثلاً عجيباً من كل وجه وليس مما نبالي به كثيراً أن تكون إحداهما مدينة للأخرى).

كيف اضطربت العقيدة أصلاً في جماعات النصرانية حتى انتهت بهم إلى عقيدة الثالوث؟

بعد ذهاب المسيح عليه السلام لقي النصراني الأول صنوفاً من الاضطهادات المدمرة على يد اليهود، وحكام الدولة من الرومان الوثنيين قرابة ثلاثة قرون، حتى لقد التهمت الاضطهادات كثيراً من كتبهم ومراجعهم، وقضت على أتباع المسيح الحقيقيين أو كادت، ففقدت النصرانية طابعها البسيط السهل، وامتألت بكثير من الخرافات ممزوجة بالثقافات الوثنية التي كانت تسود الشعوب التي دخلت في النصرانية وقشذ كالمصريين واليونانيين والرومانيين خصوصاً ما اتصل بالمسيح نفسه، فقد كان بعضهم يراه عبداً رسولاً ككل الرسل والأنبياء الذين سبقوه.

ورآه آخرون من النصراني إلهاً، ورأى فريق ثالث أنه ابن الله، له صفة القدم فهو أكبر من رسول له صلة خاصة بالله.

وهكذا تباينت نحلهم واختلفت مذاهبهم وكل واحدة تدعي أنها هي النصرانية الحققة، ولم يبدأ القرن الرابع الميلادي إلا وقد اختلفوا في ذلك اختلافاً شديداً، وحدثت صدامات بين تلك الطوائف أريقَت فيها كثير من الدماء، وأزهقت فيها العديد من الأنفس والأرواح.

وتصادف في نفس ذلك الزمان أن كان الخلاف على أشده بين كنيسة الاسكندرية وعلى رأسها البطريرك بطرس، وبين الأسقف آريوس المصري إذ كان هذا الأخير داعية قوي الحجة جريئاً واسع الحيلة، فقاوم كنيسة الاسكندرية فيما كانت تبته بين نصاري

المصريين من أفكار تقوم على التثليث، وألوهية المسيح، فحارب تلك الأفكار، ودعا إلى عقيدة الوجدانية لله وحده منكرًا ما جاء في بعض الأناجيل فيما يوهم بألوهية المسيح. وشايح آريوس في إنكاره ألوهية المسيح، واعتباره رسولاً مخلوقاً أنصاراً كثيرين ومشايعون عديدون:

١ - فلقد كانت كنيسة أسيوط على رأيه وعلى رأسها ميلتوس أسقفها.

٢ - وفي مدينة الاسكندرية كان أنصاره يغلبون في نسبتهم العديدة، أقوىاء من حيث المجاهرة بما يعتقدون.

٣ - بل تعدى الأمر ذلك النطاق المحدود في مصر إذ كان لرأي آريوس مشايعون كثيرون في فلسطين والقسطنطينية ومقدونيا، ولما تفاقم الخلاف بين آريوس وبطريرك الاسكندرية حاول الامبراطور قسطنطين التدخل في الأمر للوفاق بينهما، وقد جمع فعلاً بينهما لكنهما لم يتفقا على شيء، مما دعا الامبراطور قسطنطين إلى الدعوة إلى عقد مجمع مسكوني في مدينة نيقية في إقليم آسيا الصغرى، وتم ذلك في سنة ٣٢٥ ميلادية بحضور ٢٠٤٨ أسقفًا من جميع أنحاء الامبراطورية الرومانية.

ماذا دار في مجمع نيقية؟

اختلف المجتمعون في هذا المجمع اختلافاً كبيراً في عقيدة الألوهية ولم يتفقوا على رأي مما أثار عجب الامبراطور قسطنطين، ولما كان الامبراطور نفسه ممن يميل مع القائلين بألوهية المسيح وعقيدة التثليث فقد اختار من بين المجتمعين ٣١٨ أسقفًا من أشد المتعصبين لرأيه، وألف منهم مجلساً خاصاً خوَّله إصدار ما يراه من قرارات.

ويقول في ذلك ابن البطريق المؤرخ النصراني القديم:

(وضع الملك للثلاثمائة والثمانية عشر أسقفًا مجلساً خاصاً عظيماً، وجلس في وسطهم وأخذ خاتمه وسيفه وقضيبه، فدفعه إليهم وقال لهم: قد سلطتكم اليوم على مملكتي لتصنعوا ما ينبغي لكم أن تصنعوا، مما فيه قوام الدين وصلاح المؤمنين، فباركوا الملك وقلدوه سيفه وقالوا له أظهر دين النصرانية وذبح عنه).

ما هي القرارات التي أصدرها مجمع نيقية؟

أصدر ذلك المجمع عدة قرارات يهمننا منها الآتي:

١ - قرار خاص بإثبات ألوهية المسيح وتقرير عقيدة التثليث.

٢ - تكفير من يذهب إلى أن المسيح إنسان.

٣ - تكفير آريوس وحرمانه وطرده إذ كان ينادي بأن المسيح مجرد بشر مخلوق وليس إلهاً.

٤ - إحراق جميع الكتب والرسائل التي لا تقول بألوهية المسيح أو تحريم قراءتها ومن هذه الكتب أناجيل فرق التوحيد التي لا تؤمن بالتثليث أو تقرر بشرية المسيح أو أنه مجرد رسول فقط.

والخلاصة:

أنه تم وضع قانون الإيمان النصراني أو الإيمان الثالوثي في مجمع نيقية ٣٢٥ من تاريخ الميلاد المسيحي بمعرفة الأساقفة المجتمعين هناك، فهم الذين صاغوه، وهم الذين قدموه عقيدة للشعوب النصرانية منذ الربع الأول من القرن الرابع الميلادي مفروضاً عليهم بسلطان القيصر قسطنطين أمبراطور الدولة الرومانية وقتئذ، والذي قيل إنه كان وثنياً أصلاً وأزمع الدخول في ديانة النصرانية، وفرضها على الشعوب المغلوبة على أمرها في تلك الدولة، فرأى ألا تتعارض عقيدة النصرانية المزمع تطبيقها مع أصول معتقداته الوثنية.

كيف تقرر ألوهية روح القدس العنصر الأخير في ثالوث النصرانية؟

كان مجمع نيقية قد أقر عقيدة التثليث إلا أنه لم يتعرض في قراراته إلى روح القدس أهو إله أم مخلوق، لذلك نشب خلاف كبير بشأنه بين الفرق النصرانية، حتى إنه ظهرت منها فرق قررت فعلاً بأن روح القدس ليس إلهاً، وإنما هو مُحدث مخلوق ومن هذه الفرق فرقة مقدونيوس بطريرك القسطنطينية في القرن الرابع الميلادي، ومن أجل ذلك دُعي إلى مجمع آخر في مدينة القسطنطينية سنة ٣٨١ ميلادية أُطلق عليه المجمع القسطنطيني الأول من ١٥٠ أسقفاً، وانتهى إلى تقرير ألوهية روح القدس وأنه الرب المحيي، والعجيب أن ممثل كنيسة الاسكندرية كان من أشد المتعصبين لهذا الرأي.

وبهذا القرار الذي أصدره ذلك المجمع المشار إليه قرب نهاية القرن الرابع الميلادي اكتمل بيان الثالوث النصراني في نظر النصارى، وصار الأب ويعنون به الله الخالق، والابن ويعنون به المسيح المخلص أو الفادي، وأنه علم الله، والروح القدس هو الرب المحيي، وكل من هذه الثلاثة أقنوم إلهي أي شخص إلهي.

وفي ذلك يقول ابن البطريق المؤرخ النصراني: (زادوا في الأمانة التي وضعها الثلاثمائة والثمانية عشر أسقفاً الذين اجتمعوا في نيقية، الإيمان بروح القدس الرب المحيي المنبثق من الآب... وثبتوا أن الآب والابن وروح القدس: ثلاثة أقانيم وثلاثة وجوه وثلاثة خواص، وحدية في تثليث وتثليث في وحدية، كيان واحد في ثلاثة أقانيم، إله واحد، جوهر واحد، طبيعة واحدة). انتهى ما ذكره ابن البطريق.

التثليث باطل ولا أساس له من واقع أقوال المسيح نفسه، وكذا من أسفار الأنبياء السابقين:

إن المتتبع لأقوال المسيح عليه السلام في أناجيل النصارى يجد أنها تقرر التوحيد وبعيدة كل البعد عما ابتدعته مجامع النصارى من عقيدة في التثليث أو الأقانيم فمثلاً:

أولاً: ذكر إنجيل يوحنا في الإصحاح السابع عشر عدد ٣ عن المسيح عليه السلام قوله:

(وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته). فبين المسيح أن الحياة الأبدية هي أن يعرف الناس أن الله واحد حقيقي وأن المسيح رسوله فقط.

ولم يقل المسيح إن الحياة الأبدية أن يعرفوا أن ذاتك ثلاثة أقانيم ممتازة، بل إن لفظة أقنوم لم ترد على لسانه إطلاقاً، ولم تذكرها كتب العهد القديم، ولا أناجيل النصارى المتداولة والمعتمدة عندهم، وما قال المسيح أبداً أنه إنسان وإله أو أن المسيح إله مجسم فلو كان اعتقاد التثليث مدار النجاة لبينه.

وإذ ثبت أن الحياة الأبدية اعتقاد التوحيد الحقيقي لله، واعتقاد الرسالة للمسيح فضدها يكون موتاً أبدياً وضلالاً بيناً، ولا شك أن التوحيد الحقيقي هو ضد التثليث الحقيقي، كما أن كون المسيح رسولاً هو ضد لكونه إلهاً لأن التغاير بين المرسل والمرسل ضروري.

ثانياً: ورد بإنجيل مرقس في الإصحاح الثاني عدد ٢٨ - ٣١ عن المسيح عليه السلام قوله لواحد من الكتبة:

(فجاء واحد من الكتبة فسمعهم يتحاورون فلما رأى أنه أجابهم حسناً، سأله أية وصية هي أول الكل، فأجابه يسوع: أن أول كل الوصايا هي إسمع يا إسرائيل الرب إلهنا

رب واحد، وتحب الرب إلهك من كل قلبك، ومن كل نفسك، ومن كل فكرك، ومن كل قدرتك هذه هي الوصية الأولى، وثانية مثلها هي: تحب قريبك كنفسك ليس وصية أخرى أعظم من هاتين، فقال له الكاتب: جيداً يا معلم بالحق قلت لأنه الله واحد وليس آخر (سواه).

وبهذا المعنى أورد إنجيل متى هاتين الوصيتين في إصحاحه الثاني والعشرين عدد ٣٥ - ٤٠ وقد زاد عليها المسيح قوله:

(بهاتين الوصيتين يتعلق الناموس كله والأنبياء) فيعلم من ذلك أن أول الوصايا الذي هو مصرح به في التوراة وفي جميع كتب الأنبياء السابقين، وهو الحق، هو الاعتقاد بأن الله واحد لا إله غيره.

ولو كان اعتقاد التثليث مدار النجاة لكان مبنياً في التوراة وجميع كتب الأنبياء، ولكان أول الوصايا، ولقال عنه المسيح إن الرب واحد ذو أقانيم ثلاثة ممتازة، لكن شيئاً من هذا لا يوجد في التوراة، ولا في كتب الأنبياء ولا قال به المسيح عليه السلام إطلاقاً. لذلك لم يكن التثليث مدار النجاة بل كان التوحيد الحقيقي الخالص لله هو مدار النجاة.

ثالثاً: أورد إنجيل مرقس في الإصحاح الثالث عشر عدد ٣٢ عن المسيح عليه السلام في كلامه عن يوم القيامة قوله:

(وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بها أحد ولا الملائكة الذين في السماء ولا الابن إلا الأب).

وقول المسيح هذا فيه إعلان منه ببطلان التثليث، لأن المسيح نفسه خصص علم القيامة بالله ونفى عن نفسه، كما نفى عن الملائكة وعن عباد الله الآخرين العلم بها، وسوى بينه وبينهم في عدم العلم بها، مما يقطع بأنه نفى عن نفسه أي خالصة تشير إلى القول بأنه أقنوم إلهي، خصوصاً إذا لاحظنا أن مفهوم الكلمة وأقنوم الابن عند النصراني تعنيان علم الله، فظهر من ذلك أنه ليس إلهاً، وبالتالي ليس عنصراً من عناصر الألوهية التي قرروها في الثالوث، لافتقاره إلى العلم بيوم القيامة، وكيف يقررون بعد ذلك أنه علم الله؟ وفي نفس الوقت يقرر هو نفسه أنه لا علم له بيوم القيامة، فتبين أنه ليس القديم الأزلي وإنما هو المحدث الزماني.

رابعاً: ذكر إنجيل متى في الإصحاح التاسع عشر من الإنجيل المذكور عدد ١٦ - ١٧ قول المسيح عليه السلام لواحد تقدم إليه:

(وإذا واحد تقدم وقال له: أيها المعلم الصالح أي صلاح أعمل لتكون لي الحياة الأبدية؟ فقال له: لماذا تدعوني صالحاً ليس أحد صالحاً إلا واحداً وهو الله).

هذا القول من المسيح عليه السلام يقتلع أصل التثليث من أساسه، فهو لم يرض أن يطلق عليه لفظ الصالح تواضعاً منه، فلو كان إلهاً أو افتراضاً من الثالث لما كان لقوله معنى، ولكان عليه أن يقول:

(لا صالح إلا الأب وأنا وروح القدس) وهذا ما لم يقله إطلاقاً.

خامساً: ورد بإنجيل متى في الإصحاح السابع والعشرين عدد ٤٦ عن المسيح عليه السلام ساعة صلبه وقتله قوله:

(ونحو الساعة التاسعة صرخ يسوع بصوت عظيم قائلاً: إيلي إيلي، لما شبقتني؟ أي إلهي إلهي لماذا تركتني) وفي عدد ٥٠ قوله:

(فصرخ يسوع أيضاً بصوت عظيم وأسلم الروح).

فهذا القول من المسيح ينفي الألوهية بصفة قاطعة عنه، لأنه لو كان إلهاً أو صاحب صفة إلهية لما استغاث بإله آخر بأن قال إلهي إلهي لماذا تركتني، ولما قال: يا أبتاه في يدك أستودع روحي، ولا تمتنع العجز والموت عليه.

لأن الإله طبقاً لما وصفه به النبي الإسرائيلي أشعيا في الإصحاح الأربعين من سفره عدد ٢٨ يستحيل عليه العجز وذلك في قوله:

(أما عرفت أم لم تسمع إله الدهر والرب خالق أطراف الأرض لا يكل ولا يعيا).

كما أنه يستحيل على الإله الموت لأنه حي دائم ويشير إلى ذلك الإصحاح العاشر من سفر النبي الإسرائيلي إرميا عدد ١٠ في قوله:

(أما الرب الإله فحق هو إله حي وملك أبدي).

ويشير الإصحاح الأول من سفر حبقوق النبي الإسرائيلي إلى ذلك في عدد ١٢ في قوله:

(ألست أنت منذ الأزل يا رب إلهي قدوس لا تموت).

وفي الإصحاح الرابع والأربعين من سفر أشعيا عدد ٦ ينفي المشاركة أو الأقنومية عن الذات الإلهية في قوله:

(هكذا يقول الرب ملك إسرائيل . . . أنا الأول والآخر ولا إله غيري).

وفضلاً عما تقدم ذكره من الأدلة النقليّة عن بطلان التثليث، فإن واقع التاريخ كما قدّمنا آنفاً يؤكد أن فكرة التثليث ابتدعت رسمياً بعد الميلاد المسيحي بأكثر من ثلاثة قرون وربع القرن، فهو من الأفكار والعقائد التي دخلت على النصرانية الموحّدة، وعُقدت لتقريرها رسمياً المجامع المسكونية مثل مجمع نيقية سنة ٣٢٥ م، ومجمع القسطنطينية الأول سنة ٣٨١ م. وهكذا اتخذت تلك المجامع سلطة صنع الآلهة، وهذا ما عبر عنه علماء المقارنة بين الأديان بشأن تقرير عقيدة التثليث.

بل إن كثيراً من آباء الكنيسة الأقدمين كان ينكر عقيدة التثليث، ومنهم بطريرك مدينة القسطنطينية مقدونيوس يناصره بعض الأساقفة، ومنهم الأسقف أوسابيوس الذي أصبح فيما بعد بطريركاً على مدينة القسطنطينية، كان ينكر وجود الأقانيم الثلاثة، كما أعلن أن الروح القدس ليس بإله، ولكنه مخلوق مصنوع، وقد أفلح أوسابيوس في عقد مجمع بمدينة صور بعد مجمع نيقية مباشرة، وانتهى ذلك المجمع بإصدار قراره الفذ وهو وحدانية الله وأن المسيح رسوله فقط، إلا أن امبراطور القسطنطينية باوديوس الكبير دعا إلى عقد مجمع آخر بمدينة القسطنطينية، وتم ذلك سنة ٣٨١ م من ١٥٠ أسقفاً ألغى فيه قرار مجمع صور بوحدانية الله الذي قرره ذلك المجمع، كما قرر أيضاً:

١ - حرمان الأسقف مقدونيوس والأسقف أوسابيوس وإسقاط كل منهما من رتبته.

٢ - تقرير ألوهية الروح القدس (وهذا ما أشرنا إليه آنفاً) وبذلك اكتمل بنیان الثلاث النصراني في نظر النصارى أنصار التثليث وبالأراء التي تقررت بمجمع نيقية سنة ٣٢٥ ميلادية، ثم في المجمع القسطنطيني الأول سنة ٣٨١ ميلادية تقررت رسمياً عقيدة التثليث في ملة النصرانية بسلطان وجبروت الدولة الرومانية، وانقرضت ما عداها من عقائد، خصوصاً عقيدة التوحيد الخالص لله، حتى إنه لا يوجد حالياً في جميع أنحاء العالم كنيسة واحدة لا تقول بالتثليث.

الإسلام يأتي بالقول الفصل ويقضي على فكرة الثلاث من أساسها:

لما أشرقت شمس الإسلام على دنيا الناس جابه عقيدة الثلاث، كما جابه غيرها من العقائد الوثنية بمنتهى الحزم، وناقش معتنيها بالحجة الدامغة وأقام عليهم البرهان القاطع بحقيقة الوجدانية، وبطلان ما هم عليه من أوهام، وأرشدهم القرآن الكريم في محكم آياته ألا يَغْلُوا في معتقداتهم الواهية، فيجاوزون بها الحد، لذلك أمرهم بالابتعاد عن عقيدة الثلاث، ودمغ كل من يؤمن بها بالكفر الصريح، بل هدد القائلين بالتثليث وأنذرهم بأن عليهم أن يستجيبوا للوحي السماوي الصادق الذي يؤيده العقل السليم والنظر الدقيق ألا وهو توحيد الله، فإن لم يرجعوا إليه فإن الله سبحانه سيأخذهم بعذاب مؤلم جزاء قولهم الذميمة وكفرهم القبيح، ثم دعاهم الله إلى التوبة من هذه الجريمة القبيحة رحمة بهم لإنقاذهم من العذاب الأليم لأنه سبحانه وتعالى عظيم الغفران واسع الرحمات. قال جلّت كلماته:

﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة، وما من إله إلا إله واحد، وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسّن الذين كفروا منهم عذاب أليم. أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم﴾ [سورة المائدة: الآيتان ٧٣، ٧٤] ويقول سبحانه في سورة النساء: ﴿فآمنوا بالله ورسوله، ولا تقولوا ثلاثة، انتهوا خيراً لكم إنما الله إله واحد﴾ [سورة النساء: الآية ١٧١].

فها هنا يناديهم المولى في قرآنه الكريم بالإيمان بالله وحده لا شريك له في العبادة، ولا في الملك والسلطان، وليس معه ثان، ولا ثالث، وأن يؤمنوا بالرسول جميعاً وفي جملتهم المسيح ومحمد عليهما الصلاة والسلام، وألا يكفروا بأحد منهم، وفي قوله تعالى:

﴿ولا تقولوا ثلاثة﴾ لبيان أن مجرد النطق بذلك القول منكر وقبيح فضلاً عن أن يكون اعتقاداً وإيماناً، وفيه إشارة إلى أن ما ذهبوا إليه لا ظل له من الحقيقة وإنما هو مجرد قول بالأفواه وأن في انتهائهم وابتعادهم عن الشرك والتثليث خير لهم، لأنهم بذلك يبرأون من العقيدة الناشئة عن الضلال والأوهام إلى عقيدة الوجدانية المبنية على الحجة والبرهان، فهي العقيدة الصحيحة التي جمعت الخير كله، لأن الله واحد بالذات منزّه عن التعدد بأي وجه من الوجوه منفرد في ألوهيته وليس كما زعمه هؤلاء النصارى من تركبه من

أفانيم ثلاثة الأب والابن والروح القدس، وأن كلاً منها له صفات الألوهية، وأنها اتحدت وصارت إلهاً واحداً، لأن العقل كما يحيل تعدد الآلهة يحيل كذلك تركيبها واتحادها.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ [سورة النساء: الآية ١٧١].

وقال سبحانه عن نظام السموات والأرض:

﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [سورة الأنبياء: الآية ٢٢].

*
**

(٢)

فكرة الصلب والفداء - أو الخلاص ومفهومها في عقيدة النصرانية^(١)

يعتقد النصارى أنه بسبب خطيئة آدم عليه السلام أبي البشر في أكله من الشجرة التي نهاه الله عنها في الجنة قامت نظرية الصلب والفداء، وتعني صلب المسيح عليه السلام نيابةً عن الجنس البشري، وفداء له، إذ كان على الله بمقتضى صفة العدل أن يعاقب ذرية آدم بسبب الخطيئة المشار إليها، والتي ارتكبها أبوه، لكن بمقتضى صفة الرحمة كان على الله أن يغفر سيئاتهم، ولم يكن هناك طريق للجمع بين العدل والرحمة إلا بتوسط المسيح ابن الله (في اعتقادهم) وقبوله أن يظهر في شكل إنسان وأن يعيش كما يعيش الناس، ثم يقتل ويصلب ظلماً، وذلك ليكفر خطيئة آدم أبي البشر في ذريته، وهذا ما يعبر عنه النصارى بالخلاص، وهنا فقط تمت المصالحة بين الله والناس، والرد على هذا الكلام جد يسير طبقاً للآتي :

أولاً: أين كان عدل الله ورحمته إذاً منذ طرد آدم من الجنة حتى صلب المسيح (في زعمهم)؟ فهل كان الله حائراً بين العدل والرحمة آلاف السنين حتى قبل المسيح منذ ألفي عام فقط أن يصلب للتكفير عن خطيئة آدم عليه السلام.

ثانياً: ثم كيف ضاقت الأمور على رب العالمين في نظر النصارى حتى استحال عليه أن يجد طريقاً آخر ووسيلة أخرى من الممكن بواسطتها أن يغفر خطيئة آدم بدلاً من هذه الصورة القاسية لمن يزعمون أنه ابنه، تلك الصورة التي زادت بها خطايا البشر، فهل

(١) نشر بمجلة منار الإسلام العدد الخامس من السنة الرابعة جمادى الأولى سنة ١٣٩٩هـ أبريل سنة ١٩٧٩م.

يعقل أن يعالج المرض بمرض أخطر منه؟ أليس أولى بحكمة الله أن يقول للعصاة، غفرت لكم، بدل هذه التمثيلية البشعة.

ثالثاً: وإذا كانت عملية الصلب بهذا الوصف عملاً تمثيلاً في نظر النصارى للتكفير عن خطيئة البشر، فلماذا يبغض النصارى اليهود، ويرونهم آثمين في عدوانهم هذا على المسيح عليه السلام.

وعما يعلل به النصارى لتلك الفكرة من أن ذرية آدم لزمهم العقاب بسبب خطيئة أبيهم آدم يرد عليه: بأن إلزام الأحفاد والذرية بأخطاء الأجداد أمر تأباه العقول السليمة، ولا تسمح به القوانين التي وضعها البشر، ولا تقره الشرائع السماوية فكيف استساغ النصارى هذه السفسطة الفارغة؟

إن الكتاب المقدس في عهده القديم ينص في أسفاره:

(لا يقتل الآباء عن الأولاد ولا يُقتل الأولاد عن الآباء، كل إنسان بخطيئته يقتل)
[انظر سفر التثنية: في الإصحاح الرابع والعشرين، عدد ١٦].

كما ورد في سفر حزقيال أن:

(النفس التي تخطيء هي تموت، الابن لا يحمل من إثم الأب، والأب لا يحمل من إثم الابن، بر البار عليه يكون، وشر الشرير عليه يكون) [انظر سفر حزقيال: في الإصحاح الثامن عشر، عدد ٢٠].

وهذا هو ما يقضي به القرآن الكريم دستوراً للعدالة الإلهية في قوله تعالى:

﴿كل امرئ بما كسب رهين﴾ [سورة الطور: الآية ٥٢].

﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾ [سورة الإسراء: الآية ١٥].

والمبدأ العام المعترف به في الديانات جميعاً، وفي القوانين الوضعية، وعُرف جميع الناس أنه لا يورث عن الآباء والأجداد سوى ثرواتهم، أما جرائمهم فلا تورث عنهم ولا تؤاخذ بها ذرياتهم.

ويترتب على ذلك النتائج الآتية:

* النتيجة الأولى: أنه لا علاقة لذرية آدم بخطيئة آدم عليه السلام، طبقاً لما أوردته عقيدة الفداء عند النصارى بأن قتل المسيح وصلبه (في زعمهم) هو كفارة عن خطيئة آدم

إذ لا شأن لذرية آدم بما ارتكبه أبوهـم تطبيقاً لما ورد في سفر التثنية وسفر حزقيال السابق الإشارة إليهما، وتطبيقاً لبداءة العقول وأعراف الناس وقوانينهم، كما لا يعقل أن يعرض ابن الله نفسه ليقـتله من بريد الغفران لهم، فيزيد بذلك خطاياهم، ولا يقبل أن يكون ذلك هدفاً للمسيح، وهو الذي وصفوه بأنه شكا لأبيه أنه تركه ليقـتل حيث قال:

(إيلي إيلي لما شـبقتني؟ أي إلهي إلهي لماذا تركتني).

أي حتى يقوم أعدائي بقتلي.

* النتيجة الثانية: فساد العقول بعقيدة المعمودية والتي يقول النصارى عنها إنها تظهر المصطبغ بها من خطيئة آدم، أو لا شأن لذرية آدم بما ارتكبه أبوهـم من خطيئة، وطريقته رش الماء على جبهة الشخص طالب العماد أو غمس الجسم أو جزء منه في الماء بمعرفة أحد الكهنة، ويتم في وقت الطفولة أو على فراش الموت، وقد يتم في أي وقت خلال حياة طالب العماد، وذلك بخلع ملابسه وتغطيسه فيما يشبه الحوض في الكنيسة حتى يتظهر من دنس الحمل وخطيئة الميلاد أي خطيئة آدم المشار إليها.

رابعاً: إذا كان ابن الله في زعم النصارى قد تجسد، ثم قُتل لمحو خطيئة آدم فما العمل في الخطايا التي تَجِدُ بعد ذلك؟ ومنها ما هو أقسى من عصيان آدم في أكله من الشجرة، حتى لقد أنكر بعض الملاحدة وجود الله سبحانه، وهاجمه آخرون، فلماذا كانت حكاية التجسيد والفداء بالقتل لخطيئة واحدة، ثم تركت باقي خطايا البشر التي لا تعد ولا تحصى.

خامساً: ادعى النصارى أن صلب المسيح وقتله كان لتحقيق العدل والرحمة، وأي عدل وأي رحمة في تعذيب شخص غير مذنب وصلبه؟ فإن قالوا إنه قَبِلَ ذلك نجد أن ما ورد بأسفارهم عكس هذا القول، فقد جاء في إنجيل متى بالإصحاح ٢٧، عدد ٤٦، ما نصه:

(ونحو الساعة التاسعة صرخ يسوع بصوت عظيم قائلاً: إيلي إيلي لما شـبقتني؟ أي إلهي إلهي لماذا تركتني).

كما ورد في إنجيل مرقس: بالإصحاح ١٥، عدد ٣٤، ما نصه:

(وفي الساعة التاسعة صرخ يسوع بصوت عظيم قائلاً: إلوي إلوي لما شـبقتني؟ الذي تفسيره إلهي إلهي لماذا تركتني).

وكلمة يسوع تعني هنا كلمة عيسى وهو المسيح عليه السلام.

سادساً: إذا كان المسيح ابن الله - كما يزعمون - فأين كانت عاطفة الأبوة وأين كانت الرحمة حينما كان هذا الابن الوحيد يلاقي دون ذنب ألوان التعذيب والسخرية، ثم الصلب مع دق المسامير في يديه.

سابعاً: إن من المسلّم به في جميع الشرائع العادلة أن تتناسب العقوبة مع الذنب، فهل تتناسب واقعة الزعم بصلب المسيح على هذا النحو من الخطيئة التي ارتكبها آدم أبو البشر عليه السلام؟ إن كل خطيئة آدم التي أحال عليها النصارى عملية قتل المسيح، وصلبه، لا تعدو أن تكون أكلاً من شجرة نهي عنها، وثبت بنصوص الكتب المقدسة أن الله عاقبه عليها بإخراجه من الجنة ولا شك أنه عقاب كافٍ، فالحرمان من الجنة والخروج إلى الكدح والنصب في الدنيا عقاب ليس بالهين، وهذا العقاب قد اختاره الله بنفسه، وفي وقته وحينه فكيف يستساغ أن يظل سبحانه مضمرّاً السوء للجنس البشري غاضباً عليه آلاف السنين حتى جاءت رسالة المسيح، وهنا فقط ينتهي الغضب بحادثة الصلب والقتل المنسوبة إليه.

ثامناً: إن الأب عبد الأحد داود الآشوري مطران بلدة نصيبين والذي اهتدى إلى الإسلام في القرن الماضي ينتقد فكرة الصلب والفداء ويقول:

(إن من العجب أن يعتقد النصارى أن هذا السر اللاهوتي وهو خطيئة آدم وغضب الله على الجنس البشري بسببها، ظل مكتوماً عن كل الأنبياء والرسل السابقين ولم تكتشفه إلا الكنيسة، ومتى كان ذلك؟ لقد كان ذلك بعد حادثة الصلب والقتل).

تاسعاً: إن قيل أنه بواسطة نظرية الخلاص خلّص النصارى من محن الدنيا ومشاكلها، فما بالناس نراهم مثل جميع البشر يجري عليهم كل ما يجري على غيرهم من معتنقي الديانات الأخرى من سعي على الرزق وإصابتهم بالهموم والأمراض ثم الموت بعد ذلك.

عاشراً: فإن قيل إنهم خلصوا من الذنوب والخطايا فلا صحة لذلك لأنهم يتلون في عباداتهم وصلواتهم في الصباح والمساء:

(واغفر لنا ذنوبنا) [انظر إنجيل متى: في الإصحاح السادس، عدد ١٢].

حادي عشر: قد يقول النصارى: إن هذا الخلاص كان خلاصاً لهم من حساب

الآخرة. إلا أنه لا صحة لذلك لأنه مكتوب في موعظة متى : إنهم سيحشرون يوم القيامة ويقفون موقف الحساب :

(وهناك يفرز الله الناس ويفصل الأبرار من الأشرار، فيأمر بالأبرار إلى الجنة والأشرار إلى النار) [انظر إنجيل متى : في الإصحاح الخامس والعشرين، عدد ٣١ إلى عدد ٤٢].

والعجيب أن الكنيسة خرجت من هذا المأزق الحرج بتفسير عجيب إذ قررت أن تلك المصالحة التي تمت بين الله وبين البشر لا تعني أنه لا تثريب على البشر في الخطأ والعصيان، بل إن تلك المصالحة تمت لحساب الكنيسة، فجسد المسيح ودمه اللذان يكفران عن الذنوب والخطايا في عرف الكنيسة محفوظ لديها، وهي وحدها التي توزعه على من تعطيه فيصبح من الناجين، أما من تحرمه الكنيسة فلا تعطيه من جسد المسيح أو دمه فيصبح من الهالكين في الدنيا، يحرق بالنار عندما تصدر عليه الكنيسة عقوبة الحرمان، فضلاً عن حرقه في نار الآخرة بعد ذلك... واستشرى نفوذ الكنيسة قبل عصر النهضة وجاوز كل معقول خصوصاً الكنيسة الكاثوليكية إذ احتجز الكهنة لأنفسهم ملكوت السماء واحتكروه، فأدخلوا فيه من رضوا عنه وحرّموا الآخرين، وراحوا يفرضون على الناس الإتاوات الفادحة والأفكار العلمية الزائفة، وكذبوا، بل كفّروا كل من يقول بخلافها، وساموهم سوء العذاب حتى الموت إذ اتهموهم بالهرطقة وساقوهم إلى المحاكمات الكنسية ومحاكم التفتيش لإصدار الأحكام عليهم لأن كهنة الكنيسة كانوا يعتبرون العلوم نوعاً من السحر أو الخيانة، وكانت النزعة الدينية نحو كراهية العلوم العقلية هي التي بينت عن نفسها بتعبير المثل القائل (الجهل أبو الإخلاص لله). والبابا غريغوري الكبير يؤيد هذه القاعدة بما لا يمكن دحضه فينفي من روما جميع المشتغلين بالدراسات العلمية ويحرق مكتبة (بلاطين) التي أسسها القيصر أوكتافيوس، ويحرم دراسة آثار الكتاب والفلاسفة الكلاسيكيين، ويستعيز عن ذلك بتشجيع الميثولوجيا الكنيسة أي العلوم الكنسية، والتي ظلت هي المذهب السائد في أوروبا لقرون عديدة، وذلك أن التفكير الديني استمدته الكنيسة في القرون الوسطى من فكرة ثبوت الخالق سبحانه وتعالى وثبوت قصده في خلقه إلى إثبات كل شيء بالضرورة، ولذا كانت فكرة التطور التي أثبتتها العلم، صدمة مذهلة لجماهير النصرانية شكّكتهم في الدين وفي الإله أيضاً.

بينما كان علماء المسلمين قبل ذلك بعشرة قرون قد فرقوا تفريقاً واضحاً بين ثبات الخالق سبحانه وتعالى وبين تطور خلقه.

وفي هذا يقول الكاتب الأمريكي درابير في كتابه النزاع بين الدين والعلم: (إننا لندهش حين نرى في مؤلفات المسلمين من الآراء العلمية ما كنا نظنه من نتائج العلم في هذا العصر) أي في العصر الحديث.

كما يقول بريفولت في كتابه بناء الإنسانية: (لقد كان العلم أهم ما جاءت به الحضارة الإسلامية، وليس ثمة ناحية واحدة من نواحي الازدهار الأوروبي إلا ويمكن إرجاع أصلها إلى مؤثرات الثقافة الإسلامية بصورة قاطعة، وكانت أظهر ما تكون في العلوم الطبيعية وروح البحث العلمي).

الإسلام هو الخلاص الحقيقي للبشرية:

لا جدال في أنه لا فداء ولا خلاص بتلك المفاهيم التي تعتنقها طوائف النصرانية طبقاً لما أوضحناه آنفاً والصواب بل الحق أن الخلاص كل الخلاص هو الخلاص من دعاوى الشرك بالله وتصحيح الاعتقاد السائد لديهم، ولا يكون ذلك إلاً باتجاههم إلى عقيدة التوحيد في الإسلام الواضحة التي لا لبس فيها ولا التواء، وهو أن الله واحد لا شريك له، وأن المسيح ابن مريم هو عبد الله ورسوله، دعا إلى التوحيد الخالص الذي أمر الله به في كتبه المنزلة مصداقاً لما حكاه عنه إنجيل يوحنا: (وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته) إنجيل يوحنا الإصحاح ١٧، عدد ٣، كما أنه لا يتحقق الخلاص إلاً بالإيمان برسالة النبي محمد ﷺ الذي بشر به المسيح عليه السلام، ودعا قومه إلى أن يسارعوا إلى الإيمان به عند ظهوره، فهو الذي طهر العقائد من الشرك في جميع صوره وبراً الأنبياء من دعوى الناس إلى عبادتهم. قال تعالى:

﴿ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عباداً لي من دون الله، ولكن كونوا ربّانيين بما كنتم تُعَلِّمون الكتاب وبما كنتم تدرسون * ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً. أياًمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون﴾ [سورة آل عمران: الآيتان ٧٩، ٨٠].

وقال سبحانه مشيراً إلى دعوة المسيح عليه السلام لتوحيد الله وعبادته وتخليصها من الشرك:

﴿وقال المسيح يا بني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار﴾ [سورة المائدة: الآية ٧٢].
وقال جل جلاله فيما يقصه عن تبشير المسيح برسول الإسلام محمد ﷺ، وقد دعاه أحمد وهو من ضمن أسمائه الشريفة:

﴿وإذ قال عيسى بن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصداقاً لما بين يدي من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد. فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين﴾ [سورة الصف: الآية ٦].

ويقول الكاتب الغربي سانتهلر: (إن الإسلام قد أحدث رقياً عظيماً، فقد أطلق العقل الإنساني من قيوده التي كانت تأسره حول المعابد، وبين أيدي الكهنة من ذوي الأديان المختلفة، فارتفع إلى مستوى الاعتقاد بحياة وراء هذه الحياة، وإن محمداً بتحريمه الصور في المساجد وكل ما يمثل الله قد خلص الفكر الإنساني من وثنية القرون الأولى، واضطر العالم أن يرجع إلى نفسه وأن يبحث عن الله خالقه).

القرآن الكريم يقرر بمحكم آياته بطلان فكرة الصلب والقتل للمسيح عليه السلام، وبالتالي يقضي على نظرية الفداء النصرانية إذ نفى مزاعم من ادعى قتله وصلبه مع تنفيذه لتلك الدعوى، قال تعالى:

﴿وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما صلبوه ولكن شُبّه لهم، وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقيناً﴾ [سورة النساء: الآية ١٥٧].

فلقد نقض الله سبحانه دعوى الزاعمين قتل المسيح وصلبه، وقرر أن القتل والصلب إنما وقع لا على المسيح بل على شخص آخر شبيه له، وهذا هو القدر الذي يتحتم الجزم به، وبالجمله فإن أمارات القطع بأنه هو أو غيره لم تكن متوفرة لديهم، فلذلك شكوا واختلفت أقوالهم في شأنه، وأنهم لا ينزعون فيما قالوه في شأنه عن يقين، بل عن حيرة وتردد في أمره، كما يتبعون فيما زعموه الظن والتخمين، ثم أورد القرآن الكريم تأكيداً الثاني في نفي القتل والصلب بقوله تعالى: ﴿وما قتلوه يقيناً﴾. ولقد ورد في تاريخ موسهيم الشهير والذي يدرس في مدارس اللاهوت الإنجيلية أن كثيراً من فرق النصرانية قديماً كانت ترفض قبول فكرة الصلب على المسيح رفضاً كلياً، لأن البعض كان

يعده إهانة لشرف المسيح ونقصاً يلحق به، والبعض الآخر كان يرفضه استناداً على الأدلة التاريخية، وهؤلاء المنكرون للصلب طوائف كثيرة لا يسلمون بأن المسيح سُـمِّر ومات على صليب ومن هذه الطوائف الآتي ذكرهم:

- ١ - الساطريتوسيون. ٢ - الكاربوكراتيون. ٣ - المركيرتيون. ٤ - البارديسانيون.
- ٥ - الثانياسيون. ٦ - المانيسيون. ٧ - البارسكاليونيون. ٨ - البيوليسيون.
- ٩ - الروسيتية. ١٠ - المرقونية. ١١ - الفلتطانيائية.

كما أورد المستشرق الإنجليزي جورج سيل في ترجمته للقرآن الكريم في سورة آل عمران أن بعض قدماء فرق النصرانية كانوا يعتقدون أن المسيح نفسه لم يصلب وإنما صلب واحد آخر من تلاميذه كان يشبهه تماماً.

وأما بالنسبة لما وقع فيه آدم عليه السلام من مخالفة بأكله من الشجرة التي نهاه الله عن الأكل منها، فقد نص القرآن الكريم أن الله ألقى في روح آدم أن يتوسل إليه بكلمات ألهمه إياها ليتوب الله عليه، فاستقبلها بالأخذ والقبول والعمل بها حينما تعلمها، فتاب عليه وأصبحت خطيئته كأن لم تكن لأن التوبة الصادقة تمحو الذنوب، وبالتالي فلا حاجة لتسلسل الخطيئة في ذريته أو لإرثها في الأجيال التي من بعده.

قال تعالى:

﴿فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم﴾ [سورة البقرة: الآية ٣٧].

وبذلك فتح الله للعصاة طريق التوبة إذا عصوا ليتوب عليهم كما تاب على أبيهم آدم دون واسطة من الكهان أو الرهبان، لأنه سبحانه وتعالى التواب الرحيم، أي كثير قبول التوبة من عباده، العظيم الرحمة لهم.

**

(٣)

روح القدس أو روح الله في عقيدة النصرانية^(١)

يؤمن النصارى في زماننا المعاصر بالوهمية روح القدس، لأنه في نظرهم حلّ على السيدة مريم بنت عمران والدة المسيح عليه السلام عندما جاء إليها في مكان عبادتها وبشرها بحمله ثم ولادته بعد ذلك دون اتصال منها بأي واحد من البشر. كما يعتقدون ثانياً أنه هو الذي حلّ على المسيح عليه السلام عند تعميده في نهر الأردن.

وأنه هو الذي حلّ على الحواريين تلامذة المسيح وأصحابه بعد أن ذهب عنهم وتركهم في هذا العالم.

ويستدلون على ذلك بالنصوص الآتية من كتابهم المقدس:

النص الأول: ورد في إنجيل لوقا بالإصحاح الأول عدد ٢٦ - ٣٥ وهو:

(وفي الشهر السادس أرسل جبرائيل الملاك من الله إلى مدينة من الجليل اسمها ناصرة إلى عذراء مخطوبة لرجل من بيت داود اسمه يوسف، واسم العذراء مريم، فدخل إليها الملاك وقال: سلام لك أيتها المنعم عليها، الرب معك، مباركة أنت في النساء... . وها أنت ستحبلين وتلدن ابناً وتسمينه يسوع... . فقالت مريم للملاك: كيف يكون هذا وأنا لست أعرف رجلاً؟ فأجاب الملاك وقال لها: الروح القدس يحل عليك).

النص الثاني: ورد في إنجيل مرقس في الإصحاح الأول عدد ٩، ١٠ وهو قوله:

(١) نشر بمجلة الوعي الإسلامي الكويتية العدد ٢٣٣: جمادى الأولى سنة ١٤٠٤ هـ فبراير سنة ١٩٨٤ م.

(وفي تلك الأيام جاء يسوع من ناصرة الجليل، واعتمد من يوحنا في الأردن وللوقت وهو صاعد من الماء رأى السماوات قد انشقت والروح مثل حمامة نازلاً عليه).

النص الثالث: وقد ورد في سفر أعمال الرسل في الإصحاح الأول عدد ٨ وهو القول المنسوب للمسيح إلى تلاميذه: (كلكم ستنالون قوة متى حلّ الروح القدس عليكم، وتكونون لي شهوداً في أورشليم وفي كل اليهودية والسامرة وإلى أقصى الأرض) وكلمة أورشليم تعني مدينة القدس.

مجمع نيقية يضيفي القداسة على روح القدس في القرن الرابع الميلادي:

تكشفت قداسة روح القدس فجأة لدى النصارى عند انعقاد مجمع نيقية المسكوني سنة ٣٢٥ ميلادية، فقد ألغى عقيدة التوحيد التي كانت سائدة لدى طوائف النصرانية خلال القرون الثلاثة الأولى للميلاد، وبدلاً منها فرض ذلك المؤتمر عليهم عقيدة الثالوث المكون من الأقانيم الثلاثة وهي:

١ - الأب ويعنون به الله.

٢ - الابن ويعنون به المسيح.

٣ - والروح ويعنون به الروح القدس.

ولما كان أعضاء ذلك المؤتمر يهتمهم في البداية استقرار مبدأ ألوهية المسيح ضمن عقيدة الثالوث، لذلك فقد تركوا موضوع ألوهية روح القدس دون مناقشة فلم يشبثوها أو ينفيوها، بل أجلوا القطع في أمرها لفرصة أخرى.

تقرير ألوهية روح القدس بعد ذلك:

بعد فرض عقيدة الثالوث أو الثلاثية انقسمت طوائف النصارى حول طبيعة الأبنوم الثالث - وهو روح القدس - إلى طائفتين:

الطائفة الأولى: ويتزعمها بطريرك الإسكندرية المبتدع والمدافع عن عقيدة الثالوث ويفسرها بمفهومه الكنسي فيقول: إن المسيطر على العالم قوى ثلاث هي كما قدمنا آنفاً:

١ - المكون الأول؛ وهو الله ويسمونه الأب.

٢ - العقل؛ ويقصدون به المسيح ويسمونهُ الابن.

٣ - النفس العامة؛ ويقصدون به الروح القدس.

الطائفة الثانية: ويتزعمها مقدونيوس أسقف القسطنطينية، وكان يعلن أن الروح القدس ليس بالإله ولكنه مخلوق مصنوع وكان يشايعه في ذلك أسقف آخر كبير هو الأسقف أوسابيوس.

انعقاد مجمع القسطنطينية الأول:

وحسباً لهذا الخلاف بين الطائفتين عقد الامبراطور الروماني تاوديوس الكبير مجمع القسطنطينية الأول سنة ٣٨١ ميلادية ولم يحضره من جميع أنحاء الامبراطورية إلا ١٥٠ أسقفاً فقط، والعجيب في الأمر أن هذا المؤتمر لم يجتمع ليناقد، بل ليتخذ قراراً مبيتاً قبل اجتماعه سرعان ما وافقوا عليه وهو:

أولاً: تقرير ألوهية روح القدس، وبذلك اكتمل في نظرهم بنیان الثالث المقدس.

ثانياً: لعن من يقول بغير ذلك.

وبناء على قرار المؤتمر المذكور أعلن حرمان الأسقفين: مقدونيوس وأوسابيوس وأسقط كلاهما من رتبته.

ابن البطريق المؤرخ النصراني يشرح

قرار ذلك المؤتمر بتأليه روح القدس:

يقول ابن البطريق:

(زادوا في الأمانة التي وضعها الثلاثمائة والثمانمائة عشر أسقفاً الذين اجتمعوا في نيقية: الإيمان بروح القدس، الرب المحيي المنبثق من الآب الذي هو مع الآب، والابن مسجود له وممجّد، وثبتوا أن الآب والابن وروح القدس ثلاثة أقانيم وثلاثة وجوه وثلاثة خواص).

انتهى كلام ابن البطريق.

كيف تقرر ألوهية روح القدس في مؤتمر القسطنطينية المذكور :

قدم بطريرك الإسكندرية تفسيراً عجيباً إلى المجتمعين في ذلك المؤتمر سرعان ما وافقوا عليه عقيدة لهم، ولطوائف النصرانية، وهذا التفسير هو بنصه الآتي :

(ليس روح القدس عندنا بمعنى غير روح الله، وليس روح الله شيئاً غير حياته، فإذا قلنا إن روح القدس مخلوق، فقد قلنا إن روح الله مخلوق، وإذا قلنا إن روح الله مخلوقة قلنا إن حياته مخلوقة فقد زعمنا أنه غير حيّ، وإذا زعمنا أنه غير حي فقد كفرنا به، ومن كفر به وجب عليه اللعن).

نقد الأساس الذي وافق عليه مجمع القسطنطينية في تقريره ألوهية روح القدس :

من النظر إلى السلسلة السابقة التي قدمها بطريرك الإسكندرية يتضح لنا بأن مقدمة هذه السلسلة وهي أن روح القدس هي روح الله التي تقوم بها حياته مقدمة خاطئة، لا تسندها نصوص الكتاب عندهم ولا يوافق عليها أهل العلم بذلك الكتاب، وما دامت المقدمة خاطئة، فلا بد وأن تكون النتيجة التي انبثقت عنها خاطئة، وهي تلك التي وافق عليها مؤتمر القسطنطينية الأول عن روح القدس.

التفسير الواضح لروح القدس أو روح الله من واقع الكتاب المقدس لليهود والنصارى :

الرأي الواضح الذي لا غموض فيه هو أن روح القدس أو روح الله ملك من الملائكة خلقه الله واتخذ له ليكون رسولاً بينه وبين من يريد أن يلقي عليه وحيّاً من خلقه كالأنبياء والمرسلين.

وقد يكون بمعنى الوحي نفسه أو بمعنى التأييد والثبات من الله، ولندلل على ذلك بنصوص الكتاب المقدس في عهديه القديم والجديد طبقاً للآتي :

أولاً: في كتاب العهد القديم والذي يضم أسفار موسى الخمسة وأسفار أنبياء بني إسرائيل :

١ - ورد في سفر العدد في الإصحاح ١١ عدد ٢٥ قوله حكاية عن موسى عليه السلام:

(وأخذ من الروح الذي عليه وجعل على السبعين رجلاً، فلما حلت عليهم الروح تنبأوا ولكنهم لم يزيّدوا).

أي فلما نزل عليهم الملك بالوحي تنبأوا.

٢ - تضمن السفر السابق الإشارة إليه في الإصحاح ١١ عدد ٢٩ قوله أيضاً:

(يا ليت كل شعب الرب كانوا أنبياء، إذأ جعل الرب روحه عليهم، أي تأييده وثباته لهم).

٣ - ورد في المزمور ٥١ عدد ١١ قوله عن داود عليه السلام:

(وروحك القدوس لا تنزعني)، بمعنى الوحي أو التأييد والثبات من الله.

٤ - وشبهه بذلك ما ورد بسفر أشعيا في الإصحاح ٦١ عدد ١ قوله:

(روح السيد الرب عليّ).

٥ - وما ورد في سفر الأيام الثاني في الإصحاح ٢٤ عدد ٢٠ قوله:

(وليس روح الله زكريا).

٦ - وما ورد في سفر نحميا في الإصحاح التاسع عدد ٢٠ قوله:

(وأعطيتهم روحك الصالح لتعلمهم).

ثانياً: في كتاب العهد الجديد والذي يضم الأناجيل الأربعة المنسوبة إلى متى ومرقس ولوقا ويوحنا والرسائل الملحقة بها نذكر الآتي:

١ - ورد في إنجيل لوقا في الإصحاح الأول عدد ١٥ قوله عن النبي يوحنا:

(لأنه يكون عظيماً أمام الرب. . . ومن بطن أمه يمتلئ من الروح القدس).

النبي يوحنا يعني النبي يحيى بن زكريا عليهما السلام.

٢ - جاء في الإنجيل السابق الإشارة إليه في الإصحاح الثاني عدد ٢٥ قوله عن سمعان التقي وكان من أهالي مدينة القدس:

(وكان رجل في أورشليم اسمه سمعان . . . والروح القدس كان عليه).

٣ - ورد في سفر رؤيا يوحنا في الإصحاح الثامن عدد ٩ قوله عن المؤمنين بالمسيح عليه السلام:

(إن كان روح الله ساكناً فيكم).

هل اكتفى رجال الكنيسة بذلك

القرار الثالثي على هذا الوضع؟

لم يكتف بعض رجال الكنيسة بذلك الثالث على هذا الوضع السابق شرحه، فهم لم يقتنعوا بأن يقولوا بالوهية روح القدس وأنه منبثق من الأب (أي الله)، بل تراهم كأنهم تصوروا منافسة على زعمهم بين الله جل جلاله، وبين المسيح عليه السلام، لذلك عقدوا مجمعاً آخر هو مجمع طليطلة سنة ٥٨٩ ميلادية انتهوا فيه إلى أن روح القدس منبثق من الابن أيضاً (بمعنى أنه منبثق أيضاً من المسيح)، مع أن هذا مناقض لما قالوه سابقاً وللنصوص الأولى المشار إليها في صدر هذا المقال من أنه هو الذي حلّ على العذراء مريم لدى البشارة لها، وعلى المسيح عند العماد، فمتى يفيق هؤلاء الغافلون!

ولم تقبل الكنيسة اليونانية هذه الزيادة الجديدة وكذلك الكنيسة القبطية بمصر لم تقبلها ولا تزال عبارة (ومنبثق من الابن أيضاً) موضع خلاف بين الكنيسة اليونانية والقبطية من جهة وبين الكنيسة الكاثوليكية من جهة أخرى وسبباً لعدم الالتقاء بينهما.

الدكتور أحمد شلبي أستاذ علم مقارنة الأديان بجامعة القاهرة يعلق على قرارات المجامع الكنسية:

ويقول الدكتور أحمد شلبي عن تلك المجامع الكنسية، وعما تصدره من قرارات عجيبة في تقرير الألوهية:

(وهكذا اتخذت تلك المجامع سلطة صنع الآلهة).

فيا للعجب العجائب.

ما يقوله الفيلسوف والمفكر اللاهوتي الهولندي سبينوزا عن الروح القدس أوروخ الله:

يقول ذلك الفيلسوف: إن كلمة روح في اللغة العبرانية تعني الذهن أو حكم الذهن، ولهذا استحقت الشريعة نفسها بمقدار تعبيرها عن الفكر الإلهي أن تسمى روح الله وفكره.

فإذا قلنا روح الله في النبي، أنزل الله روحه في البشر، البشر مليء بروح الله أو بالروح القدس، فهذه عبارات لا تعني سوى أنه كانت للأنبيا فضيلة خاصة فوق المعتاد، وأنهم كانوا يثابرون على التقوى دوماً، وكانوا بالإضافة إلى ذلك قادرين على إدراك فكر الله أو حكمه، بمعنى أن روح القدس يعني الفكر الصائب المستقيم المستوحى من الله.

النبي الإسرائيلي أشعيا يؤيد في سفره ما ذهب إليه الفيلسوف والمفكر سبينوزا من تفسير:

وذلك في قوله:

(ويخرج قضيب من جذع يسى ويحلّ على روح الرب: روح الحكمة والفهم، روح المشورة والقوة، روح المعرفة ومخافة الرب، ولذته تكون في مخافة الرب فلا يقضي بحسب نظر عينيه ولا يحكم بحسب سمع أذنيه، بل يقضي بالعدل للمساكين) [انظر سفر أشعيا: في الإصحاح ١١ عدد ١].

الروح القدس في عقيدة الإسلام:

هو الملك المقرب جبريل عليه السلام اصطفاه الله لينزل بالوحي على رسله وأنبيائه، وإطلاق روح القدس عليه لأنه ينزل بالقدس أي الطهر من الله والمراد به الوحي الذي يطهر نفوس البشر من الجهل والإثم أو ليطهره من الأدناس البشرية فهو من إضافة الموصوف إلى صفته.

وهو الذي نزل بالقرآن الكريم على رسول الله محمد ﷺ، قال تعالى يصف نزوله بالقرآن عليه ﷺ:

﴿قل نزلّه روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين﴾ [سورة النحل: الآية ١٠٢].

ومن أوصافه أيضاً أنه الروح الأمين، فهو أمين على وحي الله المنزل من السماء، قال تعالى في وصفه:

﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ﴾ [سورة الشعراء: الآية ١٩٣ - ١٩٤].

ولهذا الملك من القوة العظيمة ما لا يعلمه إلا الله فلقد قام بتعليم القرآن الكريم وتلقينه للنبي ﷺ بما له من قوة وبأس وشدة قال تعالى:

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيُ يُوحَى، علمه شديد القوى، ذو مرة فاستوى﴾ [سورة النجم: الآيات ٤ - ٦].

وكثيراً ما كان يحدث للنبي ﷺ مشقة شديدة في التلقي من ملك الوحي جبريل عليه السلام.

حدثت عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أن الحارث بن هشام سأل رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله: كيف يأتيك الوحي؟ فقال رسول الله ﷺ: أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشده عليّ فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال، وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول، قالت عائشة رضي الله عنها: وقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه، وإن جبينه ليتفصد عرقاً.

ماذا يعني إضافة لفظ الروح إلى الله بوجه عام؟

إن إضافة لفظ الروح إلى الله هي إضافة تشريف أو تعظيم، وليس هذا من مبتكرات اللغة العربية وحدها، بل هو قديم جداً ومتعارف عليه عند العبرانيين، ويدل على ذلك الأستاذ إبراهيم الحوراني وهو من علماء أهل الكتاب ومفسريهم فيقول في أبحاثه التي ضمنها كتابه السنن القويم في تفسير أسفار الكليم: اعتاد العبرانيون أن ينسبوا إلى الله ما يريدون تعظيمه طبقاً لما يلي:

١ - ورد بسفر التكوين في إصحاح ١ عدد ٢ قوله عن الريح العظيمة: (روح الله يرف على وجه الماء).

٢ - ورد بالسفر السابق الإشارة إليه في إصحاح ٢٣ عدد ٦ عن بني حث وقولهم لإبراهيم عليه السلام لما نزل عليهم بفلسطين:

(أنت رئيس من الله).

أي رئيس عظيم.

٣ - ذكر مزمور ٣٦ عدد ٦ قوله:

(عدلك مثل جبال الله).

أي مثل جبال عظيمة.

٤ - ورد في سفر صموئيل الأول إصحاح ٢٦ عدد ١٢ قوله:

(لأن سبات الرب وقع عليهم).

أي وقع عليهم نوم ثقيل عميق.

انتهى كلام الأستاذ إبراهيم الحوراني.

ماذا تعني إضافة الروح إلى الله في القرآن الكريم؟

هي إضافة تشريف وتفضيل وتعظيم ومثاله:

١ - قال تعالى عن خلق آدم عليه السلام وأمر الملائكة بالسجود له بعد أن نفخ فيه

من روحه:

﴿فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين﴾ [سورة الحجر: الآية ٢٩].

٢ - قال تعالى عن الناقة التي طلبها قوم صالح عليه السلام آية لهم:

﴿فقال لهم رسول الله ناقة الله وسقياها﴾.

٣ - وقال سبحانه عن البيت الحرام في مكة المكرمة:

﴿وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود﴾

[سورة البقرة: الآية ١٢٥].

ولما كان من معاني الروح الرحمة والنعمة من الله على عباده لذلك كان المسيح

عليه السلام رحمة من الله لقومه ونعمة عظيمة منه عليهم؛ إذ كان يرشدهم إلى ما فيه

سعادتهم في الدنيا والآخرة فسَمِّيَ روحاً من الله، قال تعالى:

﴿إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه﴾

[سورة النساء: الآية ١٧١].

وقد تكون الروح بمعنى الوحي الذي يجيء به ملك الوحي ، لأنه يحيي القلوب الميتة في جهالاتها . قال تعالى :

﴿وكذلك أوحينا إليك رُوحاً من أمرنا﴾ [سورة الشورى : الآية ٥٢].

فالقرآن الكريم وهو الوحي المنزل من الله بإحيائه تلك القلوب كان سبباً للحياة الأخروية الموصوفة في قوله تعالى :

﴿وإن الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون﴾ [سورة العنكبوت : الآية ٦٤].

وقد تكون بمعنى جبريل عليه السلام قال تعالى :

﴿فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشراً سوياً﴾ [سورة مريم : الآية ١٧].

روي أنه كان موضعها في بيت العبادة لبني إسرائيل ، فبينما هي في خلوتها أتاه جبريل عليه السلام في صورة إنسان كامل لتستأنس بكلامه وتتلقى منه ما يلقي إليها من كلمات ربها .

فالإضافة إلى الله كلها إضافة تشريف وتفضيل وتعظيم .

الإسلام يشهد ببراءة المسيح عليه السلام من زعم النصارى أنه أمرهم بعبادته أو عبادة روح القدس :

فما صح وما استقام أن المسيح وهو بشر اصطفاه الله لتبليغ الرسالة إلى قومه الإسرائيليين ، وأعطاه الكتاب الذي يرشدهم إلى عبادة ربهم وأعطاه الحكمة وحسن التصرف في الأمور ، وأعطاه النبوة العاصمة من الخطأ ، ثم يتنكر لربه الذي اختاره لهداية خلقه فيقول للناس : كونوا عباداً لي إشراكاً مع الله أو إفراداً ، ولكن يقول لهم كونوا علماء عاملين كاملين في العلم والعمل ، لأنكم تعلمون الناس الكتاب وتدرسونه فأولى بكم أن تتبعوه ولا تحيدوا عنه .

كما أنه ما صح وما استقام أن يأمرهم أن يتخذوا الملائكة (ومنها روح القدس) والنبیین أرباباً ، فلا يليق به وهو رسول من عند الله أن يأمرهم بالكفر بعد إذ هم مسلمون ،

أي مخلصون ومنقادون لربهم، ولكن نتج كل ذلك بخلطهم الحق بالباطل، وتحريفهم آيات التوراة والإنجيل وسوء تأويلها. قال تعالى مؤنباً لهم:

﴿ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عباداً لي من دون الله، ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون، ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً. أيا أمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون﴾ [سورة آل عمران: الآيتان ٧٩، ٨٠].

*
**

(٤)

(الروح) ومفهومها ما بين أهل الكتاب والإسلام

نشرت إحدى صحف الأحد الأسبوعية بتاريخ ٩ ديسمبر سنة ١٩٧٩ - والتي تصدر في مدينة القاهرة تحت عنوان: المسيح روح الله - أن الملك الحسن الثاني ملك المغرب ذكر في إحدى تصريحاته الصحفية: (أن المسيح هو وحده روح الله وليس محمداً أو موسى).

ولا يخفى على الباحث المدقق ما تهدف إليه صحيفة الأحد الأسبوعية في نشرها للخبر السابق بهذه الصورة، حتى تكون تصريحات عاهل المغرب، وهو الملك المسلم، وقد تضمنت أن المسيح هو وحده روح الله وليس محمداً أو موسى - شهادة للنصارى، والتي تنطق تلك الصحيفة باسمهم فيضيفونها حجة لهم في دعواهم بأن المسيح هو الله، لأن عقيدتهم تقرر ضمن ما تقرر بأن روح الله هو الله.

الأساس الذي انعقد عليه النصارى بأن روح الله هو الله:

لما عقد الامبراطور الروماني تاوديوس الكبير مجمع القسطنطينية الأول سنة ٣٨١ ميلادية لتقرير عقيدة للنصارى بالنسبة لروح القدس حضره ١٥٠ أسقفاً فقط من أنحاء الامبراطورية، وفي هذا المجمع قدم بطريرك الاسكندرية وقتئذ تفسيره الغريب إلى المجتمعين، فوافقوا عليه عقيدة لهم وهو الآتي:

(ليس روح القدس عندنا بمعنى غير روح الله، وليس روح الله شيئاً غير حياته، فإذا قلنا إن روح القدس مخلوق، فقد قلنا إن روح الله مخلوقة، وإذا قلنا إن روح الله مخلوقة قلنا إن حياته مخلوقة، وإذا قلنا إن حياته مخلوقة فقد زعمنا أنه غير حي، وإذا قلنا إنه غير حي فقد كفرنا به ومن كفر به وجب عليه اللعن).

ما هو مفهوم الروح من واقع نصوص النصارى المقدسة؟

من واقع نصوص التوراة والأنجيل المتداولة بين النصارى فإن للروح مفهوماً آخر خلاف ما عرضه بطريرك الاسكندرية سالف الذكر، وانعقد عليه إجماع القسطنطينية الأول سنة ٣٨١ م فقد ذكروا:

أن الروح إما مصدر للخير وإما مصدر للشر:

فإذا كان الروح مصدراً للخير فيقال له: روح الحق أو روح الخير ومثال ذلك قوله في الإنجيل:

(روح الحق الذي لا يستطيع العالم أن يقبله) [انظر إنجيل يوحنا: في الإصحاح ١٤، عدد ١٧].

٢ - وإذا كان الروح مصدراً للشر فيقال له: روح الضلال أو الشر، ومثال ذلك قوله:

(من هذا نعرف روح الحق وروح الضلال) [انظر رسالة يوحنا الأولى في الإصحاح الرابع، عدد ٦].

وقوله: (تابعين أرواحاً مضلة) [انظر رسالة بولس الأولى إلى تيموثاوس، في الإصحاح الرابع، عدد ١].

الروح قد يكون طاهراً أو نجساً:

ويسمى الأول روحاً طاهراً وقدوساً والثاني روحاً نجساً. وأمثلة ذلك الآتي:

١ - ورد في مزمور (٥١ عدد ١١) قوله: (وروحك القدوس لا تنزعه مني).

٢ - ورد في رسالة بولس الأولى إلى تسالونيكي في الإصحاح الرابع، عدد ٨، قوله:

(بل الله الذي أعطانا أيضاً روحه القدس).

٣ - ورد بإنجيل لوقا في الإصحاح الأول، عدد ١٥، قوله: (لأنه كان رجلاً صالحاً وممتهناً من الروح القدس).

- ٤ - ورد برؤيا يوحنا في الإصحاح ١٨ ، عدد ٣ ، قوله :
(ومحرماً لكل روح نجس).
- ٥ - ورد بإنجيل متى في الإصحاح ١٢ ، عدد ٤٣ ، قوله :
(إذا خرج الروح النجس من الإنسان).
- ٦ - ورد بإنجيل مرقس في الإصحاح الأول ، عدد ٢٣ ، قوله :
(وكان في مجمعهم رجل به روح نجس).
- ٧ - ورد بإنجيل مرقس في الإصحاح الأول ، عدد ٢٦ ، قوله :
(فصرعه الروح النجس).
- ٨ - ورد بإنجيل لوقا في الإصحاح التاسع ، عدد ٤٢ ، قوله :
(فانتهم يسوع الروح النجس).

الروح قد يكون ربانياً وقد يكون شيطانياً :

- ١ - ورد بسفر العدد في الإصحاح ١١ ، عدد ٢٩ ، قوله :
(يا ليت كل شعب الرب كانوا أنبياء إذاً جعل الرب روحه عليهم).
- ٢ - ورد بسفر أعمال الرسل في الإصحاح الخامس ، عدد ٩ ، قوله :
(ما بالكما اتفقتما على تجربة روح الرب).
- ٣ - ورد بسفر أشعيا في الإصحاح ٦١ ، عدد ١ ، قوله :
(روح السيد الرب علي).
- ٤ - ورد بسفر أشعيا في الإصحاح ١١ ، عدد ١ ، قوله :
(ويحل عليه روح الرب).
- ٥ - ورد برؤيا يوحنا في الإصحاح الرابع ، عدد ٥ ، قوله :
(أمام العرش سبعة مصابيح نار متقدة هي سبعة أرواح الله).
- ٦ - ورد بسفر الأيام الثاني في الإصحاح ٢٤ ، عدد ٢٠ ، قوله :
(وليس روح الله زكريا).

٧ - كما ورد بسفر رؤيا يوحنا في الإصحاح الثامن، عدد ٩، قوله:
(إن كان روح الله ساكناً فيكم).
وعن الروح الشيطاني فقلوه:

١ - ما ورد بإنجيل لوقا في الإصحاح الرابع، عدد ٣٣، قوله:
(وكان في المجمع رجل به روح شيطان).

٢ - ما ورد برؤيا يوحنا في الإصحاح ١٦، عدد ١٤، قوله:
(فإنهم أرواح الشياطين).

٣ - ما ورد بسفر زكريا في الإصحاح ١٣، عدد ٢، قوله:
(والروح النجس من الأرض).

الروح قد يكون صالحاً وقد يكون رديئاً، ويعبر عن الروح الصالح بالروح
المستقيمة أو الفاضلة، ويعبر عن الروح الرديء بروح الكذب أو بروح الفشل ونحوها،
ومثال ذلك الآتي:

١ - ورد بمزمور ٥١، عدد ١٠، قوله:
(وروحاً مستقيماً جدد في داخلي).

٢ - ورد بمزمور ١٤٣، عدد ١٠، قوله:
(وروحك الصالح يهديني).

٣ - ورد بسفر نحميا في الإصحاح التاسع، عدد ٢٠، قوله:
(وأعطيتهم روحك الصالح لتعلمهم).

٤ - ورد بسفر دانيال في الإصحاح الخامس، عدد ١٢، قوله:
(من حيث أن روحاً فاضلة... وجدت في دانيال).

أما الروح الرديء، فقلوه:

١ - ما ورد بسفر القضاة في الإصحاح التاسع، عدد ٢٣، قوله:
(وأرسل الرب روحاً رديئاً بين أبيمالك وأهل شكيم).

٢ - ورد بسفر أخبار الأيام الثاني في الإصحاح ١٨، عدد ٢٢، قوله:
(والآن هوذا قد جعل الرب روح كذب في أفواه هؤلاء).

٣ - ورد برسالة بولس الأولى لتيموثاوس في الإصحاح الأول، عدد ٧، قوله: (لأن الله لم يعطنا روح الفشل).

فيذا قرر القرآن الكريم بشأن المسيح عليه السلام بأنه (روح منه) فالمراد بذلك أن المسيح روح عالية قدسية خيرية علوية، وليس هو من الأرواح الشيطانية النجسة الأرضية الشريرة.

ففي المجتمع الإسرائيلي كان لفظ الروح دائراً كثيراً على الألسنة قبل عصر المسيح وأكثر منه في عصره، وأكثر كثيراً جداً منه بعد عصره، وكان في أكثر حديث الإسرائيليين أي اليهود، وفيما يروق لذوقهم التعبير بهذا اللفظ عند كل شيء، فنجد في العهد القديم من الكتاب المقدس قوله:

١ - (وأرسل الرب روحاً رديثاً) [انظر سفر القضاة: في الإصحاح ٩، عدد ٢٣].

٢ - (فمرت روح على وجهي) [سفر أيوب: في الإصحاح ٤، عدد ١٥].

٣ - (وروح من فهمي يجيني) [سفر أيوب: في الإصحاح ٢٠، عدد ٢].

٤ - (هي روح منكرة) [انظر مزمور ٥١، عدد ١٧].

٥ - (فدخل في روح) [انظر سفر حزقيال: في الإصحاح الثاني، عدد ٢].

٦ - (لأن فيه روحاً فاضلة) [سفر دانيال: في الإصحاح ٦، عدد ٣].

٧ - (اثنين من روحك عليّ) [انظر سفر الملوك الثاني: في الإصحاح الثاني، عدد ٩].

٨ - (لكي تترنم لك روحي) [انظر المزمور ٣٠، عدد ١٢].

٩ - (ولا في روحه غش) [انظر المزمور ٣٢، عدد ٢].

١٠ - (لم تكن روحه أمينة لله) [انظر المزمور ٧٨، عدد ٧].

١١ - (أين أذهب من روحك) [انظر المزمور ١٢٩، عدد ٧].

١٢ - (روحك الصالح يهديني) [انظر المزمور ١٤٣، عدد ١٠].

١٣ - (الذين ملأتهم روح حكمة) [سفر الخروج: في الإصحاح ٢٨، عدد ٣].

كما نجد في المهد الجديد من الكتاب المقدس قوله :

- ١ - (المولود من الروح هو روح) [إنجيل يوحنا: في الإصحاح الثاني، عدد ٦].
- ٢ - (الله الذي أعبدته بروحي) [انظر رسالة بولس إلى رومية: في الإصحاح الأول، عدد ٩].
- ٣ - (لم تكن لي راحة في روحي) [رسالة بولس الثانية إلى كورنثوس: في الإصحاح ٢، عدد ١٣].
- ٤ - (روح أبيكم الذي يتكلم فيكم) [إنجيل متى: في الإصحاح العاشر، عدد ٢٠].
- ٥ - (ويتقدم أمامه بروح إيلياء) [إنجيل لوقا: في الإصحاح الأول، عدد ١٧].
- ٦ - (جارية بها روح عرافة) [انظر سفر أعمال الرسل: في الإصحاح ١٦، عدد ١٦].
- ٧ - (أعطاهم الله روح سبات) [انظر رسالة بولس إلى رومية: في الإصحاح ١١، عدد ٨].
- ٨ - (روح الوداعة) [انظر رسالة بولس إلى غلاطية: في الإصحاح ٦، عدد ١].
- ٩ - (روح الإيمان) [انظر رسالة بولس الثانية إلى كورنثوس: في الإصحاح الرابع، عدد ١٣].
- ١٠ - (وختتمتم بروح الموعد) [انظر رسالة بولس الأولى إلى أفسس: في الإصحاح الأول، عدد ١٣].
- ١١ - (أكلوا طعاماً واحداً روحياً) [انظر رسالة بولس الأولى إلى كورنثوس: في الإصحاح ١٠، عدد ٣].
- ١٢ - (شربوا شراباً واحداً روحياً) [رسالة بولس الأولى إلى كورنثوس: في الإصحاح ١٠، عدد ٤].
- ١٣ - (بيتاً روحياً) [رسالة بطرس الأولى: في الإصحاح الثاني، عدد ٥].

١٤ - (وقد زرعنا لكم الروحيات) [انظر رسالة بولس الأولى إلى كورنثوس: في الإصحاح التاسع، عدد ١١].

مما تقدم يتضح أن تعبيرات المجتمع اليهودي في ذلك الزمان كلها كانت تدور حول لفظ (الروح) حتى الطعام والشراب والزرع فتراهم يقولون: طعام روحي، شراب روحي، زرع روحي.

ولذلك ورد وصف الله سبحانه وتعالى للسيد المسيح عليه السلام في القرآن الكريم بأنه روح منه، هذا من ناحية.

ومن ناحية أخرى، لرد طعن اليهود في المسيح بقولهم إن فيه روحاً شيطانية لأن أعداء المسيح المعاصرين له من اليهود، وكانوا غير مصدقين أن ما به روح خيري قدسي، بل كانوا يعتقدون أن ما به روح شيطاني نجس، فمثلاً:

١ - في إنجيل مرقس بالإصحاح الثالث، عدد ٢٢، ورد به قوله عن الكتبة في وصفهم للمسيح:

(وأما الكتبة الذين نزلوا من أورشليم فقالوا إن معه بعلزبول، وأنه برئيس الشياطين يخرج الشياطين).

وبعلزبول كانت تعني الشيطان عند اليهود.

٢ - كما ورد بإنجيل مرقس المذكور في الإصحاح الثالث، عدد ٣٠، عن المسيح عليه السلام قولهم:

(لأنهم قالوا إن معه روحاً نجساً).

٣ - كما ورد بإنجيل يوحنا في الإصحاح السابع، عدد ٢٠ قولهم عن المسيح عليه السلام:

(أجاب الجميع وقالوا بك الشيطان).

ومن ناحية ثالثة لرد طعن بعض أقرباء السيد المسيح فيه بأنه مختل العقل، فلم يكن اليهود وحدهم هم الذين رموا المسيح عليه السلام بما رموه به، بل اشترك معهم بعض أقربائه، فقد ورد في إنجيل مرقس: في الإصحاح الثالث، عدد ٢١، عن أقرباء المسيح قوله:

(خرجوا ليمسكوه لأنهم قالوا إنه مختل العقل).

واختلال العقل كان معروفاً في ذلك العصر وشائعاً لدى اليهود، وسكان إقليم فلسطين بأنه أثر من آثار الأرواح النجسة، وشاع هذا الطعن وراجت سوقه بين أعداء المسيح، وتلقاه خلفهم عن سلفهم جيلاً بعد جيل حتى عصر النبي محمد ﷺ فنطق القرآن الكريم في شأن المسيح عليه السلام بما ينفي عنه وصمة ما ألصقه أعداؤه به قائلاً: ﴿وروح منه﴾ مقررأً بذلك أنه ليس المسيح كما يقول أعداؤه بأنه روح شيطانية أو شريرة أو مختل العقل بل هو روح خيرية علوية قدسية.

فالإتيان بكلمة (منه) بعد كلمة (روح) إنما هو للإلماع بهذا المعنى اللطيف، ورداً على اليهود الذين كانوا يلقبونه بعلزبول، أي الشيطان كما أوضحنا فيما سبق.

وقد أفاض في ذلك الشيخ عبد الله العلمي الغزي الدمشقي أستاذ دروس تفسير القرآن بالجامع الأموي بدمشق في كتابه سلاسل المناظرة الإسلامية النصرانية.

معنى الإضافة إلى الله في الأسفار الكتابية:

إن إضافة الشيء إلى الله في الأسفار الكتابية هي إضافة تشريف، وليس هذا الأسلوب مستحدثاً ولا من مبتكرات اللغة العربية وحدها، بل هو قديم جداً، وهذا ما يقرره العالم اليهودي إبراهيم الحوراني في شرحه للفصل الأول من سفر التكوين في كتابه (السنن القويم في تفسير أسفار الكليم)، فهو يقول الآتي: (اعتاد العبرانيون أن ينسبوا إلى الله ما يريدون تعظيمه طبقاً لما يلي:

١ - ورد في سفر التكوين: في الإصحاح الأول، عدد ٢، قوله: (روح الله يرف على وجه الماء).

٢ - ورد في المزمور ٣٦، عدد ٦، قوله عن العدل: (عدلك مثل جبال الله). أي مثل جبال عظيمة.

٣ - ورد في المزمور ٨٠، عدد ١٠ قوله عن الأرز: (أغصانها أرز الله). أي أنه أرز كبير الحجم.

٤ - ورد في سفر صموئيل الأول، في الإصحاح ٢٦، عدد ١٢، قوله:
(لأن سبات الرب وقع عليهم).
أي وقع عليهم نوم ثقيل عميق.

٥ - ورد في سفر حزقيال: في الإصحاح ٣٦، عدد ٢٧، قوله خطاباً لبني إسرائيل:

(وأجعل روحي في داخلكم).
أي أجعلكم في حياة اجتماعية سليمة عظيمة.

٦ - ورد في سفر أشعيا: في الإصحاح ٥٩، عدد ٢١، خطاباً من الله لمدينة صهيون قوله:

(روحي الذي عليك).
أي روح عظيم على تلك المدينة.

٧ - ورد في المزمور ١٠٤، عدد ٣٠، قوله:
(ترسل روحك فتخلق وتجدد وجه الأرض).
أي ترسل روح حياة منعشة عظيمة.

٨ - ورد بسفر التكوين: في الإصحاح ٣٠، عدد ٨، قول راحيل:
(فقال راحيل مصارعات الله صارعت أختي).
أي مصارعات شديدة عظيمة. [انتهى كلام الأستاذ إبراهيم الحوراني].

الروح في مفهوم الإسلام:

النص القرآني الذي عبر عن المسيح عليه السلام بأنه روح منه:

قال تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ، وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ، إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، فَآمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةَ انْتَهَوْا خَيْراً لَكُمْ. إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ، لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلاً﴾ [سورة النساء: الآية ١٧١].

والقرآن الكريم ليس هو فقط الذي اقتصر على هذا التعبير (روح منه) بل إن العهد

القديم والعهد الجديد من الكتاب المقدس اشتملت نصوصهما على ما يشبه ذلك، وهي تشير إلى المسيح أو غيره طبقاً للأمثلة الآتية:

١ - ورد بسفر التكوين: إصحاح ٢٣، عدد ٦، قول بني حث لإبراهيم عليه السلام:

(أنت رئيس من الله).

وبنو حث كانوا جماعة من شعوب آسيا الصغرى القديمة توطنت أرض فلسطين في مدينة (حبرون) والتي أصبحت تدعى حالياً مدينة الخليل.

٢ - ورد برسالة يوحنا الأولى: في الإصحاح الرابع، عدد ١ قوله: (أيها الأحياء لا تصدقوا كل روح بل امتحنوا الأرواح هل هي من الله؟ لأن أنبياء كذبة كثيرين قد خرجوا إلى العالم).

فهذا القول: (لا تصدقوا كل روح) يفيد أن الروح شخص آدمي يقتضي التثبت من أقواله والتحقق منها إن كان نبياً أو مرسلًا من قبل نبي من الأنبياء فهو صادق، وعلى الحق إذا دلت البراهين على صدقه، وكاذب إن قامت الأدلة على كذبه.

وقد ذكر القسم الأول من الصادقين في قوله: (هل هي من الله) وذكر القسم الثاني من الكاذبين في قوله: (لأن أنبياء كذبة كثيرين قد خرجوا إلى العالم).

٣ - ورد بإنجيل يوحنا: في الإصحاح التاسع، عدد ١٦، قول الفريسيين عن المسيح عليه السلام:

(فقال قوم من الفريسيين هذا الإنسان ليس من الله لأنه لا يحفظ السبت. آخرون قالوا: كيف يقدر إنسان خاطيء أن يعمل مثل هذه الأعمال؟ وكان بينهم انشقاق).

فيفهم من هذا القول أن اليهود كانوا يطلقون على الرجل البار أنه من الله بخلاف المخاطيء فيقال فيه إنه ليس من الله.

٤ - ورد برسالة يوحنا الأولى: في الإصحاح الرابع، عدد ٤ - ٦، عن رسل الخير قوله:

(أنتم من الله أيها الأولاد وقد غلبتموهم لأن الذي فيكم أعظم من الذي في العالم

هم من العالم، من أجل ذلك يتكلمون من العالم والعالم يسمع لهم، نحن من الله فمن يعرف الله يسمع لنا، ومن ليس من الله لا يسمع لنا).

فقلوه: (وأنتم من الله)، و: (نحن من الله)، تعني أننا وإياكم أرواح هادية مرشدة خيرية.

أما قلوه: (هم من العالم)، و: (من ليس من الله)، تعني أنهم أرواح ضالّة مضلّة أرضية شيطانية شريرة.

مما تقدم يتضح أن ما ذكره القرآن الكريم عن المسيح عليه السلام بتعبير: ﴿وروح منه﴾ تعني أنه روح خيرية مطيعة لله، لا أن تكون جزءاً منه تعالى، وإلا للزم أن يكون مقتضى ذلك أن جميع الأنبياء الصادقين والمرسلين (الذين هم أرواح من الله) أن يكونوا أجزاء من الله بحكم قول يوحنا في رسالته الأولى بالإصحاح الرابع عدد ١، وإلا للزم أيضاً أن يكون جميع المؤمنين الذين عناهم يوحنا أجزاء من الله بحكم قول يوحنا السابق في رسالته الأولى بالإصحاح الرابع عدد ٦.

وكذلك لَلَزِمَ أن يكون إبراهيم جزءاً من الله بحكم قول بني حث السابق ذكره في سفر التكوين: في الإصحاح ٢٣، عدد ٦.

هل اقتصر القرآن الكريم على إضافة المسيح عليه السلام فقط إلى الله أم أضاف أشياء أخرى إلى الله؟

إن القرآن الكريم لم يقتصر على إضافة المسيح فقط إلى الله بل إنه أضاف إلى الله الأمور الآتية – وكلها إضافات إليه تعالى إضافة تشريف – :

١ – روح آدم عليه السلام: وذلك في قوله للملائكة عنه:

﴿وإذ قال ربك للملائكة إني خالق بشراً من صلصال من حمأ مسنون. فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين﴾ [سورة الحجر: الآيتان ٢٨، ٢٩].

٢ – الناقة معجزة صالح عليه السلام إلى قومه ثمود، وذلك في قوله تعالى:

﴿كذّبت ثمود بطغواها إذ انبَعَثَ أشقاهَا، فقال لهم رسول الله ناقةَ الله وسُقياها﴾ [سورة الشمس: الآيات ١١، ١٢، ١٣].

٣ – بيت الله المحرم: وذلك في قوله تعالى:

﴿وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بَيْتِي للطائفين والعاكفين والركع السجود﴾
[سورة البقرة: الآية ١٢٥].

٤ - عبد الله، وهذا في قوله تعالى:

﴿وأنه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبداً﴾ [سورة الجن: الآية ١٩].

٥ - ما سخره الله لبني آدم مما في السماء وما في الأرض، وذلك في قوله تعالى:
﴿وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه. إن في ذلك لآيات لقوم
يتفكرون﴾ [سورة الجاثية: الآية ١٣].

من مفاهيم القرآن الكريم:

إن للروح في القرآن الكريم معانٍ كثيرة نعرضها فيما يلي:

١ - فقد يكون في معنى الوحي، كقوله تعالى:

﴿وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن
جعلناه نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا﴾ [سورة الشورى: الآية ٥٢].

وقوله تعالى:

﴿ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده أن أنذروا أنه لا إله إلا أنا
فاتقون﴾ [سورة النحل: الآية ٢].

وكقوله تعالى:

﴿رفيع الدرجات ذو العرش يُلقى الروح من أمره على من يشاء من عباده لينذِرَ يوم
التلاق﴾ [سورة غافر: الآية ١٥].

ويسمى الوحي روحاً لما يحصل به من حياة القلوب والأرواح.

٢ - وتعني الروح أيضاً القوة والثبات والنصر يؤيد الله بها من يشاء من عباده
المؤمنين، قال تعالى:

﴿أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه﴾ [سورة المجادلة: الآية ٢٢].

٣ - ومن معنى الروح جبريل عليه السلام وهو أمين الوحي وأحد رؤساء الملائكة الأربعة، قال تعالى :

﴿وإنه لتنزيل رب العالمين. نزل به الروح الأمين، على قلبك لتكون من المنذرين﴾ [سورة الشعراء: الآيات ١٩٢، ١٩٣، ١٩٤].

وقوله تعالى :

﴿فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشراً سوياً﴾ [سورة مريم: الآية ١٧].

وقوله تعالى عنه أنه (روح القدس). قال تعالى :

﴿قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين﴾ [سورة النحل: الآية ١٠٢].

وقوله تعالى :

﴿وآتينا عيسى بن مريم البينات وأيدناه بروح القدس﴾ [سورة البقرة: الآيتان ٨٧، ٢٥٣].

٤ - ومن معنى الروح المسيح عيسى ابن مريم، قال تعالى :

﴿إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه﴾ [سورة النساء: الآية ١٧١].

وإضافة الروح إلى الله هي إضافة أعيان منفصلة عن الله، فهي إضافة مخلوق إلى خالقه ومصنوع إلى صانعه، لكنها تقتضي تخصيصاً وتشريفاً يتميز به المضاف عن غيره، كما قدمنا آنفاً - كبيت الله وعبد الله ورسول الله وروح الله، وناقة الله - فهذا إضافة إلى إلهيته تقتضيه محبته وتكريمه وتشريفه، وفي الحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ: «فيأتون آدم فيقولون أنت آدم أبو البشر خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأسجد لك ملائكته وعلمك أسماء كل شيء» صحيح البخاري ومسلم.

٥ - ومن معاني الروح أنه ملك عظيم يقوم يوم القيامة مع الملائكة، قال تعالى :

﴿يوم يقوم الروح والملائكة صفاً لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صواباً﴾ [سورة النبأ: الآية ٣٨].

وقد قيل أيضاً إنه جبريل عليه السلام .

قال تعالى :

﴿تَنْزِلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾ [سورة القدر: الآية ٤].

وقال جلّت كلماته :

﴿تُعْرَجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [سورة

المعارج: الآية ٤].

٦ - وقد تعني الروح الرحمة وقدره الله وحكمه وأمره وفرجه وذلك كقوله تعالى :

﴿وَلَا تَيَاسُوا مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَبِئْسُ مَنْ رُوحُ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [سورة

يوسف: الآية ٨٧].

٧ - كما قد تعني الرزق الحسن الطيب الهنيء أو الغفران، وذلك في قوله جلّت

كلماته :

﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ. فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةٌ نَعِيمٌ﴾ [سورة الواقعة: الآيتان

٨٨، ٨٩].

٨ - وقد تعني الروح أيضاً ما تقوم به الحياة أي سر الحياة وإضافتها إلى الله تعالى

للتشريف، وذلك في قوله تعالى عن آدم :

﴿ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوْحِهِ﴾ [سورة السجدة: الآية ٩].

وقوله جلّت كلماته :

﴿فَإِذَا سَوَّيْتَهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوْحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ [سورة الحجر: الآية ٢٩،

وسورة ص: الآية ٧٢].

٩ - وقيل عن الروح إنها أمر من أمر الله عز وجل، وَخَلَقَ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ، وصور مثل

صور بني آدم، وما نزل من السماء ملك إلا ومعه واحد من الروح، وقد سأل عنها اليهود

رسول الله ﷺ، فسأل جبريل أمين الوحي عنها، فأنزل الله عز وجل قوله تعالى :

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾

[سورة الإسراء: الآية ٨٥].

أرواح بني آدم وتسميتها في القرآن الكريم :

إن أرواح بني آدم لم تقع تسميتها في القرآن الكريم غالباً إلا بلفظ (النفس)، قال تعالى :

﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمَطْمَئِنَّةُ، ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً، فَادْخُلِي فِي عِبَادِي، وَادْخُلِي جَنَّاتِي﴾ [سورة الفجر: الآيات ٢٧، ٢٨، ٢٩، ٣٠].

وقال تعالى :

﴿لَا أَقْسَمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ. وَلَا أَقْسَمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾ [سورة القيامة: الآيتان ١، ٢].

وقال تعالى :

﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا. فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ [سورة الشمس: الآيتان ٧، ٨].

وقال تعالى :

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [سورة الأنبياء: الآية ٣].

وقالت جلّت كلماته :

﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا. فِيمِصِّكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [سورة الزمر: الآية ٤٢].

فالأنفس في جميع الآيات السابقة هي الأرواح في مفهومنا.

وأخيراً :

هل يوصف الله في الإسلام بأنه روح؟

في عقيدة الإسلام لا يوصف الله سبحانه وتعالى بأنه روح (وهي التي تقوم بها الحياة) كما تصفه بذلك كتب اليهود والنصارى وإلا كان مركباً مخلوقاً.

بل إن الله في عقيدة الإسلام حيٌّ بذاته لا يموت، فحياته صفة من صفات ذاته زائدة على بقائه، وحياة الله واجبة له تعالى، فهي صفة وجودية قديمة بذاته، وهي صفة كمال، لأن الموت صفة نقص وسبحانه وتعالى منزّه عن جميع النقائص وواجب له الكمال

فلزم اتصافه سبحانه وتعالى بالحياة، ولو لم يتصف بالحياة لما صح اتصافه بالقدرة والإرادة والسمع والبصر والكلام.

قال تعالى :

﴿الله لا إله إلا هو الحي القيوم﴾ [سورة البقرة: الآية ٢٥٥].

وقال تعالى :

﴿هو الحي لا إله إلا هو﴾ [سورة غافر: الآية ٦٥].

وقال جلّت كلماته :

﴿وتوكل على الحي الذي لا يموت وسبح بحمده﴾ [سورة الفرقان: الآية ٥٨].

وقال سبحانه :

﴿وعنت الوجوه للحي القيوم وقد خاب من حمل ظلماً﴾ [سورة طه: الآية ١١١].

**

(٥)

الهوى

كيف انحرف بالصلبية الغربية

عن طريق الهدى والرشاد

منذ أخذ المستشرقون والمبشرون الصليبيون في بلاد الغرب على عاتقهم محاربة الإسلام فكرياً، وهم في هذه المعركة يدفعهم الاعتقاد بأن العقلية الأوروبية هي ميزان التفكير الصحيح، مع أنها لا تصدر عن منهج سوي في دراساتها في مادة مقارنة الأديان، وبالتالي في دراساتها عن الإسلام؛ ذلك أنها إنما تصدر عن الكبرياء والذاتية، وفاتها أن التفكير السليم ميزانه المنهج لا نوع العقلية.

وإذا كان الأمر على هذه الصورة القاصرة، كان من اللازم أن تنصرف جهود علماء تلك المادة إلى مصدرية الكتب المقدسة ونسبتها إلى الوحي الصحيح، فمقارنة الأديان تحتاج في بحوثها عند التثبت من صحة الدين - أي دين كان - إلى:

أولاً: التأكد من نسبة كتابه المقدس إلى الوحي الصحيح.

ثانياً: التأكد من نسبة هذا الكتاب إلى نبي ذلك الدين^(١).

وبفقد هذين الشرطين لا تكون هناك عقيدة، بل تكون هوى، ولم تقع البشرية في الكفر والضلال إلا لأنها رفضت الوحي الإلهي واتبعت ذلك الهوى، قال الله تعالى:

﴿ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السماوات والأرض ومن فيهن بل أتيناهم بذكرهم فهم عن ذكرهم معرضون﴾^(٢).

(١) كتاب آلهة في الأسواق تأليف الدكتور رؤوف شلبي نشر مكتبة الأزهر بالقاهرة ص ١٠.

(٢) سورة المؤمنون: الآية ٧١.

وقال جلُّ شأنه :

﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى﴾^(١).

ويقول سبحانه :

﴿بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾^(٢).

ما هو السبب في اضطراب الفكر الأوروبي وبعده عن الدين؟

إن سبب ذلك هو أن الأوروبيين ومع الأسف تبعهم الأمريكيون بعد ذلك ورثوا ثقافتهم الدينية عن مصدرين شاذين :

المصدر الأول :

ثقافة الأمم السالفة مثل دولة الإغريق (اليونان القديمة) والتي ورثتها الدولة الرومانية القديمة، وقد كانت فكرة الإله عند فيلسوفها أرسطو فكرة عقيمة، إذ كان في اعتقاده أن الله لا يعقل شيئاً عن ذاته وهو خالٍ من الإرادة.

وفي التقاليد الاجتماعية القديمة لأمة الإغريق أن الألوهية عائلات وأسر تتزوج وتتناسل فيما بينها، ولها صفات رديئة وغير كريمة، مثل البشر تماماً وهي المكر والخداع والكره والقتل والحقد... إلخ.

المصدر الثاني :

أنجيل النصرانية المعتبرة لدى الكنيسة أنها مقدسة ومصدر للعقيدة فهي متعددة مضطربة، وإن جانباً من علماء النصرانية أو المسيحية كما غلب على تسميتهم طعنوا في صحتها وعدم كفايتها الروحية والعلمية^(٣).

(١) سورة النجم : الآية ٢٣.

(٢) سورة الروم : الآية ٢٩.

(٣) كتاب آلهة في الأسواق تأليف الدكتور رؤوف شلبي ص ٢٠، ٢١.

فمن ناحية السند :

وجه النقد إليها العلامة الفرنسي المعاصر الدكتور (شارل جينيير) رئيس قسم مقارنة الأديان في جامعة باريس فقال: إن أغلب الفقرات التي يظهر فيها أنها من الأناجيل يبدو أنها صدرت عن محرري الأناجيل لا عن المسيح، أما تلك التي يرجح أنها مبنية على حديث صحيح فلا تعدو الأربع أو الخمس فقرات، ولا يمكن أن نصفها بأقل من أنها خاطئة أساساً في ترجمتها للنص الأصلي، ومن المرجح كذلك أن الأحداث الخاصة بالصلب (أي أحداث صلب المسيح على حدّ زعم النصارى) كانت قد فقدت الكثير من وضوحها قبل تحرير الأناجيل، وأنها تأثرت في مخيلة كاتبها بالأساطير المختلفة الشائعة في الشرق، ولا يربط أيّاً منها بالواقع التاريخي علاقة تذكر^(١).

أما عن صحة الأناجيل :

فقد وجه النقد إليها الناقد الجريء (فاستس) وهو من أكبر علماء فرقة (ماني كيز) في القرن الرابع الميلادي فيقول: (إن هذا العهد الجديد ما صنفه المسيح ولا الحواريون، بل صنفه رجل مجهول الاسم إلى الحواريين ورفقاء الحواريين ليعتبر الناس، وقد آذى بذلك المريدين للمسيح إيذاءً بليغاً فقد ألف الكتب التي تمتلئ بالأغلاط والمتناقضات)^(٢).

هل تعتبر هذه الأناجيل سجلات تاريخية؟

ذكر المستر آرثر فندلاي في كتابه (الكون المنشور) أنها لا تعتبر سجلات تاريخية.

فإنجيل متى كتب حوالي سنة ١٠٠ ميلادية.

وإنجيل مرقس كتب حوالي سنة ٧٠ ميلادية.

وإنجيل لوقا كتب بين سنة ٨٠، وسنة ٩٥ ميلادية.

وإنجيل يوحنا كتب حوالي سنة ١١٠ ميلادية.

(١) كتاب يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء ص ١٦٧، ١٧٠ تأليف الدكتور رؤوف شلبي نشر دار الاعتصام بالقاهرة.

(٢) المرجع السابق، ص ١٦٨.

وليس لهذا الأخير قيمة تستحق الذكر في سرد الحوادث الأكيدة، ويظهر أن كل محتوياته لعب فيها خيال الكاتب دوراً بعيداً^(١)، انتهى كلام المستر آرثر فندلاي.

ماذا عن الرسائل الملحقة بالعهد الجديد؟

أما بالنسبة للرسائل الملحقة بالإنجيل السابقة وعددها ٢٣ رسالة وهي في الاصطلاح الكنسي أسفار تعليمية تحكي مواعظ وأحوال المسيح في مقابلة ما تحكيه الإنجيل الأربعة المعتبرة لدى النصارى من الأخبار الماضية، فيقول عنها الدكتور (شارل جينيير): إن هذه الرسائل سجل فيها محرروها ما رأوه جديراً بالعناية من مجموعات حكم منسوبة إلى المسيح، أو حكايات عن مراحل حياته وجدوا فيها عبرة وتميزاً لشخصيته، ولم يُعَنَّ أحد بما نسميه اليوم بـ (التحقيق التاريخي) ذلك المنهج الذي يفترض الشك، والذي يتنافى مع دوافع الإيمان المطلق لدى هؤلاء الكتاب الذين افتقروا إلى روح النقد.

وعموماً: فإن الدراسات المفصلة لتلك الرسائل وخصوصاً رسائل بولس، تكشف النقاب عن مزيج من الأفكار الغريبة من دعوى الاثني عشر الأساسية، ومن الأفكار اليهودية التي يرجع بعضها مباشرة إلى النصوص المقدسة القديمة، بينما يرجع البعض الآخر إلى اعتبارات دينية حديثة نسبياً، ثم من المفاهيم المنتشرة في الأوساط الوثنية اليونانية، ومن الذكريات الإنجيلية والأساطير الدينية الشرقية^(٢).

وفي كلمة موجزة فإن المسيحية الحالية من واقع صحفها المقدسة ليست هي نصرانية المسيح بل لا تمت إليها بأي صلة اللهم إلا الصلة الاسمية^(٣).

ومما يؤكد ذلك:

أن دوائر المعارف في أوروبا تنفي القول بإلهامية تلك الكتب المقدسة.

ماذا تقول دائرة المعارف البريطانية؟

ورد في المجلد الحادي عشر من دائرة المعارف المذكورة أن كل قول مندرج في

(١) كتاب «يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء».

(٢) المرجع السابق، ص ١٨٨، ١٩٠.

(٣) عن كتاب أوروبا والإسلام تأليف المرحوم الدكتور عبد الحليم محمود ص ٢٧.

الكتب المقدسة ليس إلهامياً، وهذا ما ذكره كل من جيروم، وكريستس، وأرازس، وبركوييس وكثيرون من علماء النصرانية، كما ذكروا أن الذين يقولون: إن كل مندرج في الأناجيل إلهامي لا يقدرّون على إثبات صحة دعواهم.

أما دائرة المعارف الفرنسية:

فقد ورد فيها بالمجلد السابع عشر أن هناك تناقضات بين نصوص الأناجيل المعتبرة، وأن هؤلاء الحواريين أصحاب المسيح ما كان يرى بعضهم بعضاً صاحب وحي كما يظهر في مباحثاتهم في محفل أورشليم^(١).

محاكم التفتيش في أوروبا كانت من أسباب اضطراب الفكر الديني هناك:

فلقد ساعدت محاكم التفتيش والوضع الاجتماعي والسياسي في أوروبا في العصور الوسطى على تشويه معنى الدين وإعطائه مفهوماً مظلماً موحشاً:

١ - فقد كانت الكنيسة تحكم بالإعدام حرقاً على كل من يُظن فيه أنه يتوجه أو يحاول التوجه لتفسير شيء في الكون بعيداً عن الكنيسة، فعلى مذبح الدين كانت مظاهر طغيان الكنيسة التي تكررت في قتل الرجال والنساء وإحراق الجثث البشرية والمدن وتخريبها وإباحة السلب والنهب.

٢ - ويقدر الكاتبون في مقارنة الأديان أن عدد العلماء الذين عاقبتهم الكنيسة بالإعدام عن طريق محاكم التفتيش بلغ ثلاثمائة ألف، أحرق منهم اثنان وثلاثون ألفاً وهم أحياء وكان من بينهم العالم الطبيعي المشهور جاليليو، والعالم برونو.

٣ - وعلى ذلك وتحت زحمة التعذيب والإعدام الوحشي انفعال الأوروبيون فكرياً فقالوا: إن العقل والدين ضدان، ومن هنا كان اضطرابهم في الحديث عن الدين مفهوماً أو تطوراً^(٢).

(١) كتاب آلهة في الأسواق ص ٢٢، ٢٣ تأليف الدكتور رؤوف شلبي.

(٢) المرجع السابق.

مثال يوضح مدى اضطراب العقيدة عند الفرد في بلاد الغرب :
يقول الفيلسوف الفرنسي (هنري دي لا كروا) عن الاضطراب في أصول النصرانية التي يعتنقها :

(لننظر في الاعتقاد المسيحي - أي النصراني - إله ينزل إلى الأرض ليفتدي الإنسان، إله واحد في ثلاثة أشخاص، هذا الاعتقاد لا يماشى العقل، ورجال اللاهوت أنفسهم يعلمون ذلك حق العلم، والمؤلهة^(١) أنفسهم يترددون بإزاء إله كهذا مكون من ثلاثة أشخاص؛ إله له طبيعتان: طبيعة إلهية وطبيعة بشرية، يترددون بإزاء كائن خالد صمد يصبح إنساناً فيآلم كالإنسان ليفتدي خطايا البشر.

إن في المسيحية أنواعاً من المعتقدات العجيبة، يلقي أرسخ المدافعين عنها أكبر الصعوبات في تسويغها، ومعنى ذلك أن الاعتقاد بشيء غير عقلي قد نؤمن به أحياناً لأسباب عقلية وأحياناً أخرى لأسباب غريبة عن العقل، ومن ثم فالإيمان الديني لا يمكن أن يكون إيماناً عقلياً محضاً، ومع ذلك يسعى هذا الإيمان إلى أن يكون عقلياً... لماذا؟
إلا أنه بدون مسوغ عقلي يمكن لأي اعتقاد أن يبدو شيئاً مشروعاً، وإذا كنا نستطيع أن نؤمن معفين أنفسنا من فحص أدلة ذلك الإيمان فلماذا لا نؤمن عندئذ بكل الخرافات التي ترويه الأساطير القديمة؟ ومن هنا وجب أن تكون لدينا أسباب معقولة لما نؤمن به وأن نبسطها للآخرين^(٢).

انتهى كلام ذلك الفيلسوف الفرنسي .

السبب في إصرار الصليبية على التمسك بعقيدتها؟

رغم وضوح المنهج السليم في البحث ورغم النتائج المذهلة التي توصل إليها علماء مقارنة الأديان، بل علماء التاريخ أيضاً في أوروبا وفي غيرها، حول فقد الأصل الديني الذي جاء به المسيح عليه السلام وما ثبت لديهم من أن رسالته قد حورت في

(١) المؤلهة هم الذين يقولون بوجود الله وينكرون الوحي والرسالة ويمثلهم بفرنسا في القرن الثامن عشر وروسو فولتير ومونتسكيو.

(٢) عن كتاب كفاح دين للشيخ محمد الغزالي صفحة ٩٥ نشر دار الكتب الإسلامية بالقاهرة.

أطوار متعددة، مما أبعدها كلية عن أصل الدعوة التي جاء بها، حتى صارت بعد التغيير نحلة مستقلة لا صلة لها بوحى السماء، نجد الصليبية لا تزال على عهدا وإصرارها على ما هي عليه وذلك يرجع إلى عاملين:

العامل الأول:

حواجز التقليد التي تقف حجر عثرة أمام العقول السليمة والفطر النقية خصوصاً تقليد الآباء والأجداد والرؤساء، فهي أشبه بالقيود على النفوس والعقول، تدفعها إلى التمسك بما توارثته من عقائد تشهد البراهين الساطعة والأدلة القاطعة على زيغها وبطلانها.

ولقد نعى القرآن الكريم على هؤلاء المقلدين وأمثالهم من مغبة ذلك التقليد المظلم فقال الله تعالى:

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلَا يَهْتَدُونَ﴾^(١).

العامل الثاني:

الجهل بحقيقة الإسلام وبما يشتمل عليه من هداية ربانية شاملة ويكون ذلك غالباً عند العامة من شعوب النصرانية، فإن عقيدة الإسلام النقية وتعاليمه الصافية، تكاد تكون مجهولة عندهم على العموم وذلك بسبب الطريقة التي يلقن بها العديد من الأجيال قضايا الإنسانية الدينية، وبسبب الجهالة التي تركهم فيها أولو الأمر منهم عن عمد - سواء كانوا رجال حكم أو رجال دين - تجاه كل ما يخص الإسلام بل حتى ما يشير إليه أو إلى محاسنه من قريب أو بعيد، كما وأن منهم من يعمل على تشويه مبادئه والنيل من نبيه ﷺ.

دعوة الإسلام تحمل المنهج السليم إلى تصحيح العقيدة فمتى يفيقون؟

إن الوحي الإلهي في الإسلام يدعو الناس عامة وأهل الكتاب خاصة دعوة حانية مخلصة إلى تصحيح أفكارهم في الألوهية، والرجوع إلى عقيدة التوحيد الصافية النقية،

(١) سورة البقرة: الآية ١٧٠.

التي جاء بها الإسلام والانضواء تحت لوائها، فالله الغني الذي أبدع هذا الوجود من العدم ليس في حاجة إلى صاحبة أو ولد لأن الولد ما هو إلا امتداد للفانين أو هو عون للضعفاء العاجزين، والله بخلاف ذلك، قال تعالى:

﴿قالوا اتخذ الله ولداً سبحانه هو الغني له ما في السماوات وما في الأرض﴾^(١).

وقال جل شأنه:

﴿بديع السماوات والأرض أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم﴾^(٢).

*
**

(١) سورة يونس: الآية ٦٨.

(٢) سورة الأنعام: الآية ١٠١.

الباب الخامس

- (١) كنيسة النصرانية هل أنشأها أو عبد الله فيها ورتب أمورها وأنظمتها المسيح عليه السلام.
- (٢) الله سبحانه كيف يعتقد النصارى أنه يتجسد.
- (٣) المسيح عليه السلام هل حقيقة قتل وصلب بمعرفة اليهود والرومان.
- (٤) عقيدة الألوهية كيف عبث بها الدولة الرومانية بين الثالوث والوحدانية.
- (٥) الفتنة نائمة لعن الله من أيقظها.

(١)

كنيسة النصرانية

هل أنشأها أو عبد الله فيها ورتب أمورها
وأنظمتها المسيح عيسى، عليه السلام^(١)

إن المتتبع لأناجيل النصرانية، وما ألحق بها من رسائل، يتبين له أنها لم تنسب إلى المسيح تعبيراً يثبت قيامه ببناء كنيسة مما تعارف عليه النصارى، بأنه مكان العبادة، وبالتالي فلم يتعبد المسيح طيلة حياته أو مدة دعوته في أي كنيسة من هذه الكنائس.

أما الثابت عنه: فهو أنه كان يعلن دعوته ويبلغ رسالته في مجامع، أي معابد الإسرائيليين وهم الذين غلب على تسميتهم اسم اليهود بوصفه رسولاً خاصاً إليهم، ولنستدل على ذلك بالنصوص الآتية على سبيل المثال:

يقول متى في إنجيله: (وكان يسوع يطوف كل الجليل يعلم في مجامعهم، ويكرز ببشارة الملكوت، ويشفي كل مرض وكل ضعف في الشعب، فذاع خبره في جميع سورية فأحضروا إليه جميع السقماء المصابين بأمراض وأوجاع مختلفة والمجانين والمصروعين والمفلوجين فشفاهم فتبعته جموع كثيرة من الجليل، والعشر المدن وأورشليم واليهودية ومن عبر الأردن) [انظر الإصحاح الرابع من إنجيل متى، عدد ٢٣ - ٢٥].

وقد تضطره الظروف إلى إلقاء تعاليمه في الجبل لكنه ينبه المستمعين لدعوته أنها مكملة لدعوة موسى عليه السلام، وليست ناقضة لها، يشير إلى ذلك قوله:

(١) نشر بمجلة «الوعي الإسلامي» العدد ٢٠٤ من السنة السابعة عشرة: ذو الحجة ١٤٠١ هـ - أكتوبر ١٩٨١ م.

(لا تظنوا أنني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء، ما جئت لأنقض بل لأكمل فلإني الحق أقول لكم إلى أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس) [انظر إنجيل متى: في الإصحاح الخامس، عدد ١٧، ١٨].

وكلمة الناموس تعني شريعة موسى عليه السلام وكتابه التوراة.

ويؤكد على تلاميذه حين يرسلهم لإبلاغ دعوته بأنها خاصة باليهود فقط لذلك يقول عنه متى في إنجيله:

(ثم دعا تلاميذه الاثني عشر وأعطاهم سلطاناً على أرواح نجسة حتى يخرجوها ويشفوا كل مرض وكل ضعف... هؤلاء الاثنا عشر أرسلهم يسوع وأوصاهم قائلاً: إلى طريق أمم لا تمضوا وإلى مدينة للسامريين لا تدخلوا، بل اذهبوا بالحري إلى خراف بيت إسرائيل الضالة) [إنجيل متى: الإصحاح العاشر، عدد ١، ٥، ٦].

ولما أراد الانتقال من الجليل إلى أورشليم القدس لإعلام كهنتها بدعوته ورسالته، دخل إلى هيكل عبادة اليهود يشير إلى ذلك قوله:

(ولما دخل أورشليم ارتجت المدينة قائلة: من هذا؟ فقالت الجموع: هذا يسوع النبي، الذي من ناصرة الجليل، ودخل يسوع إلى هيكل الله وأخرج جميع الذين كانوا يبيعون ويشتررون في الهيكل، وقلب موائد الصيارفة وكراسي باعة الحمام وقال لهم: مكتوب بيتي بيت الصلاة يدعى، وأنتم جعلتموه مغارة لصصوص) [إنجيل متى: في الإصحاح الحادي والعشرين، عدد ١٠، ١١، ١٢، ١٣].

وهيكل الله كان معبد اليهود الأكبر في مدينة القدس بناه نبي الله سليمان عليه السلام، وقد دمره أعداء اليهود من البابليين والرومان في فترات عدة انتقاماً من اليهود.

وما تقدم من نصوص وما شابهها، يتبين أن المسيح عليه السلام لم ينشئ أية كنيسة، ويقرر الكاتبون النصارى أن أكثر الأمور المحققة ثبوتاً لدى أي باحث يدرس الأناجيل في غير ما تحيز هو:

(أن المسيح لم ينشئ كنيسة ولم يردّها، بل إن افتراض العكس لن يجد له سنداً تاريخياً مقبولاً، فلم يستطع رجال اللاهوت بكل ما أوتوا من براعة أن يقيموا على ذلك أدنى دليل).

ويعمل هؤلاء الكاتبون ما وصلوا إليه من نتيجة بأن نصوص الأناجيل تشير إلى أن المسيح كان يبشر ويتربح حلول مملكة الله الوشيك، ومن شأن هذا الأمل أن ينفي من منطقته كل فكرة تتعلق بالتنظيم الديني لأتباعه.

ثم إن المسيح كان يهودياً خاضعاً تمام الخضوع لشرعية اليهود الدينية، لهذا كان لا بد من الإيقان بأنه لم يكن ليعمل فكره لحظة واحدة في رسم خطوط ما يسمى بالكنيسة.

أما الزعم بأن المسيح أعطى لحوارييه سلطة ما، فهذا محل جدل إلى اليوم، وعلى افتراض احتمالته – لا ثبوته – فإنه لا يتعدى أن يكون المسيح قد منحهم بعض ما أوتي من سلطان التبشير بالتوبة، وبحلول مملكة الله لكنه ألبتة لم يصنع لهم أساقفة أو قساوسة، حيث لم يكن هو في حاجة إلى هذا إطلاقاً، انظر إليه في قوله:

(ولما كان وحده سأل الذين حوله مع الاثني عشر عن المثل، فقال لهم قد أعطي لكم أن تعرفوا سر ملكوت الله) [انظر إنجيل مرقس: في الإصحاح الرابع، عدد ١٠، ١١].

كما ورد في إنجيل لوقا قوله:

(وعلى أثر ذلك كان يسير في مدينة وقرية يكرز ويبشر بملكوت الله ومعه الاثنا عشر) [إنجيل لوقا: في الإصحاح الثامن، عدد ١].

هل أنشأ الكنيسة حواريو المسيح؟

إن الدارس لما قام به الحواريون من أعمال فإنه لا يجد أنهم فكروا في إنشاء أية كنيسة فقد ظلوا على إخلاصهم للدين اليهودي وداوموا بكل دقة على شعائر عبادته، لأنهم كانوا مؤمنين بأن المستقبل سيكون لمملكة الله التي بشر بها المسيح وليس لكنيسة ما.

وجود نص عن الكنيسة في إنجيل متى

وهل يتعارض مع رسالة السيد المسيح؟

أورد متى في إنجيله النص الغريب الآتي عن مناقشة بين المسيح وبين بطرس الحواري:

(وأنا أقول لك أيضاً أنت بطرس وعلى هذه الصخرة أبني كنيسة وأبواب الجحيم لن تقوى عليها) [انظر إنجيل متى : الإصحاح ١٦ ، عدد ١٨].

والمتمأمل لهذا النص يجد أن المسيح كأنه تنكر لرسالته التي جاء بها لبني إسرائيل، لأن رسالته كانت التبشير بقرب حلول مملكة الله، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن النص يفيد أن المسيح سيبنى كنيسة، وقد انتهى المسيح عليه السلام من هذه الأرض ولم يبن تلك الكنيسة على الإطلاق، مما يؤكد شذوذ النص المشار إليه وتعارضه مع رسالة المسيح يضاف إلى ذلك أن لفظ الكنيسة كما سيأتي في هذا المقال لفظ يوناني لأنها نشأت أساساً في ربوع العالم اليوناني، والمسيح لم يظهر في بلاد اليونان، ولم يتكلم اللغة اليونانية.

كيف نشأت فكرة إنشاء الكنيسة بمعنى نظام تعبدى؟

يقرر علماء الأديان أن فكرة إنشاء كنيسة لأداء مناسك العبادة، وتسلسل وظائفها في الكهنوت وفي الإكليروس إنما نشأت في ربوع العالم اليوناني بعيداً عن أرض فلسطين التي نشأ فيها المسيح وبشر فيها برسالته بلغته التي كانت الآرامية.

ويقولون إن اليهود المغتربين في مهاجرهم قد طردوا أتباع المسيح من معابدهم اليهودية، سواء كان هذا التابع يهودياً في أصله أو غير يهودي، أي من الأمم غير اليهودية، فتكون من هؤلاء الأتباع المطرودين من معابد اليهودية لاتباعهم المسيح مع أولئك الوثنيين اليونانيين الذين طردوهم كذلك من معابد الوثنيين لاتباعهم المسيح، كَوْنُوا جميعاً تجمعاً حول عبادة واحدة تمجد المسيح، عبادة لا تعدو أن تكون عبادة بدائية.

ويقول الأستاذ الدكتور ثروت أنيس الأسيوطي الأستاذ بجامعة القاهرة في كتابه (نظام الأسرة بين الاقتصاد والدين في الشريعة المسيحية)، الآتي :

١ - إن لهيب الاضطهاد استمر على النصارى ثلاثة قرون من قبل حكام الأمبراطورية الرومانية يثور أو يخمد مثل حمم البركان وفقاً لظروف الأمبراطورية ونشاط حكامها.

٢ - ولقد اعتصم النصارى بالمغاور الصخرية في جوف الأرض لأداء شعائرهم الدينية بعيداً عن اضطهاد الرومان.

٣ - وكان بولس دائب السعي والطواف يؤسس الجمعيات المسيحية في صورة خلايا سرية يطلق عليها أي على الجمعية من تلك الجمعيات أو تلك الخلية السرية لفظاً يونانياً هو (Elecklesia) أي الكنيسة (Eglise)، ويضع على رأس كل جمعية أو خلية سرية (Eglise) مراقباً، ويعني باللغة اليونانية (Episkopos)، أي أسقف (Eveque).

ونخلص مما سبق أن فكرة بناء الكنائس ليس لها أي أساس عقدي في ملة النصرانية الحقبة التي جاء بها المسيح عليه السلام، بل هي من ابتداع واختراعات بولس الذي لم ير المسيح عليه السلام، ولم يؤمن به، بل كان عدواً له ولحوارييه وتلاميذه، وبعد ذهاب المسيح من هذا العالم، زعم لهؤلاء التلاميذ أنه رأى المسيح، وأنه آمن به، ثم لما اطمأنوا إليه أخذ يث من التعاليم ما يناقض دعوته، ويتعارض مع ما تلقاه هؤلاء التلاميذ من المسيح عليه السلام.

ويقول د. شارل جان بيير أستاذ تاريخ المسيحية في جامعة باريس: إن فكرة الكنيسة انطوت على فكرة الاجتماع الأخوي وفي هذه الحالة سَمَّى أتباع المسيح أنفسهم بالقدسين وظلت الكنيسة في نشأتها بهذا المفهوم الذي لم يتعد طور الأخوة بين المؤمنين المحليين بالمسيح دون أن يظهر ما يسمى بكنيسة الله في كيان مادي ملموس.

ولا تزال فكرة نشأة الكنائس الخاصة غامضة كل الغموض لعدم وجود أدلة كافية عن ظروف نشأتها، لأنها نشأت في أحضان الإرهاب السياسي والاضطهاد الحكومي والشعبي، ويمكن القول افتراضاً إن جماعات قامت باسم التعاون بين صغار الناس، وكان لكل جماعة مدير منتخب، وصندوق تموله الاشتراكات ويشرف عليها مندوب خاص، فلعل هذا النظام قد أخذت به الجماعات الدينية النصرانية المتناثرة فأنشأوا نظاماً إدارياً للكنيسة تطور فيما بعد إلى ما يعرف بالقسيس والأسقف والشماس وهو لفظ سرياني يعني المعاون.

وقد ظهر ذلك في القرن الأول الميلادي، ثم تطور فيما بعد إلى نظام متكامل معقد، فرضته ظروف كثرة من اختلاف القساوسة في العقيدة، وتحمسهم لأوطانهم، وشراهم في جمع المال وتنافسهم على السلطات.

الكنيسة تستعير من الرومان نظام وأوضاع رجال الدين :

يقول جيرالدال بيري - من كبار مفكري الغرب - في كتابه: ديانات العالم عن

النصرانية: إن الكنيسة قد استعارت من الرومان أوضاع رجال الدين وتوزيع السلطات طبقاً للآتي:

أولاً: في خلال القرون الأولى للنصرانية كانت هناك تنظيمات قليلة في الكنيسة لأن النصارى كانوا ينتظرون عودة المسيح ليقود حياتهم، ومن هنا كانت كل كنيسة لها رئيس مؤقت كان يلاحظ فيه كبر السن، واسمه مستعار من اليونانية وهو الرجل الشيخ (The old man).

ثانياً: فلما لم يعد المسيح وكانت الكنيسة قد عظمت وكثر أتباعها بدأ النصارى يرتبون لها نظاماً أكثر دقة ودواماً تنحصر فيما يلي:

- ١ - أصبح للكنيسة رجال منقطعون لها ولا عمل لهم سواها، وكل منهم يسمى قسيساً أو رجل دين.
- ٢ - أطلق على هؤلاء المنقطعين رجال الدين للتمييز بينهم وبين العلمانيين غير المنقطعين لخدمة الدين.

٣ - كبير القسس في كل مدينة أطلق عليه أسقف أو مطران.

٤ - الأساقفة في المدن الرئيسية أطلق على كل منهم رئيس الأساقفة في دائرته.

٥ - من بين رؤساء الأساقفة ارتفع خمسة إلى مكان أسمى، وأصبح لهم نفوذ كبير وأخذ كل منهم لقب بطريق، وهؤلاء هم رؤساء الأساقفة في المدن التالية (أنطاكية، وبيت المقدس، والاسكندرية، والقسطنطينية، وروما) فأربعة من هؤلاء في الشرق وواحد فقط في الغرب.

٦ - قبل القرن الحادي عشر كان كل من الأساقفة ورؤساء الأساقفة يطلق عليه لقب (Papa) بابا، ولكن منذ القرن الحادي عشر في عهد البابا جريجوري السابع حاول أن يختص بهذا اللقب رئيس أساقفة روما لكن ينازعه حالياً بطريرك الاسكندرية إذ أمر أتباعه بمناداته بلقب بابا الاسكندرية.

٧ - وبفعل نفوذ بابا روما، أصدر الامبراطور الروماني في سنة ٤٤٥ ميلادية قراراً يجعله رئيساً عاماً للكنائس النصرانية، وقد تمكن باباوات روما وقتئذ من الاستيلاء على السلطة السياسية هناك، وظل السلطان السياسي في يد هؤلاء الباباوات مدة اثني عشر قرناً كونت فيها الكنيسة هناك من نفسها دولة وساعدها في ذلك قوتها وغناها.

- (أ) فأذاعت كنيسة روما أن مكانتها أسمى من مكانة الملوك والأباطرة.
 (ب) وأن البابا له السيادة العليا في القضاء والإدارة.
 (ج) وأنه المشرع والمفسر النهائي للكتاب المقدس.
 (د) وأنه مالك مفتاح الرحمة وباب السماء.

فجبت الكنيسة الضرائب، وسيطرت على القضاء، واستعملت حق الحرمان كأكبر عقوبة تنزلها بمخالفاتها، واستصدرت قانوناً جديداً عكف على إعدادة عدد كبير من القسس، وأصبح يعاقب بمقتضاه القسس إذا أخطأوا كما يعاقب بمقتضاه جميع المذنبين في حق الكنيسة كالمنشقين والمارقين والفساق والذين يمسون الأشياء المقدسة بدنس.

وأصبحت الكنيسة تمثل الغنى والترف، وكان غناها من إيرادات الممتلكات الواسعة التي كانت تمتلكها ومن الوصايا التي طالما كان يدونها الناس للكنيسة قبل موتهم لتضمن لهم نعيماً في الحياة الآخرة.

وبالتالي أصبحت الكنيسة مركز نشاط اجتماعي فأشرفت على المدارس والمستشفيات ووزعت الصدقات وسيطرت على الجامعات ودور النشر.

واجتمع في الكنيسة جميع شؤون الأسرة كالزواج والطلاق وقيد المواليد والورثة والوصايا، وأصبح للكنيسة سعاة يجمعون لها الأخبار ويبلغون عنها التعليمات، وعدّ رجال الكنيسة أنفسهم ممثلين لله في الأرض، فأخذوا حق قيادة أفكار الناس وأعمالهم، وأعلنت الكنيسة بقوة أنها تسيطر على باب الله، وأنها منفذ الرحمة، وبهذا أبرزت خطر الحرمان الذي هو حاجز بين المحروم وباب السماء.

وجذبت هذه المكانة التي استمتع بها رجال الكنيسة كثيراً من الناس ليدخلوا الكنائس ولينصتوا إلى رجالها لينعموا بهذا النفوذ، وقد استطاع كثير من هؤلاء أن يحققوا أملهم وأن يصيروا من رجال الكنيسة، وتسبب عن ذلك أن أصبح هناك عدد كبير من الجهلة ورجال الأطماع وعبداء الدنيا محسوبين في عداد رجال الدين.

ولما ازدادت قوة الكنيسة وأهميتها ازدادت طقوسها المقدسة عدداً، وتنوعت هذه الطقوس، وامتدت لها يد الحبك والزخرفة، وتدخلت هذه الطقوس وهذه الأسرار في كل شيء في حياة الإنسان النصراني وبعد موته، ثم أنقصت الكنيسة تلك الطقوس إلى سبعة هي على الترتيب الآتي:

١ - تعمد الأطفال عقب ولادتهم لتمحي عنهم آثار الخطيئة الأصلية (خطيئة آدم في زعمهم).

٢ - العشاء الرباني وهو يكون بالماء أو الخمر ومعه الخبز الجاف.

٣ - الاعتراف، ويتبع الاعتراف الغفران (للمذنب المعترف بخطيئته أمام القسيس).

٤ - حضور القسيس عند الموت ليمسح المريض المشرف على الموت بالزيت.

٥ - حضور القسيس عند الزواج ليقم وحدة بين الرجل والمرأة.

٦ - الميرون وهو مزيج من العقاقير عليه بقايا تحورت كما يدعى رجال الكهنوت من الدهن الذي صنعه الرسل ولا يسمح به إلا الكهنة.

٧ - الكهنوت، معناه السر الذي يحصل الإنسان به على النعمة التي تؤهله لأداء رسالة المسيح بين البشر فيعين بين الكهنة. والرسل هم الذين أخذوا هذا السر المقدس من المسيح، وكذلك الأسرار الستة الأولى (على حد قولهم).

٨ - السر الثامن وتنفرد به الكنيسة الكاثوليكية وهو عصمة بابا روما، واستحالة ارتكابه الإثم والخطيئة، لأن الروح القدس ينطق من خلاله بوصفه خليفة بطرس الرسول، (ويبدو أن هذا السر لم يعد قاصراً على بابا روما وحده بل تعداه إلى باقي البطارقة فزعموا العصمة لأنفسهم بفعل هذا الروح القدسي).

الإسلام ينعى على النصارى هذا الابتداع في الدين :

لما أرسل الله سبحانه وتعالى رسوله محمداً ﷺ إلى الناس كافة بعقيدة الإسلام أمره أن يبلغ أهل الكتاب من النصارى في مشارق الأرض ومغاربها ألا ينقادوا لشهوات الأحبار والرهبان فيما ابتدعوه قديماً من نظم وما رسموه من تقاليد كهنوتية، فهم قد ضلوا من قبل فشرعوا من الدين ما لم يأذن به الله، فأضلوا كثيراً ممن اتبعوهم دون روية أو تفكير، وما عليهم إلا تلبية دعوة الحق ألا وهو الإسلام فهو يدعو إلى جادة الطريق الذي لا عوج فيه ولا التواء ولا مغالاة، قال تعالى :

﴿قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل﴾ [سورة المائدة: الآية ٧٧].

كما حذرهم القرآن الكريم بأن في قيامهم بطاعة رهبانهم وأساقفتهم فيما لم يحله الله ويشرعه وفي كراهيتهم لدعوة الإسلام إثم كبير بل شرك بالله . يقول جلت كلماته :

﴿اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله﴾ [سورة التوبة : الآية ٣١].

ولقد كشف القرآن الكريم سوء أخلاق أولئك الأحرار والرهبان حتى يعلم أتباعهم أنهم غير جديرين بتقديسهم لهم والأخذ عنهم ، فهم يأخذون من هؤلاء الأتباع الضرائب والمكوس باسم الكنائس ، ويستولون عليها لشهواتهم وأغراضهم ، ويكنزونها ولا يكتفون بذلك بل يصدون أتباعهم ويمنعونهم عن الدخول في دين الإسلام ، واتباع ما أرسل به النبي محمد ﷺ من عقيدة وأحكام . يقول تعالى :

﴿يا أيها الذين آمنوا إن كثيراً من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله ، والذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم﴾ [سورة التوبة : الآية ٣٤].

(٢)

الله سبحانه

كيف يعتقد النصارى أنه يتجسد^(١)

عقيدة النصرانية أو المسيحية كما دُعيت بعد ذلك في أساسها كانت قائمة على توحيد الله بالعبادة، وأن المسيح عليه السلام بشر رسول بعثه الله إلى بني^(٢) إسرائيل مصداقاً لما بين يديه من التوراة التي هي كتاب اليهود المقدس الذي أنزله الله على نبيه موسى عليه السلام فنصحهم بتقوى الله وطاعته.

وفي نصوص الكتب المقدسة المتداولة بين النصارى ما يشير إلى ذلك، وهذا في قوله:

(وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته) [إنجيل يوحنا: في الإصحاح السابع عشر، عدد ٣، ٤].

إلا أن النصارى أو المسيحيين وهو ما غلب على تسميتهم يؤمنون في عقيدتهم التي ورثوها عن أسلافهم بأن المسيح عليه السلام (هو صورة الله أي أن فيه طبيعة لاهوتية، وما دام كذلك فهو الله متجسداً، ويستندون في ذلك إلى النصوص الآتية والمنسوبة إلى بولس مشيراً بها إلى المسيح عليه السلام).

١ - (هذا الفكر الذي في المسيح يسوع أيضاً الذي إذ كان في صورة الله)^(٣).

(١) هذا المقال نشر بمجلة «الوعي الإسلامي» الكويتية العدد ٢٢٤: شعبان سنة ١٤٠٣ هـ - يونية سنة ١٩٨٣ م.

(٢) انظر في باب الوثائق: الوثيقة الثانية: صورة الحكم الجنائي الروماني ضد المسيح.

(٣) رسالة بولس إلى أهل فيليبي في الإصحاح ٢، عدد ٥، ٦ من العهد الجديد بالكتاب المقدس.

٢ - (الذي هو صورة الله غير المنظور والبكر على كل ما أُخلق)^(١).

٣ - (إنارة إنجيل مجد المسيح الذي هو صورة الله)^(٢).

والرد على ذلك سهل يسير:

١ - فالقول بكون المسيح هو صورة الله يعني أن المسيح هو غير الله سبحانه وتعالى، لأن كون شيء على صورة شيء لا يقتضي أنه هو بل بالعكس يفيد أنه غيره، فمثلاً صورة الآلهة المعبودة من دون الله هي بالقطع ليست عين الإله المعبود، وبناءً على هذا المثال فإن القول بأن المسيح (هو صورة الله) يفيد بلا شك أنه غيره لا عينه.

٢ - أن كون المسيح (هو صورة) الله حدده بولس نفسه صاحب النصوص السابق الإشارة إليها في رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس في قوله:

(فإن الرجل لا ينبغي أن يغطي رأسه لكونه صورة الله ومجده، وأما المرأة فهي مجد الرجل)^(٣). مما يعني أن الله جعل المسيح نائباً عنه في إبلاغ شريعته إلى من أرسل إليهم كما أن الله جعل الرجل نائباً عنه في سلطانه على امرأته، ومقتضى هذا السلطان ألا يغطي الرجل رأسه بخلاف المرأة^(٤).

٣ - إن الله خلق آدم كما خلق المسيح فلا مزية للمسيح في هذا المعنى فقد ورد في سفر التكوين عن آدم قوله: (لأن الله على صورته عمل الإنسان)^(٥)، ولم يقل أحد من الناس قديماً أو حديثاً إن في آدم طبيعة لاهوتية أو أنه الله متجسداً.

كيف كانت العلاقة بين الإنسان وخالقه في بشارات المسيح؟

إن العلاقة بين الإنسان وخالقه كما بيّنتها أقوال المسيح عليه السلام هي العلاقة بين

(١) رسالة بولس إلى كولوسي في الإصحاح ١، عدد ١٥ من العهد الجديد بالكتاب المقدس.

(٢) رسالة بولس الثانية إلى أهل كورنثوس في الإصحاح ٤، عدد ٤ من العهد الجديد بالكتاب المقدس.

(٣) رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس في الإصحاح ١١، عدد ٧ من المرجع السابق.

(٤) كتاب سلاسل المناظرة الإسلامية النصرانية، للأستاذ عبد الله العلمي الغزي الدمشقي، أستاذ دروس تفسير القرآن في الجامع الأموي بدمشق سابقاً.

(٥) سفر التكوين في الإصحاح ٩، عدد ٦ من العهد القديم من الكتاب المقدس.

الروح ومصدرها، وبين الحياة وينبوعها، بين المكفول وكافله، وبين الرعية وراعياها^(١).
ويتضح ذلك من صلاته التي علّمها لتلاميذه وذلك في قوله:

(متى صليتم فقولوا: أبانا الذي في السماوات، ليتقدس اسمك، ليأت ملكوتك،
لتكن مشيئتكم كما في السماء كذلك على الأرض. خبزنا كفافنا، أعطنا كل يوم واغفر لنا
خطايانا، لأننا نحن أيضاً نغفر لكل من يذنب إلينا، ولا تدخلنا في تجربة لكن نجنا من
الشرايين)^(٢).

إذاً كيف انحرف مفهوم الصورة عند النصرانية إلى مفهوم الحقيقة؟

يبدو أن ذلك الانحراف في معنى الصورة جاء نتيجة تأثر النصرانية فيما بعد عصر
المسيح وعصر الحوارين بالفلسفات التي كانت سائدة في منطقة البحر الأبيض المتوسط
والتي منها فلسفة أرسطو.

فالصورة في مذهب أرسطو هي حقيقة الشيء، وماهيته التي يقوم بها وجوده فليست
هي شكله البادي للعين أو تمثاله الملموس باليد.

فصورة العصفور هي حقيقته التي يكون بها عصفوراً، وصورة الدرهم هي جوهره
الذي يميزه من سائر قطع الفضة، وسائر قطع النقد، ويجعله درهماً، وتزول عنه الدرهمية
إذا زال، ولا يخلو موجود في العالم من الصورة، فكل موجود هو صورة، ومادة، أو صورة
وهيولي لأن المادة كانت تسمى بالهيولي.

وطبيعي أن ما سارت عليه النصرانية كان خطأ في مفهومها لمعنى (كون المسيح هو
صورة الله متجسداً)، وذلك أن أرسطو نفسه في فلسفته يقرر أن أعلى الموجودات هو الله
لا تشوبه المادة، ومعنى مجرد لا يقوم في جسد^(٣).

(١) كتاب (الله) نشأة العقيدة الإلهية للمرحوم عباس العقاد.

(٢) إنجيل لوقا في الإصحاح الحادي عشر، عدد ٣ - ٤ من العهد الجديد، بالكتاب المقدس.

(٣) كتاب (الله) نشأة العقيدة الإلهية، للمرحوم عباس العقاد.

أسفار أهل الكتاب نفسها تقرر أن الله لا يكون إنساناً:

إن الله لا يكون إنساناً مطلقاً لأن صفة الألوهية يستحيل عليها أن تجتمع في إنسان مطلقاً وهذا بصريح أسفار أهل الكتاب المقدسة عندهم طبقاً لما يلي:

أولاً: ورد بسفر هوشع قوله عن الله: (لأنني الله لا إنسان)^(١).

ثانياً: ورد بسفر أيوب قوله عن الله: (لأنه ليس هو إنساناً مثلي فأجابه فنأتي جميعاً إلى المحاكمة)^(٢).

ثالثاً: جاء في سفر صموئيل الأول قوله عن الله:

(لأنه ليس إنساناً ليندم)^(٣).

رابعاً: جاء في سفر العدد:

(ليس الله إنساناً فيكذب ولا ابن إنسان فيندم)^(٤).

خامساً: جاء في سفر الخروج قول الله لموسى عليه السلام لما طلب رؤيته:

(وقال لا تقدر أن ترى وجهي لأن الإنسان لا يراني ويعيش)^(٥).

سادساً: يقول يوحنا في رسالته الأولى عن الله:

(أيها الأحياء إن كان الله قد أحبنا هكذا ينبغي لنا أيضاً أن يحب بعضنا بعضاً والله لم ينظره أحد قط)^(٦).

(١) سفر هوشع في الإصحاح ١١، عدد ٩ من العهد القديم بالكتاب المقدس.

(٢) سفر أيوب في الإصحاح ٩، عدد ٣٢ من العهد القديم بالكتاب المقدس.

(٣) سفر صموئيل الأول في الإصحاح ١٥، عدد ٢٩ من المرجع السابق.

(٤) سفر العدد في الإصحاح ٢٣، عدد ١٩ من المرجع السابق.

(٥) سفر الخروج في الإصحاح ٣٣، عدد ٢٠ من المرجع السابق.

(٦) رسالة يوحنا الرسول الأولى في الإصحاح الرابع، عدد ١١ - ١٢ من العهد الجديد من الكتاب المقدس.